جوانب من

تاريخ وحضارة الجزيرة العربية

فى العصور القديمة







دكتور

أحمد أمين سليم

أستاذ التاريخ القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت : ٤٨٧٠١٦٣

٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي ت: ٥٩٢٣١٤٦



جوانب من

تاريخ وحضارة الجزيرة العربية

في العصور القديمة

دكتور

أحمد أمين سليم

أستاذ التاريخ القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير * الأزاريطة ت: ٤٨٧٠١٦٣

٢٨٧ ش قنال السويس * الشاطبي ت: ٥٩٢٣١٤٦



• بسم الله الرحمن الرحيم •

« ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير »

صدق الله العظيم



إهداء

إلـى روح أبـي وأمـي

تغمدهما الله برحمته وأسكنهما

فسيح جنـاتـه

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فبفضل الله وتوفيقه أقدم الطبعة الثالثة من هذا المؤلف بعد أن خرجت طبعته الأولى عام ١٩٨٧م عن دار النهضة العربية فى بيروت، والطبعة الثانية عام ١٩٩٥ عن دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية.

وتتميز هذه الطبعة بإضافة العديد من الفصول مما استدعى تغيير عنوانه ليصبح «جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية فى العصور القديمة»، وتنقسم هذه الطبعة إلى بابين رئيسيين يتصل الأول منهما بالتاريخ والآخر بالحضارة.

وينقسم الباب الأول إلى عشر فصول تتضمن جغرافية الجزيرة العربية ومواردها الطبيعية والمصادر التى يعتمد عليها الباحثون فى دراستهم لتاريخ وحضارة الجزيرة العربية من مصادر أثرية وكتابات المؤرخين اليونان والرومان والمصادر اليهودية والكتابات المسيحية والمصادر العربية، ولفظة العرب وتطورها التاريخى، وطبقات العرب، ثم دراسة بعض الدول التى ظهرت فى جنوب الجزيرة العربية مثل دولة معين ودولة حضرموت ودولة قتبان ودولة سبأ.

ثم دراسة التطور التاريخى والحضارى للمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وتتناول الدراسة بعض الدول التى ظهرت فى شمال الجزيرة العربية مثل الأنباط ودولة تدمر ودولة الغساسنة ثم مملكة كندة، ثم تتناول الدراسة المراكز الحضارية التى ظهرت فى شرق الجزيرة العربية.

أما الباب الثانى من الدراسة فيتناول بعض المظاهر الحضارية فى الجزيرة العربية، تناولت فى الأول منها الحياة الاجتماعية فى بلاد العرب من حيث تكوين الأسرة والأطفال ووسائل التسلية والترفيه وطبيعة المجتمع العربى.

وتناولت فى الثانى التنظيم السياسى فى بلاد العرب، وفى الثالث الموارد الاقتصادية والطرق التجارية، وفى الرابع الفكر الدينى، أما الخامس والأخير فقد تناولت فيه التشييدات المعمارية من مبان مدنية ودينية واقتصادية كتشييد السدود.

ولقد حاولت قدر الاستطاعة تبسيط المعلومات العلمية دون الدخول فى تفاصيل قد ترهق ذهن القارئ دون الإخلال بموضوعات الدراسة، والله أسأل أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه. وعلى الله قصد السبيل.

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب".

الإسكندرية فى ٩ ذى الحجة ١٤٢٥هـ

١٩ يناير ٢٠٠٥م



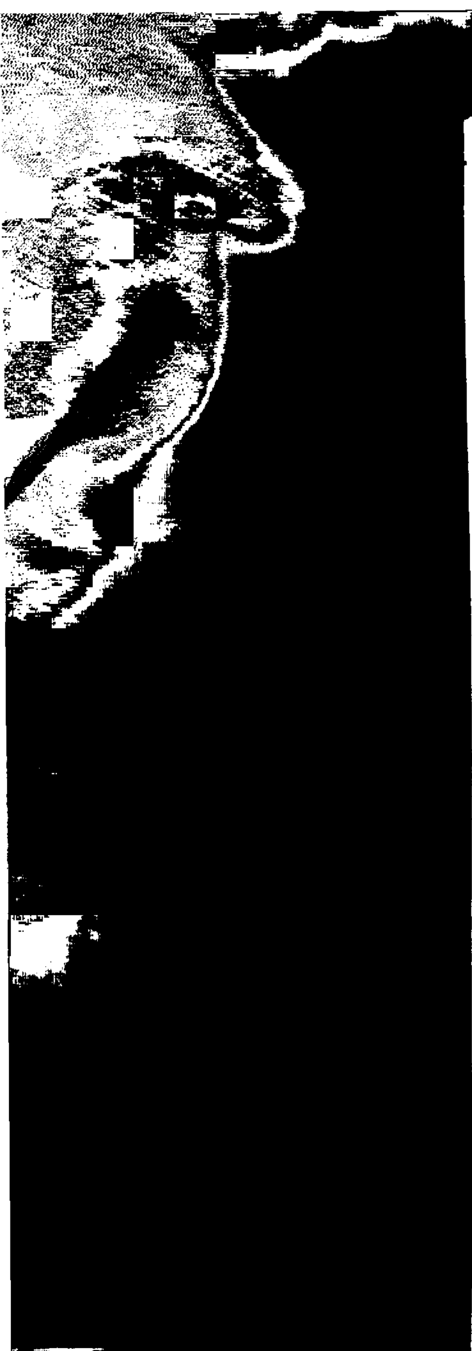


الباب الأول

التاريخ

الفصل الأول

جغرافية شبه الجزيرة العربية
ومواردها الطبيعية



جغرافية شبه الجزيرة العربية ومواردها الطبيعية

تقع شبه الجزيرة العربية فى القسم الجنوبى من القارة الاسيوية بين دائرتى عرض ١٢,٥ – ٣٠ درجة شمالاً تقريباً، وتبلغ مساحتها (٣,١٥٠,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً)(١) وعلى ذلك فهى تعد أكبر شبه جزيرة فى العالم من حيث المساحة، أما أبعاد شبه الجزيرة العربية، فيبلغ طول ساحلها الغربى من رأس خليج العقبة حتى خليج عدن ١٤٠٠ ميلا، ويبلغ طول ساحلها الشرقى من رأس الخليج العربى شمالا حتى نهاية الخليج جنوبا ١٥٠٠ ميلا، ويبلغ امتدادها من بحر العرب جنوباً إلى الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية ١٦٠٠ ميلا، أما عرضها فى أضيق نطاق بين البحر الأحمر والخليج العربى فهو ٧٥٠ ميلا، وأما بين خليج عمان والبحر الأحمر، فيصل الاتساع إلى ١٢٠٠ ميلا(٢).

ويحد جزيرة العرب من الشرق الخليج العربى المعروف عند اليونان باسم الخليج الفارسى، ويحدها من الجنوب المحيط الهندى، أما حدها الغربى فهو البحر الأحمر؛ أما حدها الشمالى فهى بادية الشام والتى تمتد من خليج العقبة حتى مصب شط العرب فى الخليج العربى، ومن ثم فان المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة فقط.

ولقد عرفت البلاد باسم «جزيرة العرب»، وقد تختصر التسمية إلى «الجزيرة» فقط من باب التسهيل، وهناك من الجغرافيين العرب من رأى أنها جزيرة فعلا على أساس أن الخليج العربى وبحر عمان يحيطان بها شرقاً، والمحيط الهندى جنوباً، والبحر الأحمر غرباً، أما من ناحية الشمال فهناك

(١) جودة حسنين جودة: شبه الجزيرة العربية، دراسة فى الجغرافية الاقليمية، الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ٥.

(٢) محمود طه أبو العلا: جغرافية شبه الجزيرة العربية، جزء أول، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٥-٧.

نهر الفرات ونهر العاصى اللذين قد يكونان عند اقترابهما فى أعالى الشام حداً من الماء، ومن هذه الأسباب كذلك؛ أن المنطقة تشبه جزيرة بشرية ويتحدث سكانها باللغة العربية، وتحدها (غير الحدود البحرية) مجموعات بشرية تتحدث بلغات أخرى(١).

هذا ويقسم المؤرخون والرحالة اليونان والرومان شبه الجزيرة العربية إلى أقسام ثلاثة:

١ – العربية السعيدة Arabia Eudaemon

٢ – العربية الصخرية Arabia Petraca

٣ – العربية الصحراوية Arabia Erema

ويعد قسم العربية السعيدة أكثر الأقسام اتساعاً، ويشمل كل المناطق التى يقال لها جزيرة العرب فى الكتب العربية، وليست لها حدود شمالية ثابتة، لأنها كانت تتبدل وتتغير على حسب الأوضاع السياسية، فضلا عن قوة أو ضعف تلك الكيانات السياسية التى تقع إلى الشمال منها وهى على أية حال تقع إلى الجنوب من خط وهمى يمتد من الطرف الشمالى للخليج العربى فى الشرق إلى رأس خليج العقبة (خليج ايلة فى الكتابات القديمة)، أو إلى نقطة على الشاطئ الشرقى لهذا الخليج، وقد سماها الكتاب الكلاسيكيون بهذا الأسم لوفرة مواردها سواء كانت زراعية وبخاصة فى الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة (اليمن)، أو كانت موارد تجارية من نقل السلع من الأطراف المختلفة لشبه الجزيرة، ويرى بعض المؤرخون أنه من الخطأ ادخال هذا الجزء من بلاد العرب السعيدة داخل بلاد العرب، فهو يعتبر فى الواقع من بلاد العرب الصحراوية، أما الجزء الذى يمكن أن يطلق عليه بلاد العرب

---

(١) انظر: لطفى عبد الوهاب يحيى، العرب فى العصور القديمة، مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص ٨٩، محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ العرب القديم، ص ٩٣ – ٩٤.

السعيدة فهو الجزء الجنوبي الغربي، حيث تقع بلاد اليمن لغنى محاصيلها وتنوعها، ولاعتدال مناخها(١).

أما العربية الصخرية: فتشمل الأراضي التي كان يسكن فيها الانباط، ويطلق ذلك الأسم، أي العربية الصخرية على شبه جزيرة سيناء وبلاد الانباط وعاصمتها البتراء، وقد سميت كذلك أما نسبة إلى عاصمتها، أو إلى طبيعة المنطقة الصخرية، وكانت حدود هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية وبحسب مقدرة العرب، ويظهر من وصف ديودور لهذه المنطقة، انها في شرق مصر وفي جنوب البحر الميت، وجنوبه الغربي في شمال العربية السعيدة وغربها، وأن الانباط يقيمون في الأراضي الجبلية وفي المرتفعات المتصلة بها في شرق البحر الميت ووادي العربة، وفي جنوب اليهودية حتى الخليج العربي، أما الأقسام الباقية فكانت تسكنها قبائل عربية قيل أنها سبئية، وهي تسمية كانت تطلق عند الكتبة اليونان والرومان على أكثر القبائل المجهولة اسماؤها والتي تقطن وراء مناطق نفوذ الانباط والرومان، ويعنون بذلك قبائل جنوبية في الغالب(٢).

أما العربية الصحراوية فيعنون بها بادية الشام في أغلب الأمر، وبادية السماوة في بعض الأحايين، بل أن «ديودور الصقلي» انما يذهب إلى أنها المناطق الصحراوية التي تسكنها القبائل المتبدية، وأن سكانها من الآراميين والنبط، وانها تقع بين سورية ومصر، كما أنها مقسمة بين شعوب ذات مزايا وصفات متباينة، وان كان يبدو أن الرجل لم يكن لديه خط واضح يفصل بين العربية الصحراوية والصخرية. ونقرأ في النصوص الأشورية من عهد «شلمنصر الثالث ٨٥٩ – ٨٢٤ ق.م» أن من بين اعدائه في موقعه «قرقر» عام ٨٥٣ ق.م مجموعة عربية على رأسها «جندب» وجدت هناك منذ الالف

---

(١) محمد مبروك نافع: تاريخ العرب، عصر ما قبل الإسلام، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٥١، لطفي عبد الوهاب يحيى: المرجع السابق، ص ٩٩ – ١٠٠.

(2) Smith. W., A: Dictionary of the Bible, I . p. 91.

الثانية قبل الميلاد، وكانت مصدر قلق للحكومات المسيطرة على الهلال الخصيب، وانها كانت تنتقل في هذه البادية بحرية، لا تعترف بحدود أو فواصل، وانما كانت تقيم حيث الماء والكلأ والمكان الذى يتلائم وطباعها(١).

وعلى أى حال، فان الجغرافيين اليونان لم يفرقوا بين بلاد العرب الصحراوية والصخرية، حيث يكون الفاصل بينهما صعباً جداً بالنسبة لهم، كما أن هؤلاء الجغرافيون قد أغفلوا الكتابة عن المدن الهامة مثل تيماء ودومة الجندل.

أما الكتاب العرب فلقد اقتصر تصورهم في العصر الإسلامى لشبه الجزيرة العربية على القسم الأول وهو العربية السعيدة ومن ثم فقد قسموه إلى خمسة أقسام هى اليمن وتهامة والحجاز ونجد واليمامة، وكان أساس تقسيمهم «جبل السراة» – أعظم جبال العرب – وهو سلسلة جبال تبدأ من اليمن، وتمتد شمالاً حتى أطراف بادية الشام، وعلى مدى ١١٠٠ ميل تقريباً، ويطلق عليها عدة اسماء فهى جبال السراة «السراة هى الأرض المرتفعة»، وهى جبال السروات (جمع سراة) وهى جبال الحجاز، كما كانت تسمى باسم الاقليم الذى هى فيه ، فيقال جبال الحجاز في الحجاز، وجبال عسير في إقليم عسير(٢).

وسنتناول فيما يلى هذه الأقسام الخمس بشئ من التفصيل:

١- اليمن:

تقع في الركن الجنوبى الغربى لشبه جزيرة العرب. تمتد اليمن على طول المحيط الهندى، ويحدها البحر الأحمر من الغرب والحجاز من الشمال، وتخترق السراة اليمن من الشمال إلى الجنوب حتى البحر، وتتخللها الأودية التى تنساب فيها مياه الأمطار.

---

(١) سامى الاحمد: نظرة في جغرافية شبه الجزيرة العربية، مجلة العرب، العدد السابع، إبريل ١٩٦٩، ص ٥٩٩.

- Luckenbill. D.D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1. Chicago. 1927, p. 611.

(٢) محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص ٩٧ – ٩٨.

أما عن سبب تسميتها باليمن، فذلك أمر ما يزال موضع خلاف، فهناك من يذهب إلى أن ذلك انما كان نسبة إلى أول من قطنها من العرب، الذى قال له والده قحطان أنت أيمن ولدى، أو لأنها تقع على يمين الكعبة، بينما يتجه فريق ثالث إلى أن السبب انما كان فى طبيعة البلاد نفسها، فهى بلاد اليمن والخير والبركة، على أن رأيا رابعا يذهب إلى أنها سميت بذلك لتيامن العرب اليها، أو لأن الناس قد كثروا بمكة فلم تحملهم، فالتأمت بنو يمن إلى اليمن ، وهى أيمن الأرض فسميت بذلك، وهناك من يرجح أنها سميت اليمن من كلمة «يمنات» الورادة فى نص ويرجع إلى أيام الملك «شمر يهرعش» غير أن كل تلك الآراء لم تقل لنا شيئاً عن الأسم الذى كان يطلق عليها قبل أن تسمى باليمن.

وتشتهر بلاد اليمن بغنى محاصيلها وتنوعها، واعتدال مناخها، حتى أنها سميت باليمن الخضراء، وإن كان هناك فريق من العلماء يرى شيئاً من المبالغة فيما نسب إلى اليمن من خصب وثراء، ويتجه إلى القول بأن معظم الحاصلات التى كان يظن أن اليمن مصدرها انما جلبها العرب والمصريون من جزائر الهند وسواحل افريقية الشرقية، إلا أن هناك حقيقة جغرافية واضحة وهى أنها كانت بسبب الجبال التى تقع فى داخلها عرضة للرياح الموسمية، فتسقط الأمطار التى تجعل أرض اليمن تجود بالبن أهم حاصلاتها،و وبالفاكهة والقمح والاعناب والتوابل(١).

٢- تهامة:

تبدأ حدود تهامة فى رأى بعض الجغرافيين، من البحر الأحمر، فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الأحمر، وقد ورد اسم تهامة فى النصوص العربية الجنوبية «تهمت» (تهمتم)، وقد حاول بعض الباحثين إيجاد علاقة بين هذه اللفظة وكلمة (Tiamtu) البابلية ومعناها البحر، وكلمة

---

(١) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٦؛

سعد زغلول الحميد: فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٧٥، ص ٦٨ - ٧٠.

تيهوم Tehom العبرية ، بينما يتجه «جواد على» إلى أن الكلمة انما ترجع إلى أصل سامى قديم، له علاقة بالمنخفضات الواقعة على البحر حيث أنها شديدة الرطوبة والحرارة فى الصيف، ومن هنا سميت «تهامة» من التهم وهو شدة الحر وركود الريح، الا أن هناك من يرى أن السبب انما هو تغير هوائها، كما أن هناك من يرى التهمة هى الأرض المتصوبة نحو البحر، ولعل انخفاض أرض تهامة كان هو السبب فى أن تسمى بالغور وبالسافلة.

وهى تتألف من تهائم، فهناك تهامة اليمن وتهامة عسير وتهامة الحجاز، وفى الواقع إن التهائم ليست هى المنطقة الساحلية السهلية فحسب، ولكنها تشتمل كذلك على أكثر المناطق الواقعة إلى المنحدر الغربى لسفوح جبال الحجاز، وتختلف فى عرضها باختلاف قرب السلاسل الجبلية من البحر وبعدها عنه، وقد بلغ عرضها خمسين ميلاً فى بعض الأماكن، وقد تضيق فى أماكن أخرى إلى أن تصبح الهضاب القريبة من الساحل متصلة بالشاطئ رأساً، هذا إلى أن أكثر هذه المنطقة الساحلية رملى شديد الحرارة قليل الانبات، كما أن جميع المدن الساحلية انما تقع فى هذه المنطقة(١).

٢- الحجاز:

تمتد رقعة الحجاز فى رأى أكثر علماء الجغرافية من تخوم الشام عند العقبة إلى «الليث»، وهو واد بأسفل السراة يدفع فى البحر ، فتبدأ عندئذ أرض تهامة، وقد اعتبر بعض العلماء تبوك وفلسطين من أرض الحجاز، ويقال للقسم الشمالى من الحجاز أرض مدين وحسمى، نسبة إلى السلسلة الجبلية المسماة بهذا الأسم، والتى تتجه من الشمال نحو الجنوب، وأرض حسمى أرض خصبة كثيرة المياه، وكانت من المناطق المأهولة بالسكان وبها بقايا أثرية كثيرة، ومن جبالها جبل يعرف بـ «آرم».

وقد سمى هذا القسم بـ «الحجاز» ، لأنه يحجز بين ساحل البحر الأحمر،

(١) جواد على، المرجع السابق، ص ١٧٠ ، السيد عبد العزيز سالم، دراسات فى تاريخ العرب، جزء أول، عصر ما قبل الإسلام، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص ١٠٩.

- وهو هابط عن مستواه وبين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة إلى الساحل الغربى، أو لأنه احتجز بالجبال، أو لأنه يحجز بين الغور والشام، أو لأنه يحجز بين تهامة ونجد، أو لأنه يحجز بين الشام واليمن والتهائم.

وتتخلل الحجاز أودية عديدة، منها وادى أضم الذى ورد ذكره فى أشعار الجاهلية وفى أخبار سرايا الرسول عليه الصلاة والسلام، ووادى نخال ووادى القرى وهو وادى هام يقع بين العلا والمدينة، ويمر به طريق القوافل القديم الذى كان شريانا من شرايين الحركة التجارية فى العالم القديم(١).

٤- نجـــد :

هى فى الكتب العربية اسم للأرض العريقة التى أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام، وحدها «ذات عرق» فى الحجاز، وما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجد إلى أطراف العراق وبادية السماوة، وعلى أى حال فإن (نجدا) بصفة عامة انما هى الهضبة التى تكون قلب شبه الجزيرة العربية، وهى ليست قاحلة تماماً وإنما توجد فيها بعض أراض صالحة للزراعة، وهى تتألف من مناطق ثلاثة: منطقة وادى الرمة، فالمنطقة الوسطى، ثم المنطقة الجنوبية، أما علماء العرب فقد قسموا نجد إلى عالية وسافلة، أما نجد العالية: فما ولى الحجاز وتهامة، وأما السافلة فما ولى العراق(٢).

٥- العـــروض:

تشمل اليمامة والبحرين وما والاهما، وأغلب الأراضى فيه صحارى وسهول ساحلية ترتفع فى الجهات الغربية عن ساحل البحر، ومن أقسام العروض، شبه جزيرة (قطر) التى تمتد من عمان إلى حدود الاحساء .

---

(١) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، الرياض، ١٩٦٨ ، ص ١٧، جواد على: المرجع السابق، ص ١٦٧ .

(٢) انظر: محمود شكرى الألوسى: تاريخ نجد، ص ٧ وما بعدها، جواد على: المرجع السابق، ص ١٨١ – ١٨٥ .

ويلى شبه جزيرة قطر، الاحساء، والقسم الأكبر منها صحراوى يرتفع فى الجهة الغربية عن ساحل البحر ويتخلله كثير من التلال، والمنطقة الساحلية تكثر فيها الآبار، وأغنى مناطق الاحساء منطقة الاحساء والقطيف فى الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون، وتقع القطيف على خليج يشمل جزيرة «تاروت» وتعد المدينة البحرية الرئيسية فى الاحساء وتكثر بها مياه العيون، وأما القسم الشمالى من هذه المنطقة فهو الكويت ومعظم أرضه منبسطة وأكثر سواحله رملى، الا بعض الهضاب أو التلال البارزة، وأكثر ما يزرع هناك النخيل، وليس فى الكويت من الأنهار الجارية غير مجرى واحد يقال له «المقطع»، وأشهر مدنه الكويت وجهرة، وهى من أخصب بقاع الكويت حالياً، كما أنها كانت مأهولة بالسكان منذ عصر ما قبل الإسلام(١).

مظاهر السطح:

تتكون أغلب الأرض فى بلاد العرب من بواد وسهول تغلبت عليها الطبيعة الصحراوية، ويمكن إيجاز مظاهر السطح الرئيسية فى بلاد العرب على النحو الآتى(٢).

١ - **الحرار:** تعد الحرار من المجموعة الصحراوية، وهى أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، وهذه الحرات أنما هى مقذوفات بركانية تبتدئ من شرق حوران وتمتد منتشرة إلى المدينة المنورة، والحرار كثيرة فى بلاد العرب، ولقد عد أحد علماء العرب تسع وعشرين من هذه الحرار أشهرها حرة واقم، والتى تنسب اليها موقعة الحرة على أيام يزيد بن معاوية، وتكثر الحرات فى الأقسام الغربية من شبه جزيرة العرب، وتمتد حتى تتصل بالحرار التى فى بلاد الشام بمنطقة حوران، وتوجد كذلك فى

---

(١) عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ١١٣، جواد على، المرجع السابق، ص ١٧٤ - ١٧٧.

(٢) انظر: جواد على : المرجع السابق، ص ١٤٥ - ١٥٣، وكذا محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ١٠٦ - ١١٠.

المناطق الوسطى والشرقية الجنوبية من نجد حيث تتجه نحو الشرق، وفى المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية.

وفى أرض اليمن عدد كبير من الحرار، منها حرة «أرحب» شمالى صنعاء، كما أن هناك كثيراً من الحرار فى القسم الشمالى من «وادى أبرد» - بين صنعاء ومأرب - ولعل كثرة الحرار بجوار المدن القديمة هو الذى دفع البعض إلى تفسير هلاك بعض المدن على أنه من هياج البراكين، وتعد «حرة ضروان» من أشهر حرار اليمن، وقد بلغ من شهرة قذفها للحمم أن القوم كانوا يتعبدون لها ويتحاكمون اليها فيما يشجر بينهم من خلاف وذلك لاعتقادهم بأن النار تأكل الظالم وتنصف المظلوم.

٢- الدهناء: وهى مساحات من الأراضى تعلوها رمال حمراء فى الغالب، وتمتد من النفود فى الشمال الى حضرموت ومهرة فى الجنوب، واليمن فى الغرب، وعمان فى الشرق، وفيها سلاسل من التلال الرملية ذات ارتفعات مختلفة تنتقل فى الغالب مع الرياح، وتغطى مساحات واسعة من الأرض، ويمكن العثور على المياه فى قيعانها اذا حفرت فيها الآبار، ويعد الجفاف سمة هذه المنطقة الصحراوية، وكذلك تتميز بخلوها من الماء والمراعى، ولذا فقد هجر الناس السكنى فى أكثر أقسام الدهناء، كذلك فان كثرة هبوب العواصف الرملية ولشدة حرارتها أقام الناس فى الأمكنة المرتفعة منها والتى تتساقط عليها الأمطار، والأقسام الجنوبية من الدهناء تسمى بالربع الخالى وذلك لخلوها من السكان، أما القسم الغربى من الدهناء فيسمى «بالاحقاف» وهى منطقة واسعة من الرمال اقترن أسمها باسم «عاد»، وتكون «وبار» قسماً من الدهناء، وكانت من الأراضى المشهورة بالخصب والنماء وهى اليوم من المناطق الصحراوية.

٣- النفود: وهى "الصحراء المساة «بادية السماوة»، أما النفود فاسم لم يكن يعرفه العرب، وعلى أى حال، فهى صحراء واسعة ذات رمال بيض أو حمر تذروها الرياح، فتكون كثباناً مرتفعة وسلاسل رملية متموجة، يحدها

من الشمال وادى السرحان، ومن غربها الجنوبى واحة تيماء، ومن الجنوب جبلا أجا وسلمى، ومن شرقها الجنوبى مدينة حائل، وهكذا يبدو واضحاً أن صحراء النفود تمتد على مسافة كبيرة من الأرض، تزيد عن مائة ألف كيلو متر مربع. وكان يطلق عى النفود الكبير قديماً «رملة عالج».

التضاريـــس(١):

أ- الجبال:

تكون سلسلة جبال السرات العمود الفقرى لجزيرة العرب، وتتصل بسلسلة جبال بلاد الشام، وبعض قمم هذه السلسلة مرتفعة، وقد تتساقط الثلوج عليها كجبل دباغ الذى يرتفع (٢,٢٠٠) متر على سطح البحر، وجبل شيبان، وتنخفض هذه السلسلة عند دنوها من مكة، فتكون القمم فى أقل ارتفاع، ثم تعود بعد ذلك إلى العلو حيث تصل إلى مستو عال فى اليمن حيث تتساقط الثلوج على قمم بعض الجبال. وتشتهر منطقة مكة بمجموعة من الجبال، أشهرها جبل «أبى قبيس» فى جنوب مكة، وجبل «حراء» فى شرقها، وجبل ثور ويشرف على مكة من الجنوب، وجبل رضوى بين المدينة المنورة والبحر الأحمر.

وتمتد فى محاذاة السواحل الجنوبية سلاسل جبلية تتفرع من جبال اليمن، ثم تتجه نحو الشرق إلى أرض عمان، حيث ترتفع قمم الجبل الأخضر ارتفاعاً يتراوح من تسعة آلاف قدم إلى عشرة آلاف قدم، وفى نجد منطقة جبلية تتكون من الجرانيت يقال لها جبال «شمر» وتتألف من سلسلتين، يقال لاحدهما أجا، وللأخرى سلمى وأما جبل «طويق» فهو عبارة عن مرتفعات تقع فى الوسط الشرقى من نجد وفى جنوب شرق الرياض، وتتألف من الحجارة الرملية وتحيط بها الصخور والحجارة الكلسية، ويطلق الجغرافيون العرب عليها اسم جبال العارض.

---

(١) انظر: جواد على، المرجع السابق، ص ١٥٦ – ١٦٣، لطفى عبد الوهاب يحيى: المرجع السابق، ص ٩٢ وما بعدها.



ب- الأودية والأنهار:

تعد بلاد العرب من البلاد التى تقل فيها الأنهار والبحيرات، ومن ثم يغلب عليها الجفاف، واصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان، ولكن تتوفر فيها الأودية وتطغى عليها السيول عند سقوط الأمطار وهى فى الغالب طويلة، تسير فى اتجاه ميل الأرض، أما الأودية التى تصب فى البحر الأحمر أو فى البحر العربى، فانها قصيرة بعض الشئ وذات مجرى أعمق وانحدار أشد، والمياه تسير فيها بسرعة، وليس فى استطاعة أحد التحدث عن ملاحة بالمعنى المفهوم عن الملاحة فى نهيرات جزيرة العرب، وذلك لأن هذه النهيرات أما قصيرة سريعة الجريان، وأما ضحلة تجف مياهها فى بعض المواسم، والأمر كذلك بالنسبة إلى البحيرات، فليس فى بلاد العرب بحيرات، وإنما هناك عدد كبير من «السبخات» الملحة وهى مناطق واسعة تؤلف مساحة عظيمة من الأرض السهلة غالباً. وتحتوى هلى كثير من الأملاح المتجمدة، ومن هذه السبخات سبخة المدينة المنورة وسبخة حضوضاء فى وادى السرحان وسبخة الاحساء، أما الأودية فكثيرة فى شبه الجزيرة العربية، ولعل من أهمها وادى الرمة، ويمتد من شرق المدينة المنورة فى اتجاه شمالى شرقى حتى يصل إلى (واحة البعايث)، ووادى الحمض الذى كان يسمى قديماً «وادى اضم» ويبدأ من جنوب حرة خيبر، ثم يتجه إلى المدينة المنورة حيث تتصل به أودية فرعية كوادى العقيق ووادى القرى، وهناك كذلك وادى السرحان وهو ليس وأديا بالمعنى المفهوم وأنما هو منخفض واسع من الأرض يمتد من الجنوب إلى الشمال، وتنحدر منه أودية كثيرة من جميع جهاته، أما وادى الدواسر فهو واد كبير يتجه شرقاً عبر وديان جبل طوق وتنتهى مياهه شرقاً عند أطراف الربع الخالى، وهناك وادى نجران وهو أحد الأودية الكبيرة فى شبه الجزيرة العربية، بل هو فى الواقع مجموعة أودية منها وادى حرض ووادى مور.

المنــــاخ:

تعتبر شبه الجزيرة العربية من أشد البلاد جفافاً وحراً، ويرجع ذلك اولا لوقوعها فى منطقة قريبة من خط الاستواء، وثانيا: أن معظمها يقع فى الاقليم المدارى الحار. وثالثا: أنها بعيدة عن المحيطات الواسعة التى تخفف من درجة الحرارة. ورابعا: أن المسطحات المائية التى تقع إلى الشرق وإلى الغرب منها - أى الخليج العربى والبحر الأحمر - أضيق من أن تكفى لكسر حدة هذا الجفاف المستمر، كذلك فإن المحيط الهندى الذى يقع إلى الجنوب منها تمنع مرتفعات حضرموت والربع الخالى الأمطار الذى يساعد على سقوطها من الوصول إلى داخلها. بالإضافة إلى أن رياح السموم التى تنتاب شبه الجزيرة العربية فى مواسم معينة تسلب الرطوبة من الهواء قبل أن يدخل البلاد(١).

ويتميز مناخ شبه الجزيرة العربية عموماً بالتطرف، وبالاختلاف الحرارى السنوى واليومى الكبير، وتنفرد هوامشها الشمالية بشتاء رطب وبارد، وقد يتكون الصقيع فى مياه بعض واحاتها فى الصباح الباكر، ويتميز صيفها بشدة حرارته وجفافه، أما فصل الربيع والخريف فهما يعتبران موسمى انتقال لا يستغرقان مدة طويلة(٢).

ويسود الجفاف شبه الجزيرة العربية بوجه عام، ونظراً لقلة المطر فإن أكثر أراضيها صحراوية، الا أنه توجد أودية كثيرة تسيل فيها المياه فى موسم الأمطار، وهى أودية شديدة الانحدار تصب فى البحر الأحمر، أو فى بحر العرب، والأمطار تسقط فى الخريف والشتاء فى الشمال، بينما تسقط فى الصيف فى بلاد اليمن وتنمو الأعشاب فى البادية اذا سقطت الأمطار، وهى أعشاب قصيرة لا تلبث أن تموت، ولذلك فلقد فرضت طبيعة الموارد الطبيعية فى البادية على ساكن هذه المناطق الترحال والانتقال من مكان إلى آخر حيث تتوفر موارد المياه والعشب.

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٢) جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص ١٦ - ١٧.

وأطلق الكتاب المسلمون على الرياح التى تهب على الجزيرة العربية العديد من التسميات(١)، فأطلقوا على الرياح التى تهب من جهة المشرق «القبول»، وكذلك «ريح الصبا» نظراً لأنها ريح مقبولة طيبة تصبو اليها النفوس وهى تهب بشكل خاص على إقليم نجد، وكانت تأتى محملة بالأمطار، وأطلقوا على رياح الشمال «التيسر» عكس التيمن أو اليمين، وهى رياح باردة تهب على الحجاز بعد أن تكون قد أجتازت هضاب الأناضول ومرتفعات سورية، ولذلك عرفت أيضاً بالرياح الشامية، كما عرفت بالحدواء لأنها تحدو السحاب أى تسوقه.

وأطلقوا على الرياح التى تهب من المغرب تسمية الدبور، وهى تهب مصحوبة بالأمطار، ولذلك عرفت أيضاً بالزاريات والمعصرات، أما الرياح الرابعة فهى الرياح الجنوبية، وهى من التيمن، وكانت تأتى من اليمن.

وبالنسبة للأحوال المناخية لشبه الجزيرة العربية خلال فصل الصيف فيلاحظ تركز مناطق ضغط منخفضة عميقة فى أوائل الصيف فى الحوض الأدنى لنهر السند، وفى شرق شبه الجزيرة العربية بسبب الحرارة الشديدة ويمتد تأثيرها فيشمل جميع أراضى المنطقة العربية الآسيوية، وحينما يشتد عمق الانخفاض الهندى العربى فى أواسط الصيف يشتد هبوب التيارات الهوائية الشمالية الشرقية على شبه الجزيرة العربية، وهى عبارة عن تيارات دائمة الهبوب ليلاً ونهاراً، وهى تصل إلى شبه الجزيرة شديدة الجفاف.

وقد يحدث فى بعض الأحايين بعض الاضطرابات فى توزيع الضغط وعمقه فتندفع الكتل الهوائية من منطقة الخليج العربى ، وهى رياح حارة مترية وفى الجهات المرتفعة تصبح رطبة مرهقة.

وتؤدى الرياح الموسمية الجنوبية الغربية إلى سقوط الأمطار على القسم الجنوبى من شبه الجزيرة العربية وذلك فى الفترة الممتدة من شهر يوليو وحتى شهر سبتمبر من كل عام.

---

(١) انظر: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٧٥ وما بعدها.

ثم تتراجع التيارات الهوائية الشمالية الشرقية فى أواخر الصيف، وفى هذه الفترة تبدأ بعض مناطق الضغط المرتفع فى التكون فوق أراضى آسيا المرتفعة، ويتركز الهواء البارد فى أراضى أيران والاناضول المرتفعة ، ويندفع هذا الهواء البارد من آن لآخر خلال الأودية والسهول، ويجلب موجات من البرد تستمر لأيام، ويحلول فصل الشتاء تبدأ الرياح الغربية وأعاصيرها فى الهبوب على المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية، وهى تؤدى إلى سقوط الأمطار، وتتناقص كمية الأمطار فى اتجاه الشرق ونحو الداخل.

ويلاحظ أن فصل الربيع والخريف لا يدومان طويلاً، ففى فصل الربيع يتحطم نطاق الضغط المرتفع ويدفأ الجو، ولكن أحياناً تهب بعض الأعاصير تحمل معها كميات كبيرة من الأتربة، وقد تؤدى إلى سقوط الأمطار وتسمى هذه الرياح الجنوبية فى السعودية باسم «السموم» أما فى الكويت فتسمى «الطوز».

أما فصل الخريف فهو يتميز بجفافه وحرارته، ولاتسقط الأمطار فى بدايته الا نادراً، وقرب نهايته تبدأ قطرات الماء فى النزول إلى الأرض(١).

الموارد الطبيعية:

المعادن:

أ- الذهب: وهو من المعادن التى استخرجت منذ العصور القديمة ومن ثم ذكر الجغرافيون العرب أسماء ومواضع عرفت بوجود خام الذهب بها مثل موضع (بيشة) أو (بيش)، وقد كان الناس يجمعون التبر منه ، يستخلصون منه الذهب، و(ضنكان) وكان به معدن غزير من التبر، والمنطقة التى بين القنفذة ومرسى حلج، وكذلك يشاهد فى وادى تثليث على مقربة من (حمضة) وعلى مسافة ١٨٣ ميلاً من نجران آثار التبر، ويظهر أنه كان من المواضع التى أستغلت قديماً لاستخراج الذهب منها، وقد أشتهرت ديار بنى

---

(١) جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص ١٧ - ٢١.

سليم بوجود المعادن فيها وفى جملتها معدن الذهب، وقد ذكر الكتاب اليونانيون أن الذهب يستخرج فى مواضع من جزيرة العرب خالصاً نقياً، لا يعالج بالنار لاستخلاصه من الشوائب الغريبة ولا يصهر لتنقيته، وقد عثرت إحدى الشركات فى أثناء بحثها عن الذهب فى بعض أماكن وجوده فى شبه الجزيرة العربية على أدوات استعملها الأولون قبل الإسلام فى استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه، مثل رحى وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيح(١).

ب- **الفضة:** وجدت مناجم قديمة للفضة شرقى القنفذة، وعند منتصف المسافة بين وادى قينونه ووادى بنا، وكذلك أستخرجت الفضة من الرضواض فى اليمن.

وإلى جانب الذهب والفضة، عثر على خامات الرصاص والزنك شرقى القنفذة، وعثر على مناجم الحديد فى وادى فاطمة(٢).

٢- النبـــات:

يقل وجود النبات والأراضى الزراعية بصفة عامة فى بلاد العرب، وذلك نتيجة لقلة المياه أولاً إلى جانب جفاف الهواء وملوحة التربة التى تحول دون نمو النبات وأزدهاره، وتعتبر نخلة البلح هى ملكة عالم النبات فى شبه الجزيرة العربية، ومازالت حتى اليوم تحتفظ بمركز ممتاز بين الحاصلات الزراعية فى بلاد العرب، وأن تدهورت قيمة التمور فى السنوات الأخيرة.

وقد أشتهرت مناطق عديدة من شبه جزيرة العرب بالكروم، ومنها الطائف واليمن، كما غرس فى الواحات العربية الرومان والتفاح والمشمش والبرتقال والليمون والبطيخ والموز، ويرجح أن الأنباط واليهود هم الذين

---

(١) جواد على، المرجع السابق، ص ١٩٢ - ١٩٤.
- Moritz. B., Arabien, Hanover, 1923, p. 105 ff.,

(٢) العمرانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الأكوع، الرياض، ١٩٧٤، ص ٢٠٢.

أدخلوا هذه الفواكه إلى بلاد العرب من الشمال، كذلك زرع القمح والشعير فى الواحات، كما ينمو الأرز فى عمان والاحساء، ويزدهر شجر اللبان والتمور والمر على الهضاب المحاذية للساحل الجنوبى، وكانت له أهمية كبرى فى الحياة التجارية الأولى فى بلاد العرب الجنوبية.

وتوجد فى البادية عدة أنواع من شجر السنط منها الآثل والغضال الذى ينتج الفحم، والطلح الذى يستخدم منه الصمغ العربى، والراك وهو الحمض وتتخذ منه المساويك(١).

٣- الحيوان:

يعد الجمل هو الحيوان الأليف الوحيد الذى استطاع بعناده وصلابته على السير بجبروت فوق رمال الصحارى، وهو أيضاً من أقدم الحيوانات التى سمعنا بها عند العرب وأعزها وقد صور فى النصوص الأشورية عند ذكر معركة (قرقر) ومعارك أخرى وقعت بين العرب والأشوريين. ويرى العلماء أن الانسان قد ذلل الجمل حين صيره اليفاً مطيعاً فى الألف الثانية قبل الميلاد، هذا وقد ذهب بعضهم إلى أن العربية الشرقية أنما كانت الموطن الذى ذلل هذا الحيوان فى الشرق الأدنى القديم.

أما الخيل ، فعلى الرغم من اشتهار جزيرة العرب بجمال خيلها وبتربيتها لأحسن الخيل وبتصديرها لها، فإن الخيل فى جزيرة العرب أنما هى من الحيوانات الهجينة الدخيلة الواردة عليها من الخارج، ولا ترتقى أيام وصولها إلى الجزيرة إلى ما قبل الميلاد بكثير، وقيل أنها وردت اليها من العراق ومن بلاد الشام، أو من مصر.

أما البغال، فانها من الحيوانات المعروفة بتحملها للمشقات وقدرتها على السير فى المناطق الواعرة، وقد استعملت فى الحمل وفى الركوب، وهى تؤدى خدمات فى هذه المناطق التى تعد صعبة على الجمل، ويظهر أن البغال لم تكن كثيرة الاستعمال فى جزيرة العرب حتى ظهور الإسلام، فقد

---

(١) جواد على، المرجع السابق، ص ٢٠٧ وما بعدها.



ورد أن بغلة النبى عليه الصلاة والسلام كانت أول بغلة رؤيت فى الإسلام وقد أهداها له المقوقس، وأهدى معها حماراً يقال له عفير، والحمير هى أول واسطة للركوب والحمل عند الحضر وأهمها، وهى للحضرى مثل الجمال للبدوى، ويظهر من ملاحظات بعض الباحثين أن الحمار فى جزيرة العرب هو أقدم عهداً من الجمل ومن الخيل والبغال، اذ كان واسطة الركوب والنقل فى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

والبقر من الحيوانات القديمة فى بلاد العرب، وهى من الحيوانات الملازمة لأهل الحضر فى الغالب، ولا سيما أهل الريف، أما الأعراب فإن استفادتهم منها غير ممكنة، وكان يستفاد من ألبانها ومن لحومها وجلودها كما يستفاد منها فى حرث الأرض، وفى سحب الماء من الآبار وفى جر العربات. أما الأغنام فهى المادة الرئيسية لتموين الناس باللحوم والصوف، وتربى فى معظم انحاء جزيرة العرب.

وعرفت جزيرة العرب الأسد، الذى قل وجوده فيها فى الإسلام، ويظهر من كثرة اسمائه فى اللغة ومن ورود أسمه فى الشعر الجاهلى، أنه كان كثيراً فيها، وهناك أماكن خاصة أشتهرت بكثرة أسودها ومنها (عثر)، و (عتود)(١).

طرق التجارة:

تميزت الجزيرة العربية بمقومين رئيسيين كان لهما أثراً كبيراً وفعالاً فى الازدهار التجارى لهذه المنطقة، ويتمثل الأمر الأول فى غنى هذه المنطقة بالتوابل والبخور، والآخر هو الموقع المتوسط لهذه المنطقة والذى يربطها بمختلف المناطق سواء بواسطة البر أم البحر.

واستفاد سكان شبه الجزيرة العربية من هذا الموقع والطرق التجارية ليس فقط فى تصدير منتجاتهم، ولكنهم عملوا أيضاً بالوساطة التجارية فكانوا

(١) فيليب حتى، تاريخ العرب، جزء أول، ترجمة ادوارد جرجس، جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢٥ وما بعدها.

يستوردون منتجات الهند والحبشة والصومال والسودان، ويقومون بتصديرها، وكـان لذلك أثره الكبـير فى تمتع هذه المناطق وبخـاصـة جنوب الجـزيرة العربية بثراء كبير.

وسنتناول فيمايلى بشئ من التفصـيل طـرق التجـارة التى ربطت الجـزيرة العربيـة سواء بين أجزائها أو بينها وبين العالم الخـارجى، ونبدأ بالطـرق البريــة.

طرق التجارة البرية:

تعددت طرق التجارة البرية التى تمر بشبه الجزيرة العربيـة وتربط أجزائها والعالم الخارجى، وكان منها الطرق العرضية التى تربط بين أجزاء شبه الجزيرة، ويمكن تتبع أربعة منها، وكان يربط الأول منها فى الجنوب ما بين المناطق المنتجـة للمر فى الغرب ويتخذ اتجاها شرقياً بطول السـاحل المتعرج لشبه الجزيزة العربية حتى يصل إلى المنطقة المنتجة للقرفة، ويبلغ طول هذا الطريق حوالى ٦٠٠ ميل، ولم يكن ينتهى هذا الطريق بميناء على شاطئ المحيط الهندى أو الخليج العربى، وعلى ذلك يرجح أن هذا الطريق كان يستخدم لتجارة القرفة.

أما الطريق الثانى فكان يتجه من القسم الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة شمالاً إلى مدينة جرهاء التى يرجح أنها تقع على مقربة من ميناء العقير الحالية فى وسط شبه الجزيرة العربية المطل على الخليج، وكان يستخدم هذا الطريق فى نقل منتجات جنوب الجزيرة العربية إلى مدينة جرهاء ومنها كانت تنقل إلى وادى الرافدين أما بالطريق البرى أو فى قوارب.

ويبدأ الطريق البرى الثالث من مكة وينتهى إلى وادى الرافدين، ولم يكن لهذا الطريق من الشهرة ما للطرق الأخرى، ولذلك فلم يذكره الجغرافيون والكتاب الكلاسيكيون الأوائل.

ويتفرع الطريق الرابع من الطريق الطولية الجنوبية الشمالية بعد مسافة شمالى يثرب فى اتجاه شمالى شرقى ماراً بعدد من الأماكن أهمها تيماء ثم دومة الجندل وينتهى إلى وادى الرافدين عند بابل على نهر الفرات، ويعتبر هذا الطريق من الطرق الهامة القديمة.

ويقع الطريق الخامس فى أقصى شمال شبه الجزيرة العربية، ويشكل هذا الطريق امتداداً صحراوياً لطريق تجارى يبدأ من شمال غربى بغداد على نهر الفرات ويسير بمحاذاة النهر حتى مأرب ثم يمتد غرباً إلى تدمر، وتمتد من تدمر غرباً إلى حمص حيث يتفرع إلى عدة أفرع تصل ما بين حمص من جهة والموانئ الفينيقية ودمشق وفلسطين من الناحية الأخرى، وكانت تدمر هى حلقة الوصل فى هذا الطريق، وترجع أهمية هذا الطريق بجانب أهميته التجارية، إلى أهميته السياسية، حيث كانت تسكن هذه المنطقة قبائل بدوية متنقلة سببت الكثير من القلاقل للدول الموجودة فى سورية وبلاد الرافدين، وعلى ذلك كانت السيطرة على هذا الطريق وتأمينه أمراً هاماً بالنسبة للقوى السياسية المحيطة به، وأدى ذلك إلى زيادة أزدهاره التجارى.

وبجانب هذه الطرق العرضية كانت هناك طرق طولية موازية للبحر الأحمر تقريباً، وكانت تبدأ من أقصى جنوب شبه الجزيرة وتتجه شمالاً إلى المنطقة السورية وشواطئها فى الشمال، فكان يبدأ من قتبان فى الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة وحضرموت الواقعة إلى شرقيها وسبأ المتاخمة لها من ناحية الشمال، وكان يبدأ طريق القوافل من تمنع عاصمة قتبان ويتجه شمالاً مخترقاً الحدود الشمالية لمنطقة سبأ، ثم يخترق أرض معين، ويستمر شمالاً حتى مكة، ومنها يصل إلى ديدان (العلا الحالية) ومنها إلى مدين ثم البتراء عاصمة الانباط، ومن البتراء يتفرع الطريق إلى فرعين، أحدهما إلى تدمر فى الشمال، والآخر يتجه إلى الغرب والشمال الغربى حتى يصل إلى غزة(١).

طرق التجارة البحرية:

رغم وقوع شبه الجزيرة العربية على مساحات مائية شاسعة الا أنها لم تستفد منها فائدة كبيرة، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منع غلبة الشعب المرجانية على شواطئ البحر الأحمر وبخاصة الشمالية منه، كما أن الخليج العربى تعوز سواحله المياه الصالحة للشرب مما عطل من إمكانية استخدام

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٣١٤ – ٣٢٤.

هذه الشواطئ فى العصور القديمة، يضاف إلى ذلك عدم وجود الأخشاب الصلبة الطويلة التى تصلح لبناء السفن فى شبه الجزيرة العربية، وأدى ذلك إلى عدم وجود نشاط بحرى عربى من جانب شبه الجزيرة العربية فى العصور القديمة.

ولقد بدأ النشاط البحرى لدول شبه الجزيرة العربية بعد إنشاء مدينة الاسكندرية وعلى ذلك فالنشاط البحرى لشبه الجزيرة العربية بدأ متأخراً جداً، فظهر نشاط تجارى بحرى بين مدينة جرهاء على ساحل الخليج العربى وبلاد الرافدين، كما وجد نشاط تجارى بحرى بين شرق الجزيرة والصين.

أما النشاط التجارى البحرى فى البحر الأحمر فلقد ازداد خلال عصر البطالمة واستمر خلال العصر الرومانى(١).

(١) نفس المرجع السابق، ص ٣٢٤ – ٣٣٣.

الفصل الثاني
مصادر تاريخ الجزيرة العربية القديم

مصادر تاريخ الجزيرة العربية القديم

يعتمد المؤرخ فى دراسته لتاريخ الجزيرة العربية القديم على العديد من المصادر التى يأتى فى مقدمتها المصادر الأثرية وما سجله المؤرخون والرحالة اليونان والرومان، وما ورد عن بلاد العرب فى العصور القديمة فى الكتابات اليهودية كالتوراة، وما سجله المؤرخ اليهودى يوسف بن متى، وما جاء فى الكتابات المسيحية عن بلاد العرب والقبائل العربية، ثم المصادر العربية التى يأتى فى مقدمتها القرآن الكريم ثم الحديث النبوى الشريف، والتفسير، وكتب السير والمغازى، ثم الأدب الجاهلى، فكتب اللغة، وأخيراً كتب التاريخ والجغرافية. وسنقوم فيما يلى بعرض لهذه المصادر:

أولاً: المصادر الأثرية:

تعد المصادر الأثرية من أهم مصادر تاريخ الجزيرة العربية القديم، ومع ذلك فإن الاهتمام بها جد حديث، إذ أننا منذ قرن واحد من الزمان كانت معلوماتنا عن تاريخ بلاد العرب قبل الإسلام تعتمد فقط على مصادر قليلة لا تشفى غليل العلماء، فكان الاعتماد بشكل رئيسى على ما جاء فى التوراة وعلى ما كتبه المؤرخون والرحالة اليونان والرومان، وعلى كتابات المؤرخين العرب والشعر الجاهلى وظل الأمر كذلك حتى أخريات القرن الثامن عشر الميلادى حينما بدأ الأوروبيون يهتمون ببلاد العرب وكان وراء ذلك العديد من الدوافع والأسباب، التى منها الدوافع السياسية، فكان للرغبة فى السيطرة على بلاد العرب بعد امتداد النفوذ الغربى فى الشرق الأوسط والأقصى أثره فى دراسة هذه المنطقة، ومنها الرغبة فى معرفة ما تحويه هذه البلاد من آثار، فقد سمع الأوروبيون فى رحلاتهم إلى الهند ما يتناقله سكان شواطئ اليمن وحضرموت عن الآثار والابنية والنقوش المدفونة فى التلال والأودية، كما كان للكتابات القصصية التى سجلها مؤرخو اليونان والرومان والعرب،

وما حفلت به الكتب المقدسة عن ملكة سبأ وسليمان عليه السلام أثرها فى محاولة الكشف عن التراث القديم لبلاد اليمن.

ومن أوائل من قاموا باكتشافات علمية منظمة فى جنوب بلاد العرب «كارستن نيبور Carsten Niebuhr»، الذى كان ضمن بعثة دانيماركية غادرت ميناء كوبنهاجن عام ١٧٦١م، وظل فى بلاد العرب الجنوبية حتى عام ١٧٩٧م. وتكونت هذه البعثة بالإضافة إلى كارستن نيبور، من عالم متخصص فى اللغات الشرقية وهو «كريستنس فون هافن»، وعالم متخصص فى علم الحيوان وهو «كريستنس كارل كرامر». وكانت النتائج التى توصلت إليها هذه البعثة من أفضل النتائج التى توصلت اليها البعثات العلمية فى ذلك الوقت، وما زالت المعلومات التى دونها كارستن نيبور مرجعاً أساسياً عن اليمن حتى الآن، وهو يعتبر أول رائد من رواد الغرب ظهر فى القرون الحديثة، وصف بلاد العرب، ولفت انظار العلماء إلى المسند والأرقام العربية، إلى جانب ما قدمه من خرائط لأماكن مجهولة لم تكن قد وطأتها قدم أوروبى قبل ذلك(١). وقد أثارت رحلته هذه همم العلماء والسياح، فقام من بعده عدد منهم لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً برحلات إلى مختلف انحاء جزيرة العرب عادت على التاريخ العربى والكشوف الأثرية بالجزيرة العربية بفوائد جمة مكنت الباحثين من تتبع المراحل الرئيسية لتاريخ العرب فى العصور القديمة.

ومن هؤلاء الباحثين الدكتور أولريخ جاسبار سيتزن الألمانى الذى تمكن من الوصول إلى ظفار حيث نجح فى العثور على النقوش التى أشار إليها كارستن نيبور وفى نسخ خمسة نقوش بالقرب من ذمار تعتبر أولى النقوش العربية الجنوبية، وقد أرسلها إلى أوربا عام ١٨١٠م، وهذه النصوص على قصرها أفادت فى تدوين تاريخ العرب قبل الإسلام إفادة غير مباشرة، لأنها

(١) أحمد فخرى، اليمن ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٧٧ وما بعدها.

لفتت انظار المستشرقين إليها وإلى دراسة التاريخ العربى القديم حتى آل الأمر إلى حل رموز تلك الكتابة ومعرفة حروفها(١).

وخطا البحث الأثرى فى جنوب الجزيرة العربية خطوات كبيرة على يد الصيدلى الفرنسى توما يوسف أرنو Tomas Joseph Arnaud الذى زار اليمن عام ١٨٤٣م(٢)، وتمكن بفضل علمه بالعقاقير من اكتساب صداقة المشايخ والزعماء، وبهذه الصداقة استطاع أن يتجول فى بعض أنحاء اليمن ومدنها، ولم يكن ذلك أمراً ميسوراً للغرباء، فزار مأرب وصرواح وقام بنقل ٥٦ نقشاً سبئياً، وكان لعمله أهميته فى اقبال المستشرقين على فك رموز الخط العربى الجنوبى الذى اطلقوا عليه بشكل عام فى البداية إسم الحروف الحميرية، ولكن سرعان ما تبين لهم أن هذه النقوش ليست كلها حميرية، وأن بعضها نصوصاً معينية وبعضها كتابات سبئية ترجع إلى عهد دولة سبأ، وبعضها بلهجات أخرى، تختلف عن الحميرية بعض الاختلاف، وهذه الكتابة، هى الكتابة المسماة بـ «خط المسند»، وبـ «القلم المسند»، وبـ «المسند» فى المصادر العربية.

وفى عام ١٨٧٠م قام اليهودى الفرنسى يوسف هاليفى Joseph Halevy برئاسة بعثة فرنسية تابعة لإكاديمية الفنون والآداب الجميلة، بزيارة اليمن ولقد دخل اليمن فى هيئة يهودى متسول من أهل القدس ليتجنب بذلك ما يتعرض له الغرباء وأهل البلاد المسلمون على السواء من أخطار رجال القبائل وقطاع الطرق الذين لا يمسون أهل الذمة بسوء، وقد أستطاع بهذه الطريقة التجول فى ارجاء اليمن حتى بلغ أعاليها مثل نجران وأعالى الجوف، وهى المنطقة التى كان فيها المعينيون، ووصل فى تجواله إلى مأرب وإلى صرواح.

---

(١) ديتلف نلسن: التاريخ العربى القديم، ترجمة وزاد عليه الدكتور فؤاد حسنين، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٦، جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون من المغامرة والعلم، ترجمة قدرى قلعجى وقدم له الشيخ أحمد الجاسر، بيروت، ١٩٦٣، ص ٢٠٥ وما بعدها.

(٢) أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٥٠.

وأخيراً عاد إلى فرنسا ومعه ٦٧٦ نقشاً لم يكن من بينها إلا أحد عشر نقشاً سبق أن نقلها أرنو، ومع ذلك فأهم نتائج هذه الرحلة كان فى المعلومات الجديدة التى وردت فى هذه النقوش، فضلاً عن الآثار القديمة التى زارها وقام بوصفها وخاصة خرائب «قرناو» عاصمة دولة معين[١].

ومن أهم من جاء بعد هاليفى، العالم النمساوى ادوارد جلازر Edward Glaser الذى قام بأربع رحلات إلى اليمن بين ١٨٨٢ و ١٨٩٤ عاد منها بعدد كبير من النصوص والنقوش بلغت زهاء ألف نقش ونص، وبمادة غزيرة من المعلومات. ولقد أعد جلازر نفسه لهذه الرحلات اعداداً جيداً فزار قبل ذهابه إلى اليمن كل من تونس ومصر ليتمكن من اللغة العربية ويتعرف على العادات العربية، ورغم أنه يهودى، فقد أدعى الإسلام، وارتدى زى علمائه وسمى نفسه «الحاج حسين». ولقد تمكن فى رحلته الأولى التى استمرت من اكتوبر ١٨٨٢ وحتى مارس ١٨٨٤م من الحصول على ٢٥٠ مقشاً، وفى رحلته الثانية التى استمرت من ابريل ١٨٨٥ وحتى فبراير ١٨٨٦ تمكن من جمع معلومات مهمة عن طبوغرافية البلاد وأماكنها الأثرية وعاد بعدد من النقوش التى أضيفت إلى ممتلكات المتحف البريطانى[٢]، وفى رحلته الثالثة التى استمرت من عام ١٨٨٧ وحتى ١٨٨٨م حصل على اربعمائة نص من مدينة مأرب، ونصوص أخرى من مدينة صرواح يرجع عهدها إلى العصر السبئى. وفى رحلته الرابعة التى استمرت من عام ١٨٩٢ وحتى عام ١٨٩٤ إستعان بالأعراب فى نسخ النقوش القديمة فى مناطق الجوف، ومن ثم فقد تيسر له جمع مئات من النقوش الهامة دون أن يذهب بنفسه إلى تلك المناطق البعيدة المحفوفة

---

(1) Fakhry, A., An Archaeological Journey to Yemen, Cairo, 1952, Vol. 1, pp. 21 - 24.

(2) Derenbourg, H., Yemen Trnscriptions, the Glaser Collection in the Bebyloniana and Oriental Record, 1, 1887.

بالمخاطر، كما تمكن خلال هذه الرحلة من جمع مجموعة من النقود العربية القديمة، التى أصبحت ضمن مقتنيات المتحف الخاص بتاريخ الفنون فى فيينا(١).

وبفضل هذا العدد الضخم من النقوش التى حصل عليها جلازر تمكن المهتمون بدراسة تاريخ القسم الجنوبى من بلاد العرب من التعرف على خصائص اللغات العربية الجنوبية القديمة ومقارنتها بغيرها من اللغات السامية بما يستتبعه هذا من التوصل إلى معرفة بعض العلاقات الداخلية والخارجية فى صدد الاتصالات بين هذه المنطقة وغيرها من مناطق العالم القديم، ولقد فتحت رحلات جلازر عهداً جديداً لمعلوماتنا عن اليمن. ويرجع السر فى نجاحه وتوفيقه إلى أعداده العلمى الذى امتاز به عن سائر رفاقه الذين سبقوه، فقد درس التقاليد والعادات واللغة العربية والديانة الإسلامية، ثم أنه كان يحدد هدفه قبل البدء فى الرحلة، ولقد قضى حوالى عشرة أعوام بين القبائل العربية فاكتسب صداقتهم وأمن جانبهم، كما كان محبباً إلى كثيرين من أفراد قبائلهم وإلا ما استطاع أن يحصل على ما حصل عليه من وثائق ونقوش وعملات. ومن حسن الطالع أن الله وهب جلازر منذ عودته من رحلاته فى بلاد العرب الجنوبية إلى حين وفاته فسحة من الوقت مكنته من العناية بالنقوش ودراسة مشاكلها، كما استغل بعض الإشارات الواردة فيها لوضع مؤلف عن تاريخ بلاد العرب الجنوبية.

وفى عام ١٩٣٦، أرسلت جامعة القاهرة بعثة علمية إلى جنوب بلاد العرب تحت رياسة الدكتور سليمان حزين، كانت مهمتها دراسة المنطقة من نواحيها الجغرافية والزراعية والجيولوجية، وكذلك دراسة النقوش السبئية، إلا أن نشاط البعثة الأثرى اقتصر على المنطقة المحيطة ببلدة «ناعط»، وقد نشرت البعثة بحثين أحدهما عن الخطوط التجارية فى شبه الجزيرة فى

---

(١) ديتلف نلسن، المرجع السابق، ص ٢١ — ٢٢.

العصر الروماني، والأخر عن التغيرات المناخية التى أدت إلى الهجرات من جنوب شبه الجزيرة إلى شمالها فى العصور القديمة(١).

وفى عام ١٩٤٧، قام الاستاذ الدكتور أحمد فخرى برحلة إلى اليمن زار فيها مناطق صرواح ومأرب وما حولهما وكذلك جميع مراكز الحضارة المعينية فى الجوف، وقد تمكن من العثور على حوالى ١٢٠ نقشاً جديداً لم تكن معروفة من قبل، كما أخذ مجموعة من الصور «الفوتوغرافية» لكل ما رآه من آثار وبخاصة سد مأرب والمعابد الأخرى وبخاصة معبد «المقه» فى مأرب وقد نشر نتائج رحلته فى بعض مقالات، وفى كتاب أصدره عام ١٩٥٢م، فى ثلاثة أجزاء، ثم قام بزيارة اليمن مرة أخرى عام ١٩٥٩م حيث زار مأرب للمرة الثانية ونقل نقوشاً جديدة لم تكن معروفة من قبل، كما نجح فى الوصول إلى موقع معبد فى منطقة المساجد، وهو معبد كبير وحالته لا بأس بها(٢).

ولقد توالت بعد ذلك البعثات الأثرية لعمل ابحاثها ودراساتها فى جنوب الجزيرة العربية، حيث اضافت الكثير إلى معلوماتنا عن الحياة السياسية والاجتماعية والدينية فى جنوب الجزيرة العربية.

وإلى جانب هذه المجهودات العلمية الخاصة بجنوب الجزيرة العربية، فقد كانت هناك مجهودات موازية فى القسم الشمالى من شبه الجزيرة العربية، ومنها ما قام به الرحالة «دى فرتيماء الذ وصل إلى مكة قادماً من دمشق عام ١٥٠٣م ثم واصل رحلته إلى عدن، وقد قام برسم خريطة لشبه الجزيرة العربية كما رسمها بطليموس(٣). وفى عام ١٨١٢م تمكن الرحالة

---

(١) نشر الدكتور سليمان حزين بعض ملاحظاته عن هذه الرحلة العلمية فى مجلة.
- Nature. Vol, CXI, 1937, p. 513 ff.
كما قام عضو البعثة الدكتور خليل يحيى نامق بعمل رسالة عن نتائج هذه الرحلة بعنوان: نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها وذلك عام ١٩٤٣.

(٢) قام أ.د. أحمد فخرى بنشر نتائج أعماله فى اليمن فى كتابه An Archaeological Journey to Yemn الذى نشره عام ١٩٥٢ فى ثلاثة أجزاء.

(٣) جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون من المغامرة والعلم، ص ٣٧ – ٤٤.

السويسرى «جوهان ليدونج بوركهارت» من الكشف عن مدينة البتراء، كما قام بزيارة الحجاز حيث قدم وصفا دقيقاً لموسم الحج وكتب عن مكة والمدينة كتابة علمية

وفى بداية القرن العشرين قام العالم التشيكوسلوفاكى الويس موسيل Alois Musil بزيارة نجد والحجاز وبخاصة المواقع التى كانت تمر بها خطوط القوافل التجارية، ولقد كتب عدة مؤلفات فى وصف شمال الحجاز وبادية الشام ومنطقة الفرات الأوسط وتدمر ونجد.

ومن هؤلاء الرحالة أيضاً «هارى سان جون بريدجر فلبى» الذى قام بعدة رحلات فى أرجاء المملكة العربية السعودية، وكان آخر هذه الرحلات عام ١٩٥١ – ١٩٥٢م وكان بصحبته العالم البلجيكى «ج. ريكمانز» حيث زارا المثلث الواقع بين جدة ونجران والرياض، وعاد ومعه ١٢٠٠٠ نقشاً، منها تسعة آلاف نقش ثمودى وبقيتها نقوش لحيانية وسبئية(١).

واستمرت عمليات البحث فى منطقة الجزيرة العربية، وقام بهذه الجهود بعثات كندية وأمريكية وألمانية وانجليزية، وأخيراً قامت البعثات الوطنية بدورها فى هذا المجال، ومنها بعثة قسم التاريخ بجامعة الرياض برياسة الدكتور عبد الرحمن الانصارى فى منطقة الفاو بوادى الدواسر.

وترجع أهمية المصادر الأثرية فى كونها التعبير المادى الملموس الذى خلفه لنا الإنسان فى الجزيرة العربية، وهو يتصل بكافة مجالات الحياة وميادينها، وتنقسم المصادر الأثرية إلى أنواع متعددة منها المصادر الأثرية المعمارية وتشمل بقايا المنازل والمقابر والمعابد والحصون والسدود، أى جميع البقايا المعمارية سواء كانت دينية أو دنيوية فى كافة مجالاتها، وهناك كذلك المصادر الأثرية الفنية وتتضمن جميع ما خلفه الإنسان فى مجالات النحت والنقش والتصوير، وهناك كذلك الأدوات والأوانى المصنوعة من الاحجار أو الفخار أو الأصداف أو العظام أو المعادن وغيرها، وتشمل

---

(١) أحمد فخرى، اليمن ماضيها وحاضرها، ص ١٤٨، محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص ٨٥.

المصادر الأثرية كذلك أدوات الزينة والعملات التى كانت متداولة. وأخيراً فمن أهم المصادر الأثرية التى خلفها لن الإنسان تتمثل فى النقوش التى سجلها الإنسان سواء على جدران المعابد أو الألواح التذكارية أو النصب أو على صخور الجبال.

وسنقوم فيما يلى باعطاء صورة تفصيلية بعض الشئ لبعض أنواع هذه المصادر، ونبدأها بالمصادر الأثرية المعمارية:

تعتبر المصادر الأثرية المعمارية من المصادر الهامة التى يستطيع المؤرخ بواسطتها تكوين فكرة عن الأحوال الاجتماعية والسياسية للمجتمع الذى تقوم بدراسته، فيستدل من طبيعة المواد المستخدمة فى البناء وحجم المبانى على المستوى الاقتصادى أو الطبقى لهذا المجتمع، وتوضح المبانى الدينية، طبيعة المعبودات السائدة ومدى الشعور الدينى، ومن ناحية أخرى فإن مواقع الحصون والأسوار تشير إلى المناطق التى كانت معرضة للهجوم، ويستدل من ذلك على أحد أمرين، أما أن هذه المنطقة كانت تجاور مجتمعاً آخر وجدت لديه الرغبة فى بسط نفوذه أو مدها على هذه المنطقة، أو لأهمية هذه المنطقة الاقتصادية أو الاستراتيجية كأن تكون تقع مثلاً على طريق العوافل التجارية أو قد تكون معبراً لدولة أخرى.

ولقد وهب الله بلاد العرب الجنوبية الاحجار الجيدة اللازمة للبناء، وبخاصة احجار الجرانيت والجبس والاحجار الجيرية والبازلت، كما تتوفر بكثرة الاخشاب اللازمة للبناء، ولقد استخدم الانسان فى جنوب الجزيرة العربية الطوب مع الحجر فى العمارة، واستكملت المبانى العربية الجنوبية تطورها المعمارى، ووضح ذلك فى نحت الصخور الرخامية الكبيرة التى كانت تنحت نحتاً منتظماً، ويبنى بها بطريقة لا نكاد نتبين منها تعدد الاحجار، وكانت يتم تماسكها ببعضها بواسطة بعض الأوتاد الرصاصية التى كانت تربط المداميك عن طريق ثقوب، كما كان يصب الرصاص أحياناً لزيادة تدعيم البناء وتثبيته. وتتميز هذه المبانى بزخارفها المتعددة، فقد أهتم بزخرفة الاسقف والحيطان والابواب، وكان يتم بواسطة الذهب والفضة والاحجار الكريمة، أما الاعمدة فكانت تزخرف بصفائح الذهب والفضة.

ومن نماذج المبان المعمارية التى كشف عنها فى جنوب بلاد العرب معبد الإله المقه الذى يقع جنوب شرق مأرب والذى يطلق عليه العرب إسم «حرم بلقيس»، ويبلغ طوله حوالى ٨٦ متراً وعرضه ٧٦ متراً، وتنتهى الجدران بافريزين يتكونان من مربعات بينها فراغ وهذه تكون فتحات للهواء، ولا يوجد أى أثر للسقف، ولو أن إحتمال وجود سقف ليس بمستبدع لأن إضاءة الفناء قد تتم عن طريق فتحة فى السقف حيث لا توجد فتحات لنوافذ ويوجد بابان كبيران إلا أن إحدهما أكبر من الآخر، والكبير منهما يقع فى نهاية الجهة الشمالية الشرقية، والاصغر يقع فى الجهة الشمالية الشرقية. وكانت تتقدم الابواب والفناء عدد من الاعمدة المربعة الشكل.

وفيما يختص بعمارة الأسوار التى تحيط بالمدن، لفقد كشف عن بعضها ومنها السور القديم الذى توجد بقاياه عند مدينة تاج الحالية فى المنطقة الشرقية لشبه الجزيرة على مقربة من شاطئ الخليج، وكذلك السور القديم الذى لا تزال آثاره باقية إلى ارتفاع أربعة أمتار فى بعض الأماكن حول مدينة تيماء فى القسم الشمالى الغربى من شبه الجزيرة العربية ويفسر لنا هذا السور أهمية الموقع الذى كانت تشغله هذه المدينة فى العصور القديمة، فهى كانت تقع فى الطريق بين وادى الرافدين وسورية(١).

وتجلت عبقرية العرب الجنوبيين فى إقامة السدود التى من أشهرها سد مأرب فى اليمن الذى شيد بحيث يحجز مياه الأمطار وراءه، حيث يتم التحكم فيها بواسطة عيون تفتح وتغلق حسب الحاجة. ومن هذه السدود كذلك سد السملقى الموجود بأعلى وادى ليه فى ضواحى مدينة الطائف جنوب المدينة المنورة بحوالى ٣٥ كيلو متراً، وقد استمر وجوده فى العصر الإسلامى ولا تزالى معظم جوانبه قائمة(٢).

وهناك نوع آخر من الابنية ظهر بوجه خاص فى القسم الشمالى الغربى

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع ا لسابق، ص ١٣٢ – ١٣٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٣٤.

من شبه الجزيرة العربية، وهى المنطقة التى تكثر فيها التكوينات الصخرية، وكان يتم تشييد المساكن فى هذه المناطق بواسطة النحت فى هذه التكوينات الصخرية، بحيث تشكل فيها غرف وواجهات وأعمدة وزخارف، ومن الأمثلة الموجودة لهذا النموذج ما نجده فى مدينة البتراء جنوب الأردن، وفى واحة البدع (التى تعرف باسم مغاير شعيب) شرق خليج العقبة، وفى مدائن صالح شمال العلا بحوالى ١٥ كيلو متراً.

ولم تبذل مثل هذه العناية فى تشييد المقابر، إذ كان يدفن المتوفى فى تابوت حجرى قائم الزوايا، وكان يوضع عليه غطاء حجرى، وفى أغلب الاحوال كانت تتجمع بعض المقابر فى مكان واحد يحيط بها سور، وأحياناً كان يدفن الموتى فى غرف منحوتة فى الصخر أو فى مدافن مستقلة بحيث يتكون كل مدفن من حجرتين، وكان يقام نصب على القبر، والنصب عبارة عن اعمدة ملساء رباعية الاركان، وفى الجهة الأمامية يوجد فى أعلى النصب إسم المتوفى، ويوجد أسفل اسم المتوفى مربع صغير رسم فيه رأس المتوفى. وأحياناً كان يرسم الرأس فى الجزء العلوى من النصب وتحت الرسم يذكر إسم المتوفى، وهناك نوع آخر بسيط من النصب يشتمل على الكتابة وتحتها عينان فقط.

ومن المصادر الأثرية كذلك المنحوتات[1] سواء كانت تماثيل أو نقوش بارزة أو غائرة، وتوضح نماذج التماثيل التى عثر عليها فى جزيرة العرب وجود صلات بين المناطق التى كشف فيها عن هذه التماثيل وبين حضارات الشرق الأدنى القديم فى مصر والعراق، كما يوضح بعضها وجود تأثيرات يونانية فى صناعة بعضها ومن هذه التماثيل، تمثال صغير عثر عليه فى مدينة العلا شمال غرب الجزيرة العربية يبدو من هيئته أن الفنان الذى قام بنحته كان متأثراً بالفن المصرى القديم فى مجال نحت التماثيل، ولقد عثر فى جزيرة تاروت المجاورة لشاطئ الخليج العربى عند القطيف على تمثال

---

(١) أنظر: نفس المرجع السابق، ص ١٣٨ وما بعدها.

يشبه من حيث نحته التماثيل السومرية التى ظهرت فى جنوب بلاد الرافدين.

وفى جنوب بلاد العرب، عثر فى مدينة تمنع بقتبان على تمثال لطفل يمتطى أسداً، ويظهر فى هذا التمثال الأثر اليونانى واضحاً، ويظهر ذلك فى تمثيل الطفل عارياً، حيث كان العرى ظاهرة شائعة فى التماثيل اليونانية، وكذلك فى ليونة الحركة الخارجية، ويرى استاذنا الاستاذ الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى أن هذا التمثال الذى يرجح أنه قد صنع فى القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول الميلادى، كان تأثيراً يونانياً جاء نتيجة الاحتكاك بين اليونان وجنوبى شبه الجزيرة، فقد أخذ اليونان يزاولون الملاحة فى البحر الأحمر منذ القرون الثلاث الأولى ق.م بتشجيع من البطالمة فى مصر، واستمر ذلك أبان الامبراطورية الرومانية حيث عمل الاباطرة الرومان على فرض نفوذهم على مدخل البحر الأحمر عند مضيق باب المندب. وفى خلال هذا النشاط التجارى البحرى بما فيه من مبادلات كان المجال مفتوحاً لوصول بعض الدمى اليونانية التى قدرها الفنان العربى الجنوبى.

ومن المصادر الأثرية الهامة التى يعتمد عليها المؤرخ فى دراسته لتاريخ شبه الجزيرة العربية المخربشات والنقوش وهى عبارة عن نصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة، منها ما عثر عليه فى بلاد العرب الجنوبية، وتتضمن كتابات المعينيين والسبئيين، ومنها ما عثر عليه فى أماكن أخرى من جزيرة العرب، مثل أعالى الحجاز وبلاد الشام ووسط الجزيرة وشرقها، ولقد ساعدتنا المخربشات والنقوش والكتابات التى عثر عليها بالإضافة للمصادر الأثرية الأخرى فى تقديم صورة واضحة إلى حد ما عما كان جارياً فى تلك البلاد منذ القرن التاسع قبل الميلاد رحتى ظهور الإسلام، ولاسيما أن للآثار ميزتها باعتبار أنها الشاهد الناطق الوحيد الباقى لنا من تلك الأيام الماضية.

ومع ذلك فهناك نقاط ضعف تلاحظ على هذه المصادر منها[1] اولا،

---

(١) أنظر: محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص ٢٥ – ٢٩.

أن الكتابات المؤرخة منها قليلة، ومن ثم فلم تهدنا إلى تقويم ثابت يمكن القول أن العرب القدامى كانوا يستعملونه، وهذا يجعلنا نعتقد أن العرب كانوا يؤرخون الاحداث طبقاً لسنى حكم الملوك، بل أن البعض قد تجاوزوا ذلك إلى التأريخ بأيام الرؤساء والبعض الآخر أهمل التأريخ تماماً، ومنها ثانياً أن أهمية معظم النقوش تنحصر فى الناحية اللغوية أكثر من أهميتها التاريخية، لأنها فى غالبيتها تتشابه فى مضمونها وفى أنشائها لتعلقها بأمور شخصية، ومنها ثالثاً أن النصوص اللحيانية عبارة عن مخربشات صغيرة وبعضها ليست نقوشاً كاملة، ومن ثم فإن الفائدة منها قليلة، كما أن قلة من العلماء هى التى كانت بقادرة على ترجمتها، ومنها رابعاً أن معظمها ذات صبغة دينية نظراً لأنها وجدت فى المعابد والقبور، ومنها خامساً أنه يجب أخذ جانب الحيطة والحذر إذا كان النقش يشير إلى ملك أو حاكم يتحدث عن منجزاته وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بانتصارات أحرزها على خصومه، نظراً لإحتمال المبالغة فى تمجيد الانتصارات، أو التهوين من شأن الهزائم.

ومع كل نقاط الضعف هذه ، فقد أفادتنا فائدة كبيرة فى تدوين تاريخ العرب القديم، فقد أمدتنا بأسماء عدد من الملوك، لولاها لما عرفنا عنهم شيئاً، كما استطعنا من خلال الاشارات التى وردت فى بعض النقوش عن حروب وقعت بين بعض المناطق أن نكون فكرة عن طبيعة العلاقات الموجودة بين هذه البلاد ونفس الأمر إذا كانت هناك اشارات إلى وجود نوع من العلاقات السلمية كالتبادل التجارى أو زيارات الوفود وغيرها.

وتقدم بعض النقوش معلومات تساعدنا على معرفة مدى الارتباط أو الاتصال بين لغة وأخرى، ومن أمثلة هذه النقوش التى عثر عليها، النقوش المعينية السبئية، التى وجدت فى منطقة قريات الملح فى القسم الشمالى الأوسط من شبه الجزيرة، والتى يحاول الباحثون اللغويون أن يجدوا فيها همزة الوصل بين لغة الجنوب ولغة الشمال، ومن هذه النقوش كذلك، النقش الذى عثر عليه هاليفى بمنطقة نجران عام ١٧٧٢م والذى اتضح للباحثين

بعد دراسته أن لغة العرب الجنوبيين فى شبه الجزيرة العربية كانت قريبة فى بعض مناحيها من اللغة الأكدية واللغة الحبشية، وذلك فيما يتصل بتكوين الاسماء وتصريف الافعال وبعض المفردات والضمائر، وكان لهذا النقش أهمية أخرى بالغة، وهو أنه كان من النقوش التى ساعدت الباحثين فى ترسم العلاقة بين الخط العربى الجنوبى وبين الخط الذى كتبت به العرب النقوش التى عثر عليها فى سيناء.

ويستفاد من النقوش فى معرفة بعض المعلومات عن الأحوال والنظم والقوانين والعادات التى كانت سائدة فى منطقة أو أخرى من شبه الجزيرة العربية، وفى هذا المجال فلقد كشف عن آلاف النقوش التى تتصل بعبادة بعض الآلهة مثل المقه وعشتار وشمس، كما كشف عن بعض النقوش التى سجلت بعض القوانين أو التى تشير إلى بعض القوانين التى كانت سائدة فى وقت تسجيلها.

وتعتبر البقايا الفخارية من المصادر الهامة التى يعتمد عليها المؤرخ فى دراسته لتاريخ العرب قبل الإسلام، إذ تشير البقايا الفخارية إلى الأحوال الاجتماعية، فقد كان الفخار هو السلعة الأكثر استخداماً فى الحياة اليومية، وتشير كميات الفخار التى يعثر عليها على مدى وجود حياة مستقرة من عدمه، ويستدل كذلك من طراز صناعة الأوانى الفخارية وزيناتها على التطور الحضارى، كما أنها تستخدم كوسيلة من وسائل التقويم الزمنى للموقع الذى توجد فيه، وذلك عن طريق دراسة المادة المستخدمة فى صناعتها وتقنيتها ونقوشها وزيناتها ومقارنتها بالبقايا الفخارية المشابهة فى المواقع الأخرى.

ومن المصادر الأثرية كذلك، العملة، وهى تساعد المؤرخ فى تحديد التواريخ والتعرف على أسماء الملوك الذين اصدروها، وتفيد كذلك فى معرفة الاحوال الاقتصادية من حيث المعدن الذى صنعت منه. وفى أحيان أخرى يستدل من وجود عملات أجنبية على معرفة العلاقات التجارية الخارجية[١].

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٤٠ - ١٤٧.

ثانياً: كتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان:

تتضمن كتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان على معلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد العرب قبل الإسلام[1]، ويبدو أن مصدر معلومات هؤلاء الكتاب هم الجنود اليونان والرومان الذى اشتركوا فى الحملات التى وجهتها بلادهم إلى بلاد العرب، وكذلك من السياح الذين اختلطوا بقبائل عربية واقاموا بين ظهرانيها، وكذا من التجار والبحارة الذين كانوا يتوغلون فى تلك البلاد. وتعد الاسكندرية من أهم المراكز التى كانت تعنى بجمع المعلومات عن بلاد العرب وعادات سكانها، ومنتجاتها، وذلك لتقديمها إلى من يرغب فيها من تجار البحر المتوسط، وقد استقى كثير من كتاب الاغريق والرومان معارفهم من هذه المصادر التجارية العالمية.

ورغم أهمية هذا المصدر، إلا أن هناك نقاط ضعف فيه، منها، أن هؤلاء الكتاب كانوا يحكمون على ما يرونه ويسمعونه من وجهة نظرهم، وحسب عقليتهم وإدراكهم وتأثرهم بعادات بلادهم وديانتها، فضلاً عن أنهم لم يكونوا يعرفون لغة البلاد التى كانوا يصفونها، أو يتحدثون عن تاريخها، فاعتمدوا على رواية محدثيهم، وكلهم من مستوى لا يزيد عنهم كثيراً، أضف إلى ذلك أن كثيراً منهم قد أساءوا فهم ما رأوه، أو ذهب إلى وجود أصل مشترك بين بعض القبائل العربية واليونانية، ولعل فى هذه الفكرة – رغم سذاجتها – ما فيها من إشارات إلى علاقة قديمة جداً بين سكان شبه الجزيرة، وبين سكان البحر المتوسط الشماليين.

ومن أولى إشارات المصادر اليونانية عن بلاد العرب، ماورد فى ملحمة هوميروس «الاوديسية»، وكذلك الاشارة التى وردت فى اشعار هزيودوس Hesiodes، ثم الإشارات التى وردت فى مسرحية ايسخيلوس Aeschylos (٥٢٥ / ٤-٤٥٦ ق.م).

---

(١) أنظر عن كتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان:
– لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٩٦ – ٢٢٨، جواد على، المرجع السابق، ص ٥٦ – ٦١.

وابتداء من مطلع القرن الخامس قبل الميلاد بدأت الكتابات التاريخية المفصلة عن بلاد العرب في الظهور، ومن هؤلاء المؤرخين:

١- هيرودوت Herodotus، (حوالي ٤٨٤ - ٤٣٠ ق.م): تعتبر كتاباته أول كتابات مفصلة عن بلاد العرب، وقد تعرض هيرودوت لذكر العرب عند الحديث عن الحروب التي قامت بين فارس ومصر على أيام الملك الفارسي قمبيز (٥٣٠ - ٥٢٢ ق.م)(١).

ويلاحظ أن هيرودوت في كتاباته لا يقصر تسمية بلاد العرب على شبه الجزيرة العربية ولكنه يطلقها، إلى جانب شبه الجزيرة العربية على كل القسم الداخلي من سورية وعلى شبه جزيرة سيناء وصحراء مصر الشرقية، ولقد تطرق في كتاباته إلى موقع شبه الجزيرة العربية وتربتها وعن عادات العرب وتقاليدهم وعقائدهم الدينية وملابسهم وسلاحهم وطرقهم في الحرب، وأورد في كتاباته كذلك الشيء الكثير عن منتجات بلاد العرب كاللبان والمر والقرفة واللادن، كما ذكر مقتطفات من تاريخهم وعلاقاتهم الخارجية. ولكن يؤخذ على كتابات هيرودوت أنها لم تنجو من الأفكار الساذجة التي سادت عصره، وجعلت كتاباته بها نواة الحقيقة ومغلفة بالمبالغة والتحريف.

٢- ثيوفراستوس Theophrastos، (حوالي ٣٧١ - ٢٨٧ ق.م) كان اخصائياً في التاريخ الطبيعي واحد تلاميذ أرسطو، وأصبح خليفته في رئاسة معهد اللوتيون، وقد ألف كتاب Historia Plantarum وكذلك كتاب De Causis Plantarum، ويلاحظ أنه في خلال حديثه عن النباتات تطرق إلى ذكر البقاع العربية التي كانت تنمو بها الاشجار التي يتحدث عنها، وخص بالذكر المناطق الجنوبية من بلاد العرب، فكان أول من ذكر السبئيين وتكلم بشكل تشريحي عن اللبان والمر الذي يستخرج من مناطقهم كما أعطى بعض المعلومات عن تجارتهم وسفنهم.

---

(1) The History of Herodotus, Translated by G. Rawbinson, in 2 Vols, London, 1920.

٣- اراتوشنيس Eratosthenes، (٢٧٥ - ١٩٤ ق.م): كان جغرافيا، ولقد قدم فى كتاباته تقسيماً لبلاد العرب، فقسمها إلى بلاد العرب الصحراوية وبلاد العرب الميمونة، وقسم المنطقة من الشمال إلى الجنوب حسب الحياة الاقتصادية التى يمارسها السكان، كما تكلم عن بعض الشعوب الموجودة فى جنوب الجزيرة العربية مثل معين وسبأ وقتبان وحضرموت.

٤- سترابون Strabo، (٦٤ ق.م - ١٩م) ألف كتابا باللغة اليونانية فى سبعة عشر جزءاً أسماه «الجغرافية» Geographica، وصف فيه الاحوال الجغرافية الطبيعية لمقاطعات الامبراطورية الرومانية الرئيسية وتاريخها وأحوال سكانها الاجتماعية والدينية، وقد خصص فى كتابه السادس عشر فصلاً خاصاً عن بلاد العرب، ذكر فيه الخطوط التجارية البحرية والبرية من موانئ وطرق الجانب الشرقى للبحر الأحمر إلى موانئ وطرق الجانب الغربى لهذا البحر، محدداً بدايات الخطوط ونهاياتها والمواقع التى تمر بها، وتعرض لنظام الحكم الذى كان يسود بعض المناطق العربية، والعلاقات التى كانت تربط بين أقوام المنطقة وغيرهم، ومن أهم ما قدمه سترابو وصفه للحمله الرومانيه على الجزيرة العربية التى قادها ايليوس جالوس Aelius Gallus أول وال رومانى على مصر. وقيمة حديثه عن الحملة ترجع إلى أنه قد شارك بنفسه فيها وكان صديقاً شخصياً لقائدها، ومن ثم فقد تيسر له الحصول على معلومات قد لا تتيسر لغيره، فوصفه لها وصف شاهد عيان، وقد استهل وصف الحملة بهذه العبارة: «لقد علمتنا الحملة التى قام بها الرومان على بلاد العرب بقيادة ايليوس جالوس فى ايامنا هذه اشياء كثيرة عن تلك البلاد». ولقد ذكر الاسباب التى أدت إلى التفكير فى القيام بهذه الحملة، والاستعدادات التى سبقتها، والطرق التى سلكتها ونتائجها والاخطاء التى وقعت فيها[1].

٥- بلينيوس الأكبر Pliny The Elder، (٢٣ / ٢٤ - ٧٩م): وهو

(1) The Geography af Strabo, Tranlated by H. L. Jones London, 1949.

جايوس بلينيوس سيكوندوس Gaius Plinius Secundus ومن كتبه المهمة كتابه «التأريخ الطبيعي Naturalis Historia» الذى قسمه إلى سبعة وثلاثين قسماً، ولقد تناول شبه الجزيرة العربية فى قسمين من هذا المؤلف ولقد تحدث فيهما عن بلاد العرب وثرواتها وجغرافيتها ومدنها وسكانها وبعض الأحداث التاريخية التى مرت بها، وطرق التجارة فى شبه الجزيرة والمسافات بين بعض المراكز التجارية. ويتحدث كذلك عن المنتجات الطبيعية لشبه الجزيرة العربية ومناطق تواجدها ومواسم محاصيلها وطريقة استخراجها وجمعها. كما يتحدث عن اثمانها.

٦- ومن الكتب الهامة التى وصلتنا عن شبه الجزيرة العربية كتاب لمؤلف يونانى مجهول، واسم الكتاب «الطواف حول البحر الاريترى»[١].

وقد إختلف المؤرخون حول الوقت الذى تم فيه تأليف هذا الكتاب، فيرى البعض أنه فى نهاية القرن الأول الميلادى، أو فى عام ٨٠م، أو فى النصف الأول من القرن الثالث الميلادى. وقد وصف مؤلف هذا الكتاب فى مؤلفه تطوافه فى البحر الاحمر وسواحل بلاد العرب الجنوبية، فوصف الطرق التجارية بين مصر والهند مروراً بشواطئ شبه الجزيرة، كما أشار فى كتابه إلى الانباط وكذلك علاقة الامبراطورية الرومانية بشبه الجزيرة العربية، إلا أنه لم يهتم إلا بأحوال السواحل، أما الاقسام الداخلية من جزيرة العرب، فيظهر أنه لم يكن ملماً بها الماماً كافياً.

٧- كلاوديوس بطليموس Claudi::s Ptolemaius، (القرن الثانى الميلادى): ألف كتاباً فى الجغرافيا أسماه «الدليل الجغرافى Geographike Hyphegesis»، وقد جمع فيه بطليموس ما عرفه العلماء اليونان وما سمعه هو بنفسه وما شاهده بعينيه، ولقد قسم فيه الاقاليم بحسب درجات الطول والعرض، وتكلم فى كتابه عن مدن البلاد العربية وقبائلها واحوالها، وتعتبر الخريطة التى أرفقها بكتابة أدق خريطة وضعت فى العصر القديم، وظلت

(١) فضلو حورانى، العرب والملاحة فى المحيط الهندى، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٥٤

هى الخريطة المعمول بها حتى بدايات العصر الحديث. ولقد قسم بطليموس شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام: العربية الصحراوية، والعربية الصخرية والحجرية والعربية الميمونة[١].

ثالثاً: الكتابات اليهودية:

١- التوراة[٢]:

التوراة أو (التورة) كلمة عبرية معناها الهداية والارشاد، ويقصد بها الاسفار الخمسة الأولى (التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية) والتى تنسب إلى موسى – عليه السلام – هى جزء من العهد القديم، والذى يطلق عليه تجاوزاً إسم «التوراة» من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام.

هذا وقد تحدثت التوراة فى كثير من أسفارها عن العرب وعلاقتهم بالاسرائيليين، غير أنها عندما تتحدث عن العرب، تهتم بالأماكن والقبائل العربية ذات العلاقة الاقتصادية باليهود فى بعض الأحيان، وذات العلاقة السياسية فى احوال أخرى، ولهذا نجدها عندما تتحدث عن القبائل العربية، تتحدث عنها على أساس أنها قبائل كانت لها علاقة بالعبرانيين، ثم هى قبائل بدوية فى المكان الأول، إلا عندما يتصل الأمر بقصة سليمان – عليه السلام – وملكة سبأ، فإن هذه القبائل تصبح ذات شأن آخر. وعلى أى حال، فعلينا حين نتعامل مع التوراة كمصدر تاريخى، أن نتخلص تماماً من الهالة التى أسبغها عليها المؤمنون بها، وأن ننظر إليها كما ننظر إلى غيرها من المصادر التاريخية وذلك لأن من كتبوا التوراة المتداولة اليوم كانوا بشراً مثلنا، وهم كمؤرخين لا يختلفون كثيراً عن نظائرهم من معاصريهم فى الشرق، وهى مادامت كتاب تاريخى، فليس هناك ما يمنع من مناقشتها ونقدها فيما يتفق مع المنطق والمعقول.

---

(١) جواد على، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) محمد بيومى مهران، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، اسرائيل، جزء أول ص ١٩ – ١٥٩.

٢- التلمود:

هناك نوعان من التلمود، التلمود الفلسطينى أو التلمود الاورشليمى كما يسميه العبرانيون اختصاراً، والتلمود البابلى نسبة إلى بابل بالعراق ويعرف عندهم باسم بابل اختصاراً، ولكل تلمود من التلمودين طابع خاص به، هو طابع البلد الذى وضع فيه، ولذلك يغلب على التلمود الفلسطينى طابع التمسك بالرواية والحديث، أما التلمود البابلى، فيظهر عليه الطابع العراقى الحر وفيه عمق فى التفكير وتوسع فى الاحكام والمحاكمات وغنى فى المادة، وقد بدئ فى وضع التلمود منذ القرن الثالث الميلادى، وهو يكمل أحكام التوراة.

ولقد تحدث التلمود عن عدد من جوانب الحياة عند العرب، وأن كان على الباحث أن يستنتج ذلك بشكل غير مباشر فى أغلب الاحوال من حديث كتاب التلمود عن المسائل الفقهية والتشريعية وهو الموضوع الأساسى له، والتى تتطرق الى ما يجوز وما لا يجوز العلم به فى المعاملات بين العرب والعبرانيين، كذلك يجب أن ندخل فى اعتبارنا أن عدداً من الأمثلة التى ترد فى التلمود فى سبيل الحديث عن هذه المعاملات أنه تشير إلى عرب سيناء وليس إلى سكان شبه الجزيرة العربية.

٣- كتابات المؤرخ اليهودي يوسف بن متي (يوسف فلافيوس):

ولد يوسف بن متى فى اروشليم عام ٣٧م، وتوفى حوالى عام ١٠٠ م فى روما، ولقد ألف وهو فى روما كتبه المعروفة التى من أهمها «تأريخ عاديات اليهود Joudaike Archaioloigia» الذى تنتهى حوادثه بعام ٦٦م، وقد ألفه من عشرين جزءاً، وكتاب «تاريخ حروب اليهود Peritou Joudia-kou Polemou» وتبدأ حوادثه من استيلاء انطيوخس افيفانوس Antiochus Epiphanos على القدس عام ١٧٠ ق.م، وحتى الاستيلاء عليها مرة ثانية فى عهد تيتوس Titus سنة ٧٠ م، ولقد كان المؤلف شاهد عيان لهذه الحادثة.

وتحتوى مؤلفاته معلومات قيمة عن العرب، وبخاصة الانباط الذين كانوا يقيمون على أيامه فى منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات فتتاخم بلاد الشام، ثم تنزل حتى تتصل بالبحر الأحمر، غير أنه لم يهتم إلا من ناحية علاقة الانباط بالعبرانيين، فضلاً عن أن بلاد العرب عنده لا تعنى سوى مملكة الانباط.

وعلى الرغم من تحيزه لقومه اليهود ورغبته فى ارضاء حماته من الاباطرة الرومان، واعتماده الى حد كبير على كتاب العهد القديم فى مؤلفاته، فإن لمؤلفاته قيمة تاريخية لا شك فيها، وبخاصة الفترة التى عاصرها والحروب التى شارك فيها[1].

رابعاً: الكتابات المسيحية:

ترجع أهمية الكتابات المسيحية إلى أنها فى ثنايا عرضها لإنتشار المسيحية فى بلاد العرب تعرضت إلى ذكر القبائل العربية وبعض ما كان يوجد فيها والعلاقات فيها بينها وكذلك علاقة القبائل العربية بكل من الفرس واليونان كما ترجع أهميتها أيضاً إلى أنها كانت حينما تتعرض لذكر حوادث معينة كانت تربطها بتواريخ ثابتة مثل المجامع الكنسية أو تواريخ بعض القديسين أو الحروب الهامة. ولقد ساعدنا ذلك فى معرفة تواريخ الاحداث التى أشارت اليها الكتابات المسيحية، ومن هؤلاء الكتاب المسيحيين:

• **يوسيبيوس Eusebius:** (٢٦٣ – ٣٤٠م)[2]: كان واحداً من آباء الكنيسة البارزين فى عصره، وقد ولد فى فلسطين، أو ربما فى قيصرية التى كان أسقفاً لها، وهو أول مؤرخ كنسى يعتد به، ولقد أطلق عليه العديد من الالقاب التى من بينها: يوسيبيوس القيصرى، وأبى التاريخ الكنائسى، وهيرودوت النصارى، وساعده اتصاله بكبار رجال الدولة ورؤساء الكنيسة

(١) فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، بيروت، ١٩٥٨، ص ٣٥٢ – ٣٥٣، جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جزء ثالث، ص ٥٥.

(2) Smith, W., A Dictionary af The Bible, III, p. 107.

– جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جزء أول، ص ٦١ – ٦٢.

على أن يعرف الكثير من أسرار الدولة وأن يرجع إلى المخطوطات والوثائق التى كانت تحويها خزائن الحكومة وخزائن كتب الرؤساء والموسرين، ومن أهم مؤلفاته نذكر مؤلفه الذى أطلق عليه "The Chronicon" وقد ألفه باللغة اليونانية، ولقد ضم بجانب التاريخ العام تقاويم وجداول بالحوادث التى حدثت فى أيامه، ولقد استعرض فى هذا المؤلف تاريخ اليونان والرومان حتى سنة ٣٢٥م، وأمكننا من خلاله معرفة علاقتهم ببلاد العرب وتتبع بعض الاخبار والحوادث التى حدثت فى بلاد العرب.

وبالإضافة إلى هذا المؤلف، فقد ألف العديد من الكتب التى منها: «التأريخ الكنائسى» الذى أخرجه فى عشرة أجزاء وهو يبدأ بالمسيح عليه السلام وينتهى بوفاة الامبراطور ليكينوس Licinius عام ٣٢٤م، وكتاب «شهداء فلسطين» الذى تحدث فيه عن معاناتهم حتى الاستشهاد فى الفترة من ٣٠٣ – ٣١٠م وكتاب سيرة قسطنطين، ويمكننا من خلال هذه المؤلفات معرفة بعض الاخبار عن بلاد العرب وبخاصة بلاد العرب الشمالية.

• بروكبيوس **Procopius**، (المتوفى عام ٥٦٣م): يعد بروكبيوس المؤرخ الكنسى لعصر جستنيان، وكان أمين سر القائد بليزاريوس، وقد رافقه عدة سنين فى بلاد فارس وشمال افريقية وجزيرة صقلية. وقد تحدث فى كتابه «تاريخ الحروب» عن المعارك التى دارت بين الغساسنة واللخميين، فضلاً عن غزو الاحباش لليمن فى الجاهلية(١).

ومن هؤلاء المؤرخين المسيحيين كذلك نذكر كل من اتاناسيوس (حوالى ٢٩٦ – ٣٧١م) وجيلاسيوس (حوالى ٣٢٠ – ٣٩٤م) وروفينوس تيرانيوس المتوفى عام ٤١٠م وايرينوس أسقف صور والمتوفى عام ٤٤٤م، وزكريا المتوفى حوالى عام ٥٦٨م، ويوحنا ملالا المتوفى عام ٥٧٨م.

وذلك بالإضافة إلى ما كتبه المؤرخين النصارى من روم وسريان فى

---

(١) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية، جزء أول، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٨.

أيام الدولة الأموية والدولة العباسية، ولقد ألفوا فى التاريخ العام وتاريخ النصرانية فتحدثوا عن العرب فى الجاهلية والإسلام. وترجع أهمية هذه المؤلفات فى تتبع انتشار المسيحية بين القبائل العربية وعلى معرفة الفرس والروم بالعرب.

وتوجد فى قائمة المخطوطات السريانية فى المتحف البريطانى اسماء مخطوطات تاريخية ودينية ذات فائدة كبيرة فى معرفة اخبار بلاد العرب وعلاقاتهم وذلك أثناء تتبعها لإنتشار المسيحية فى بلاد العرب.

خامساً: المصادر العربية:

١- القرآن الكريم[١]:

يأتى فى مقدمة المصادر العربية القرآن الكريم، كتاب الله الذى «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» (سورة فصلت، آية ٤٢) تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه وصيانته «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (سورة الحجر: آية ٩) وحماه وصانه من أن يتطرق اليه شئ من الضياع فقال سبحانه وتعالى: «وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» (سورة فصلت آية ٤١ – ٤٢).

ويعتبر القرآن الكريم من أصدق المصادر وأصحها على الإطلاق، فلا سبيل إلى الشك فى صحة نصه بحال من الاحوال، والقرآن الكريم كتاب هداية وارشاد انزله الله سبحانه وتعالى ليكون دستوراً للمسلمين ومنهاجاً يسيرون عليه فى حياتهم فإذا ما عرض لحادثة تاريخية، فإنما للعبرة والعظة كذلك فإن القرآن الكريم فى محاولته تصحيح عدد من الأوضاع والممارسات التى كانت سائدة فى المجتمع الجاهلى عند نزوله، يعطينا فكرة واضحة عن

---

(١) محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ العرب القديم، ص ٣٧ وما بعدها.

هذه الاوضاع والممارسات، وعن الدوافع التى أدت بهذا المجتمع إلى اتخاذها طريقاً له والتعنت فى سبيل المحافظة عليها، وهى دوافع يسهب القرآن الكريم فى عرضها وتفصيلها، ومن ثم نستطيع تكوين صورة عن الصراع الذى شهده مجتمع الجزيرة العربية فى نهاية العصر الجاهلى بين ما كان قائماً وبين ما كانت الدعوة الإسلامية بسبيل تقديمه.

ويقدم لنا القرآن الكريم معلومات هامة عن عصور ما قبل الإسلام فى الجزيرة العربية واخبار دولها وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، فقد اشار القرآن الكريم فى كثير من آياته إلى ديانات العرب ومعتقداتهم فى العصر الجاهلى فأشار إلى أصنام العرب وآلهتهم وطقوسهم الدينية ومن هذه العبادات، عبادات ود (القمر) والشمس والشعر ونسر واللات والعزى ومناة، ويشير القرآن الكريم إلى العديد من الدعوات الدينية التى قام بها عدد من الانبياء فى بعض مناطق شبه الجزيرة العربية مثل دعوة هود فى قوم عاد الأولى فى الجزيرة العربية الجنوبية، ودعوة صالح فى قوم ثمود، ودعوة شعيب فى أهل مدين، كما أشار إلى العديد من عاداتهم كوأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر، ومن الناحية الاقتصادية اشار القرآن إلى بعض مجالات نشاطهم الاقتصادى والرحلات التجارية التى كانوا يقومون بها فى الصيف والشتاء، وفى ذلك قوله جل وعلا «لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (سورة قريش).

وبالإضافة إلى ذلك فإن القرآن الكريم قد انفرد – دون غيره من الكتب السماوية – بذكر اقوام عربية بادت كقوم عاد وثمود، فضلاً عن قصة اصحاب الكهف وسيل العرم وقصة أصحاب الاخدود وأصحاب الفيل وغيرها. كما اشار القرآن الكريم فى العديد من آياته إلى إحدى ممالك العرب الجنوبية، وهى مملكة سبأ، فأشار إلى الكثير من أحوالها السياسية والاقتصادية ونظام الحكم بها، وذلك فى سياق قصة ملكتها مع نبى الله سليمان عليه السلام.

٢- الحديث الشريف:

إذا كان القرآن الكريم هو المصدر الدينى الأول، فإن المصدر الدينى الذى يليه هو الحديث. والحديث هو ما ورد عن رسول الله – (ﷺ) – من قول أو فعل أو تقرير[1]. وجاء الحديث مفسراً للقرآن الكريم، ذلك أن كثيراً من آيات القرآن الكريم مجملة أو مطلقة، أو عامة، فجاء رسول الله –(ﷺ)– فبينها أو قيدها أو خصصها، وذلك تصديقاً لقوله تعالى «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم» (سورة النحل آية ٤٤)، ومن هنا كان الحديث الشريف هو المصدر الثانى للشريعة الإسلامية، ثم هو أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم لمعرفة التاريخ العربى القديم.

وأهمية الحديث كمصدر تاريخى للمجتمع العربى قبل الإسلام تنحصر فى عصوره القريبة من الإسلام بالذات، ومن ثم يصبح الحديث مطابقاً لها من الناحية الزمنية، ولقد تضمنت الاحادث النبوية الشريفة بجانب الاحكام الدينية وقوانين المجتمع الإسلامى بعضا من اخبار العرب وعاداتهم الاجتماعية والفكرية قبيل الإسلام.

٣- التفسير:

رغم أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، فإنه لم يكن كله فى متناول الصحابة جميعاً يستطيعون أن يفهموه اجمالاً وتفصيلاً بمجرد أن يسمعوه، ومن ثم فقد اختلفوا فى فهمه حسب اختلافهم فى أدوات الفهم وذلك لأسباب منها: أنهم كانوا يعرفون اللغة العربية على تفاوت فيما بينهم، وأن منهم من كان يلازم النبى صلوات الله وسلامه عليه ويشاهد الاسباب التى دعت إلى نزول الآيات، ومنهم من ليس كذلك، ويرجع ذلك أيضاً إلى اختلافهم فى معرفة عادات العرب فى اقوالهم وأفعالهم.

وكان ذلك من دواعى نشأة علم التفسير، وذلك لفهم القرآن وتدبره،

---

(١) مصطفى السباعى: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، القاهرة، ١٩٦١، ص ٥٩ – ٦٠.

ولبيان ما أوجز فيه، أو ما أشير إليه اشارات غامضة، وقد نشأ علم التفسير فى عصر الرسول - عليه الصلاة والسلام - فكان النبى أول المفسرين له، ثم تابعه أصحابه من بعده، ولعل أشهرهم الإمام على - كرم الله وجهه - وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود.

ونظراً لتضخم التفسير بالاسرائيليات فى عصر التابعين، مما دفع الامام أحمد بن حنبل إلى أن يقول «ثلاثة ليس لها أصل، التفسير والملاحم والمغازى»، أى ليس لها اسناد، لأن الغالب عليها المراسيل، وإلى أن يقول الامام ابن تيمية «والموضوعات فى كتب التفسير كثيرة».

ورغم ذلك، ورغم هذه الشوائب التى شابت التفسير، فالذى لا شك فيه أن كتب التفسير تحتوى على ثروة تاريخية قيمة؛ تفيد المؤرخ فى تدوين التاريخ العربى القديم، وتشرح ما جاء مجملا فى القرآن الكريم[1].

٤- الشعر الجاهلي:

يعتبر الشعر الجاهلى من المصادر التى يعتمد عليها الباحث فى دراسته لتاريخ العرب قبل الإسلام، وذلك لما اشتمل عليه من أمور تتصل بالفخر والحماسة والرثاء والهجاء، أو وصف لطبيعة بلاد العرب، حتى أنه قيل فيه «أنه ديوان العرب»، ويعنون بذلك أنه سجل سجلت فيه اخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم وأفكارهم[2].

وليس أدل على أهمية الشعر الجاهلى ماروى عن «عكرمة» تلميذ ابن عباس أنه قال: ما سمعنا ابن عباس فسر آية من كتاب الله عز وجل الا نزع فيها بيتا من الشعر، وكان يقول «إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله، فاطلبوه فى الشعر، فإنه ديوان العرب، به حفظت الانساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما اشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٤.
(٢) محمد أحمد جاد المولى: وآخرون، أيام العرب فى الجاهلية، القاهرة، ١٩٤٢، ص ط - ى.

رسول الله – (ﷺ) – وحديث صحابته والتابعين»(١). وعن ابن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالامصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره».

ويعود الفضل للشعر الجاهلى فى بقاء الكثير من الاخبار المتعلقة بالجاهلية التى لولاه لما كنا نعرف من أمرها شيئاً، كما كان سبباً فى تخليد بعض الاحداث لسهولة حفظه ولقيام راوية بقص المناسبة التى قيل فيها، ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من شعراء الجاهلية قد ساهموا فى الاحداث التى حدثت فى الجاهلية، ومن ثم فإن اشعارهم تعتبر سجلاً معاصراً لهذه الاحداث، والعوامل التى أدت إليها وما آلت إليه، كما أن حياة بعضهم اتصلت بالإسلام، فلم يكن شعرهم وما قالوه ورووه بعيد عهد عن أهل الاخبار ورواة الشعر.

على أنه يؤخذ على الشعر الجاهلى – كمصدر تاريخى – بعض المآخذ والتى منها أنه لا يرجع إلى أبعد من عصر الجاهلية، وهو جزء من عصر ما قبل الإسلام، فإن ما وصلنا من الشعر الجاهلى لا يتخطى بدايات القرن السادس الميلادى، أى أنه يغطى قرنا واحداً قبل العصر الإسلامى، بينما يقدر العلماء لعصور ما قبل الإسلام مدة قد تتجاوز العشرين قرنا تمتد من منتصف الألف الثانى قبل الميلاد(٢).

ومنها أيضاً ما لحق ببعض قصائد الشعر الجاهلى من زيادة أو نقصان فاحتمال التغيير أو الزيادة فى الابيات أو فى القصائد يظل أمرا محتملاً، ومن

(١) جواد على: المرجع السابق، ص ٦٧ – ٦٨.

(٢) محمد مبروك نافع: تاريخ العرب، عصر ما قبل الإسلام، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٩.

ثم يجب مقارنة هذا الشعر ببعضه حتى يكتسب الباحث تصوراً عاماً للمجتمع الجاهلي يصبح ما يتوائم معها أصيلاً وما لا يتوائم معها دخيلاً أو منحولاً.

كما يجب أن نضع في اعتبارنا عنصر المبالغة المتوقع في الشعر، وفي بعض الاحيان تكون المبالغة من النوع العادي الذي يمكن ادراكه، ولكنه في أحيان أخرى قد تتخذ هذه المبالغات أبعادا أكبر من حقيقتها ومن مضمونها.

ويؤخذ على الشعر الجاهلي أيضاً – كمصدر تاريخي – أنه لا يسهب في الحديث عن التاريخ السياسي للقبائل في شبه الجزيرة العربية بقدر ما ورد فيه عن الأحوال الدينية والاجتماعية. كما أن معظم ما وصلنا منه إنما كان من عمل البدو وليس من عمل الحضر، ومن ثم فهو يمثل البادية أكثر مما يمثل الحاضرة، ويضاف إلى ذلك ما اتجه اليه بعض الباحثين من الاعتقاد بأن العلماء قد خففوا مدفوعين بالعامل الديني من الطابع الوثني في بعض القصائد، كما أن الافراط في الحرص على صحة اللغة وصفائها في أوساط البصرة قد أدى إلى أجراء بعض التصحيحات في الاشعار المروية.

ورغم أن كل هذه المآخذ، فإن ما وصلنا من الشعر الجاهلي، منحولاً أو أصيلاً، يعتبر مصدراً أساسياً لتصوير حياة العرب في الجاهلية، ذلك أن القائمين بتزييفه ونحله كانوا يرمون على أن يقلدوا خصائص الشعر الجاهلي المعنوية واللفظية في مهارة وحذق لدرجة أن الناقد كان يصعب عليه أن يفرق بين قول المزيف وقول الجاهل، وعلى هذا النحو، فالشعر المنحول يدل من حيث تصويره للحياه في العصر الجاهلي على ما يدل عليه الشعر الثابت من تصوير للحياة في بلاد العرب قبل الإسلام[1].

فإننا يمكننا التعرف على جوانب الحياة في المجتمع العربي قبل الإسلام من دراسة الشعر الجاهلي، فمن دراسة أسماء الرهوط والقبائل يمكن تصور

(١) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، بيروت، ١٩٦٤، ص ١٥.

رسول الله – (ﷺ) – وحديث صحابته والتابعين»[1]. وعن ابن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالامصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره».

ويعود الفضل للشعر الجاهلى فى بقاء الكثير من الاخبار المتعلقة بالجاهلية التى لولاه لما كنا نعرف من أمرها شيئاً، كما كان سبباً فى تخليد بعض الاحداث لسهولة حفظه ولقيام راوية بقص المناسبة التى قيل فيها، ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من شعراء الجاهلية قد ساهموا فى الاحداث التى حدثت فى الجاهلية، ومن ثم فإن اشعارهم تعتبر سجلاً معاصراً لهذه الاحداث، والعوامل التى أدت إليها وما آلت إليه، كما أن حياة بعضهم اتصلت بالإسلام، فلم يكن شعرهم وما قالوه ورووه بعيد عهد عن أهل الاخبار ورواة الشعر.

على أنه يؤخذ على الشعر الجاهلى – كمصدر تاريخى – بعض المآخذ والتى منها أنه لا يرجع إلى أبعد من عصر الجاهلية، وهو جزء من عصر ما قبل الإسلام، فإن ما وصلنا من الشعر الجاهلى لا يتخطى بدايات القرن السادس الميلادى، أى أنه يغطى قرنا واحداً قبل العصر الإسلامى، بينما يقدر العلماء لعصور ما قبل الإسلام مدة قد تتجاوز العشرين قرنا تمتد من منتصف الألف الثانى قبل الميلاد[2].

ومنها أيضاً ما لحق ببعض قصائد الشعر الجاهلى من زيادة أو نقصان فاحتمال التغيير أو الزيادة فى الابيات أو فى القصائد يظل أمرا محتملاً، ومن

---

(١) جواد على: المرجع السابق، ص ٦٧ – ٦٨.

(٢) محمد مبروك نافع: تاريخ العرب، عصر ما قبل الإسلام، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٩.

ثم يجب مقارنة هذا الشعر ببعضه حتى يكتسب الباحث تصوراً عاماً للمجتمع الجاهلى يصبح ما يتوائم معها أصيلاً وما لا يتوائم معها دخيلاً أو منحولاً.

كما يجب أن نضع فى اعتبارنا عنصر المبالغة المتوقع فى الشعر، وفى بعض الاحيان تكون المبالغة من النوع العادى الذى يمكن ادراكه، ولكنه فى أحيان أخرى قد تتخذ هذه المبالغات أبعادا أكبر من حقيقتها ومن مضمونها.

ويؤخذ على الشعر الجاهلى أيضاً - كمصدر تاريخى - أنه لا يسهب فى الحديث عن التاريخ السياسى للقبائل فى شبه الجزيرة العربية بقدر ما ورد فيه عن الأحوال الدينية والاجتماعية. كما أن معظم ما وصلنا منه إنما كان من عمل البدو وليس من عمل الحضر، ومن ثم فهو يمثل البادية أكثر مما يمثل الحاضرة، ويضاف إلى ذلك ما اتجه اليه بعض الباحثين من الاعتقاد بأن العلماء قد خففوا مدفوعين بالعامل الدينى من الطابع الوثنى فى بعض القصائد، كما أن الافراط فى الحرص على صحة اللغة وصفائها فى أوساط البصرة قد أدى إلى أجراء بعض التصحيحات فى الاشعار المروية.

ورغم أن كل هذه المآخذ، فإن ما وصلنا من الشعر الجاهلى، منحولاً أو أصيلاً، يعتبر مصدراً أساسياً لتصوير حياة العرب فى الجاهلية، ذلك أن القائمين بتزييفه ونحله كانوا يرمون على أن يقلدوا خصائص الشعر الجاهلى المعنوية واللفظية فى مهارة وحذق لدرجة أن الناقد كان يصعب عليه أن يفرق بين قول المزيف وقول الجاهل، وعلى هذا النحو، فالشعر المنحول يدل من حيث تصويره للحياه فى العصر الجاهلى على ما يدل عليه الشعر الثابت من تصوير للحياة فى بلاد العرب قبل الإسلام(١).

فإننا يمكننا التعرف على جوانب الحياة فى المجتمع العربى قبل الإسلام من دراسة الشعر الجاهلى، فمن دراسة أسماء الرهوط والقبائل يمكن تصور

---

(١) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، بيروت، ١٩٦٤، ص ١٥.

التكوين القبلى والعشائرى الذى كان يشكل الدعامة الأساسية من دعامات الحياة فى شبه الجزيرة فى الفترة السابقة لظهور الدعوة الإسلامية.

ويمكننا معرفة الاماكن والبلدان والآبار والمناطق الصالحة للسكن أو امضارب الخيام ومسار القوافل وأمكان الرعى، ومن ثم فهو يساعد الباحث فى التعرف على مناطق العمران وتوزيعها، وعلى اتجاه الطرق التجارية أو المسالك بين قسم وآخر أو قبيلة وأخرى، ويضاف إلى ذلك الأيام والمعارك التى سجلها الشعر الجاهلى مثل حرب داحس والغبراء ويوم حليمة بين الغساسنة والمناذرة، ويوم خزازى بين نزار واليمن، ويوم عراعر بين عبس وكلب، ويوم ذى قار بين شيبان والفرس وغيرها.

ولقد حفظ لنا الشعر الجاهلى صوراً من حياة العرب فى الجاهلية، فى الجد واللهو والحب والبغض، وفى أيام الخصب والرخاء وأيام القحط والبؤس، وفى أوقات السلم والحرب، وفى الزهد والتدين والترف والفجور.

ومن أشهر شعراء الجاهلية الذين يستفاد من شعرهم فى هذا الموضوع أصحاب المعلقات، مثل أمرؤ القيس بن حجر الكندى، وطرفة بن العبد البكرى، وزهير بن ابى سلمى المزنى، ولبيد بن ربيعة العامرى، وعمرو بن كلثوم التغلبى، وعنترة بن شداد العبسى، وأخيرا الحارث ابن حلزه البكرى. ويستفاد كذلك من أشعار حسان بن ثابت شاعر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام.

٥- كتب السيرة والمغازي:

تعتبر كتب السيرة النبوية الشريفة والمغازى من المصادر المساعدة التى يستطيع الباحث الاعتماد عليها فى دراسته لتاريخ العرب قبل الإسلام، ذلك لأن كتابها قد تعرضوا لذكر اخبار الجاهلية القريبة من الإسلام وأحياناً للأنبياء السابقين، ثم يفصلون القول فى نسب النبى – عليه الصلاة والسلام– وفى أخبار مكة وقريش ومن يتصل بهما من أفراد وقبائل، واشتملت هذه

الكتب على الكثير من الشعر الجاهلى الذى كان يستخدمه كتاب السير والمغازى فى الاستشهاد على ما يكتبون أو يتحدثون عنه[1].

ومعظم كتاب السير والمغازى من أهل الحجاز ومن المدينة بالذات باعتبارها دار هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، ودار السنة التى عاش فيها الصحابة وسمعوا احاديث الرسول ورووها بدورهم إلى التابعين، بينما تألفت حركة أخرى للتأليف فى السيرة والمغازى فى البصرة كنتيجة طبيعية للصراع الحزبى والاقليمى والقبلى.

ولعل من أشهر كتب السيرة، كتاب سيرة ابن هشام، وهو أول كتاب عربى وصل الينا يؤرخ لسيرة النبى عليه الصلاة والسلام وللعرب قبل الإسلام، وقد اعتمد صاحبة (أبو محمد عبد الملك بن هشام المتوفى عام ٢١٨ هـ) على الرواية الشفوية، كما يعتمد على كتب ضاعت، أهمها كتاب ابن اسحاق المتوفى عام ١٥١ هـ الذى كان أول من ألف فى سيرة النبى (ﷺ) بناء على طلب الخليفة العباسى المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥م) واستحق بذلك تسمية ابن خلدون له «بالاستاذ»، إلا أن هناك من سبق فى التأليف فى المغازى من أمثال «عمرو بن الزبير» (المتوفى عام ٩٤ هـ) الذى يدخل فى عداد الطبقة الأولى من كتاب السيرة، وكان له فضل كبير على كتاب السيرة كابن هشام وابن سعد، إذ يدين كلاهما بجزء كبير من كتاباتهما لما رواه. ورجع إليه الطبرى فى صفحات عديدة من تاريخه. وايان بن عثمان (المتوفى عام ١٠٥ هـ) واشتهر بالحديث والفقه، وكتابته فى السيرة لا تعدو أن تكون صحفا تضمنت احاديث عن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم ينقل له أو يرو عنه أحد من كتاب السيرة الأول، وشرحبيل بن سعد (المتوفى عام ١٢٣ هـ) وابن شهاب الزهرى (المتوفى عام ١٢٤ هـ) الذى يرجع إليه الفضل فى تأسيس مدرسة التأريخ فى المدينة، ولقد عرف بقوة أسانيده وقلة استخدام الشعر فى كتابته، صنف كتابا فى نسب قريش كما تناول فترة الخلفاء الراشدين حتى انتقال الخلافة الى الأمويين.

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد: فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٥، ص ٢٨ - ٢٩.

ومن كتاب السيرة محمد بن اسحق (المتوفى عام ١٥٢ هـ) وهو أبو عبد الله محمد بن اسحق بن يسار، وهو من أصل فارسى، وتنقسم سيرته إلى ثلاثة أقسام:

١-المبتدأ، ويبحث فى تاريخ الجاهلية مبتدئا به منذ الخليفة.

٢- المبعث، وتناول فيه حياة النبى عليه الصلاة والسلام حتى السنة الأولى للهجرة.

٣- المغازى، وتناول فيه حياة الرسول فى المدينة وغزواته حتى وفاته عليه الصلاة والسلام.

ويؤخذ على كتابات ابن اسحق اعتماده على أهل الكتاب فى الرواية كما اعتمد على ما جاء فى التوراة وأورد كثيراً من الشعر المنحول دون تحقيق أو تمحيص، ومع ذلك فإنه يحسب له أنه جمع فى كتاباته بين أساليب المحدثين والقصاص.

٦- كتب التاريخ والجغرافيا:

اتجه المؤرخون المسلمون فى كتاباتهم عن العصر الإسلامى إلى كتابة مقدمات لكتبهم عن العصر الجاهلى، ودونوا فى هذه المقدمات أنساب القبائل وصلتها بعدنان وقحطان أو إسماعيل أو ابناء نوح، وتقسيم العرب الى طبقات، واتجه بعضهم فى كتاباته إلى ذكر اخبار العرب فى التاريخ القديم، وهى لا تعدو أن تكون مجموعة من القصص الشعبى والاساطير المتأثرة بالتوراة، بينما اقتصر البعض الآخر فى كتاباته على ذكر اخبار الجاهلية القريبة من الإسلام كأيام العرب.

إلا أنه يؤخذ على هذا المصدر عدة مآخذ منها، **اولا:** أنه لا يمكن الاطمئنان إلى الكتابات التى تذكر اخبارا أبعد من القرن السادس للميلاد وذلك نظراً لعدم معاصرة اصحاب هذه الكتابات لما كانوا يكتبون عنه، ويمتد ذلك عبر سبعة عشر قرناً، إذ لم يبدأ أول تدوين لاخبار العرب السابقين للإسلام إلا فى عهد معاوية بن ابى سفيان فى أواسط القرن الأول الهجرة أى

فى أواخر القرن السابع الميلادى. ومثل هذه المسافة الزمنية الطويلة بين وقوع الاحداث وتدوينها أمر يضعف بالضرورة من قيمة هذه الكتابات لأنه لم يرد بها سند مدون، ولم تؤخذ من نصوص مكتوبة، وإنما كان الاعتماد فى روايتها على تواتر الروايات، وهو أمر لا يمكن الاطمئنان إليه، ذلك أن رواة الاخبار، حتى وأن كانوا بعيدين عن الميول والاهواء، وكانوا أصحاب ملكة حسنة ذات قدرة فى النقد والتمييز، فإن للذاكرة حدوداً لا تستطيع أن تتجاوزها. لذا وجب علينا الحذر فى الاعتماد على هذه المصادر وتمحيص ما جاء فيها.

ثانيا: أن كثيراً من الكتابات المتصلة بالمنافسات بين القبائل ومآثرها، توجد فيها الكثير من المبالغات والافتعال والتعصب.

ثالثا: أن معظم هذه الكتابات قد كتبت بأسلوب القصص الشعبى، وهو اسلوب يصل إلى نغمة الحديث الاسطورى كلما أوغل هؤلاء الكتاب فى الحديث عن الماضى حتى وصلوا إلى آدم عليه السلام.

ومع هذه المآخذ، فاننا نعتمد على هذا المصدر فيما يتصل بالفترة القريبة من ظهور الإسلام من النواحى السياسية والاقتصادية والفكرية، ومن الكتابات العربية التى أرخت للعرب قبل الإسلام نشير إلى كل من[1]:

١- **عبيد بن شريه الجرهمي اليمني:** اختلف فى أصله، فذكر البعض أنه كان من أهل صنعاء، بينما رأى آخرون أنه من الرقة بالعراق، والارجح أنه كان يمنياً ومن جرهم، وكان قصاصاً اخبارياً وعرف بين الناس بذلك فطلبه معاوية بن ابى سفيان، وينسب إليه العديد من الكتب، مثل كتاب الأمثال، وكتاب الملوك واخبار الماضين الذى طبع فى ذيل كتاب «التيجان فى ملوك حمير» المطبوع فى حيدر أباد بالهند بعنوان «اخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن واشعارها وانسابها» لأبى محمد بن هشام بن ايوب الحميرى المتوفى عام ٢١٣ هـ. وقد وضع الكتاب على الطريقة التى تروى بها الاسماء

(١) أنظر: السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٣٠ وما بعدها.

وأيام العرب، وفيه اشعار كثيرة وضعت على لسان عاد وثمود ولقمان وغيرهم.

ويمكن أن يقسم موضوع الكتاب بشكل عام إلى ثلاثة أقسام:

«الأول» خاص بتوزيع القبائل العربية القديمة من بابل إلى الجزيرة العربية مع إشارات إلى توزيع الترك والصقالبة والسودان والبربر من حفدة نوح الآخرين، «الثاني» خاص بنهاية العرب البائدة من آل عاد الأولى والآخرة وقوم ثمود وجرهم، والظروف التى هلكوا فيها، واخبار انبيائهم وصلحائهم، من هود وصالح ولقمان، «الثالث» خاص بأخبار ملوك اليمن القدامى، ابتداء من أول ملوكهم الذى أطلق عليه «سبأ» وانتهاء بحسان ابن تبع أسعد الكامل.

ويلاحظ فى هذا المؤلف أنه بجانب القصص الاسطورى توجد فيه بعض المعلومات الهامة ذات طابع جغرافى وطبوغرافى عن بعض نواحى بلاد العرب، مثل الاحقاف والحجر ووادى القرى واليمامة، وعن مسميات الرياح عند العرب، واسماء سنوات القحط والجفاف واسماء الأيام فى الجاهلية، إلى جانب ذكر عدد من الاصنام وشئ من الصقوس الدينية العربية القديمة(١).

٢- وهب بن منبه: (المتوفى عام ١١٠ هـ/ ٧٢٨م)، كان يمنيا من أهل ذمار، وأصله فارسى، وقيل، أنه كان يهوديا وأسلم، ولهذا ينسب إليه الكثير من القصص الاسرائيلى الذى دخل فى مؤلفات المسلمين، وكان يدعى العلم بالكتب المنزلة القديمة جميعاً، وهو يبدأ الكتاب بقوله: «قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الانبياء فوجدت فيها أن الكتب التى أنزل الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتابا»، ورغم ذلك فإنه كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية، ويحسن قراءة الكتابات القديمة التى لا يقدر أحد على قرائتها.

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٣١ – ٣٤.

والمنهج الذي اتبعه وهب بن منبه فى كتابه «كتاب التيجان فى ملوك حمير» لا يكاد يختلف عن مؤلف عبيد بن شريه وهو يعالج ثلاثة موضوعات:

١- بداية عمران العالم بآدم وأولاده، ثم العمران الثانى بنوح وبنيه.

٢- الشعوب العربية البائدة، مثل عاد الأولى والآخرة، والعماليق، وثمود وجرهم.

٣- ملوك اليمن، وأولهم يذكر يعرب بن قحطان وآخرهم سيف بن ذى يزن.

وأشار فى ثنايا مؤلفه كذلك إلى ديانة العرب وعاداتهم وتقاليدهم، وأحوال مكة والبيت الحرام[١].

وهكذا يصبح كتاب التيجان، موسوعة هامة فى تاريخ الجزيرة العربية واحوالها. وينسب إلى وهب بن منبه كذلك «كتاب المبتدأ» الذى يشير عنوانه إلى ابتداء الخليقة، وهو الكتاب الذى اعتمد عليه أحمد بن محمد الثعلبى فى كتابه «عرائس المجالس فى قصص الانبياء» وينسب إليه كذلك «كتاب المغازى» الذى لم يبق منه سوى مجموعة أوراق مخطوطة فى مكتبة هيدلبرج بالمانيا.

٢- «الهمدانى» (المتوفى بعد عام ٣٤٠ هـ / ٩٥١م)، هو أبى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، يمنى الأصل من قبيلة همدان، يعتبر كتابه «الاكليل» الذى وضعه فى عشرة أجزاء، ذروة التخصص فى تاريخ العرب قبل الإسلام ولم يصلنا منه سوى أربعة أجزاء، والاجزاء العشرة كما سجلها المؤلف هى:

١- مختصر من المبتدأ وأصول الانساب.

٢- نسب ولد الهميسع بن حمير.

٣- فى فضائل قحطان.

---

(١) أنظر: جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جزء أول، ص ٥٥٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جزء ثانى، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٣٢٣.

٤- فى السيرة القديمة عن تبع أبى كرب.

٥- فى السيرة الوسطى من أول أيام اسعد تبع إلى ايام ذى نواس.

٦- فى السيرة الآخرة إلى الإسلام.

٧- فى التنمية على الاخبار الباطلة والحكايات المستحيلة.

٨- فى محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ومراثى حمير والقبوريات.

٩- فى أمثال حمير وحكمها واللسان الحميرى وحروف المسند.

١٠- فى معارف همدان وأنسابها وعيون اخبارها.

وللهمدانى كتاب آخر هو «صفة جزيرة العرب» الذى استفاد منه من اتى بعده من الكتاب مثل: البكرى فى كتابه «معجم ما استعجم»، وياقوت فى «معجم البلدان»[١].

٤- هشام بن محمد بن السائب الكلبي، (المتوفى عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩م)[٢]: كان والده من علماء الكوفة فى التفسير والاخبار والانساب، ويعتبر هشام ابن محمد من أعظم الاخباريين فى تاريخ العرب فى الجاهلية، إذ كان يعتمد على الاصول والمصادر التاريخية، الأمر الذى يجعل منهجه فى الرواية اقرب إلى منهج المؤرخين، ولكن يؤخذ عليه سرعة التصديق، ورواية الخبر على علاته دون نقد أو تمحيص وقد أتهم بالوضع والكذب، حتى تجنبت جماعة من العلماء الرواية عنه.

وقد أهتم هشام بصفة خاصة بجمع الاخبار التاريخية عن الحيرة وأمرائها من المصادر المدونة، واعتمد فى ذلك على محفوظات كنائس الحيرة، وعلى المصادر الفارسية المترجمة، وله كتب كثيرة ذكرها ابن النديم فى الفهرست ويبلغ عددها ١٤٠ مؤلفاً، ومن كتبه التى تهمنا كتاب الاصنام، وهو يبين سعة اطلاعة على اخبار ما قبل الاسلام، ومعرفته التى لا تعد

(١) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٣٦ - ٣٨.
(٢) أنظر: سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٤٣ - ٤٦.

بأحوال العرب في الجاهلية. ولقد ردد في هذا الكتاب ما كان يعبده العر قبل الإسلام إلى جانب بيوت العبادة المعظمة عند العرب كالكعبة، وكعبة نجران، ورئام، كما أنه يشير إلى طقوس العبادةوالشعائر التي كان يمارسها العرب قبل الإسلام.

وفي كتابه أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، يبين كيف أولع العرب بالخيل في الجاهلية والإسلام، إلى حد أنهم كانوا يصبرون على الشدة وضيق العيش ويكرمونها حتى يؤثروها على الأهل والولد، وعندما يذكر ابن الكلبي اسماء مشاهير خيل العرب في الجاهلية، يعرض لبعض أخبار العرب وأيامها في الجاهلية.

٥- **أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي:** هو فارسي الأصل، يهودي الآباء، ولكنه عربي تيمي أو تميمي بالولاء، وكان لذلك أثره في أن جمع بين الثقافات الفارسية واليهودية والعربية. ولقد اهتم أبو عبيدة بصفة خاصة ببلاد العرب الشمالية، فروى عن أخبار قبائلها وأيامها، إلا أن البعض يرميه بنزعته الشعرية، وأنه كان يطعن في الانساب، ويؤلف في مثالب العرب[١].

٦- **حمزة الاصفهاني:** يتميز مؤلفه «سني ملوك الأرض» بطابعه العلمي الجاف، والكتاب يتناول التأريخ منذ «المبتدأ» أي منذ بدء الخليقة وحتى أيام المؤلف، ويهمنا من هذا المؤلف قسمه الأول الذي يتعلق بعصور ما قبل الإسلام، وفيه يعالج حمزة الاصفهاني تاريخ عمران الأرض وتاريخ الدول القديمة من البابليين والفرس واليونان والرومان والبيزنطيين، كما يعالج دول العرب، في اليمن والحيرةونجد والحجاز وذلك في عشرة أبواب مقسمة إلى ٢٧ فصلاً.

ويتميز حمزة الاصفاني بميزتين: أولاهما أنه إيراني (موطناً على الأقل) فهو على دراية تامة بأحوال الفرس، ثم أنه عالم مدقق كان يهتم باختيار مصادره سواء كانت كتباً أم رجالاً، وهذا ما لفت الانظار اليه من غير شك.

٧- **الطبري:** هو محمد بن جرير الطبري، المتوفي عام ٣١٠ هـ، وهو

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٣٤.

صاحب اشمل مؤلف تاريخى كتبه مؤرخو العرب حتى القرن الرابع الهجرى، وهو المعروف باسم «تاريخ الأمم والملوك»، وقد نجح المؤرخ فى أن يجعله موسوعة تاريخية، ليس عن تاريخ العالم الإسلامى فحسب، بل عن تاريخ البشرية إلى حد ما، فهو محاولة لدراسة تاريخ العالم(١).

ونظراً لأنه فارسى الأصل فقد اهتم بتتبع أخبار الدولة الساسانية الفارسية، ونظراً للعلاقات بينها وبين الجزيرة العربية قبل الإسلام، فقد كتب الطبرى فصولا مستفيضة فى اخبار العرب قبل الإسلام.

وللطبرى أهمية خاصة نظراً لسعة إطلاعه وشموله وحرصه فى كثير من الاحيان على الاطلاع واثبات بعض الوثائق الرسمية التى حصل عليها وخاصة وثائق الفتوح العربية.

٨- ابن الاثير (المتوفى عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)، لخص ابن الاثير فى كتابه (الكامل فى التاريخ) كتاب الطبرى فى اخبار الرسل والملوك، إلا أنه لم يكتف بتلخيص الطبرى، بل أنه قام بسد الثغرات التى وجدها فى كتاب الطبرى، بمعلومات أحسن انتقادها حتى صار كتابه هو الآخر من المصادر الهامة. وذكر فى مؤلفه ابتداء الخلق وآدم وبنيه والرسل من نوح إلى اسماعيل، وتاريخ الفرس، واخبار ملوك الروم قبل المسيح وبعده، والعرب وعلاقاتهم بهؤلاء الملوك، ويرتب أيام العرب بطريقة تجعل من السهل تناولها(٢).

٩- المسعودي (المتوفى عام ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)، يعتبر كتاب مروج الذهب للمسعودى من المصادر الأساسية بالنسبة لتاريخ العرب قبل الإسلام، وذلك بفضل ما كتبه فى تاريخ العالم القديم وفى العرب قبل الإسلام واستغرق ذلك الجزء الأول ومعظم الجزء الثانى من مؤلفه، ويتميز مؤلفه

---

(١) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك، جزء أول وجزء رابع، القاهرة، ١٩٦٧ - ١٩٦٩.

(٢) ابن الاثير (عز الدين أوب الحسن على الشيبانى): الكامل فى التاريخ، جزء أول وجزء ثانى، بيروت، ١٩٦٥.

بالمقدمة الجغرافية التى عرف فيها بالبلاد وبأثر البيئة على الإنسان والحيوان والنبات، كما أنه قد أهتم بأحوال الناس والجماعات بشكل عام، فهو لا يركز على التاريخ السياسى، بل يسجل أنواعاً من النشاط الاقتصادى والاجتماعى والعادات والتقاليد والمعتقدات وغيرها.

ويبدأ المسعودى تاريخه، كما فعل الطبرى، بذكر المبتدأ وشأن الخليفة منذ آدم وبنيه، ومن أتى بعده من الانبياء من نوح إلى ابراهيم، واخبار الشعوب البائدة، مثل طسم وجديس وعمليق، قبل أن يركز على بنى اسرائيل الذين يرتبط تاريخهم بتاريخ اليمن عن طريق سليمان عليه السلام، كما يرتبط بتاريخ العراق(١).

١٠- ابن خلدون: (المتوفى عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م)، يكاد ابن خلدون يلخص كل ما كتبه قدامى الكتاب من المشارقة فى الجزء الثانى من كتاب العبر، وهو الجزء الأول من تاريخه الذى يعقب المقدمة، وجعل ابن خلدون عنوان هذا الجزء: «فى اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا القرن»(٢).

ودول العرب السابقة على الإسلام – حسب خطة ابن خلدون – مقسمة إلى ثلاث طبقات على النحو الآتى:

١- الطبقة الأولى: وهم العرب العاربة أو العمالقة، من عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم وحضرموت، ويتلو ذلك الخبر عن ابراهيم ابى الانبياء وبنيه.

٢- الطبقة الثانية: وهم العرب المستعربة، ويدخل ضمنهم اليمنية أو السبئية، وبذلك يدخل فى هذه الطبقة ملوك التبابعة من حمير، وملك الحبشة لليمن، وغزو الحبشة للكعبة.

---

(١) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر الجزء الأول والثانى، تحقيق يوسف داغر، بيروت، ١٩٧٣.

(٢) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): تاريخ بن خلدون، بيروت، ١٩٧١.

٣- الطبقة الثالثة، وهم العرب التابعة للعرب، بين العرب البادية أهل الخيام من العدنانية والمعدية وملوك الحيرة ويثرب ثم قريش.

والسمة السائدة فى كتابات هؤلاء المؤرخين تحرى الدقة فى كتاباتهم عن تاريخ الإسلام فى معظم الأحوال، والاهمال والخلط الذى صحب كتاباتهم عن عصور ما قبل الإسلام، ولعل عذرهم فى ذلك أن عصر الاكتشافات الحديثة الذى نعيشه الآن لم يكن قد بدأ بعد، وأن الاعتماد فى التأريخ لبلاد العرب قبل الإسلام إنما كان على ما جاء فى التوراة والأدب العربى القديم، كذلك فإن الخط العربى كان فى أول الأمر غير منقوط، وكذا كانت الكتابات النبطية التى يرجح أن الخط العربى مشتق منها ومتطور عنها، ولعل أهم ما فى كتب الاخباريين من عيوب إنما هو اولاً: وذلك فيما يذكر استاذنا الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران(١) – تلك المبالغات التى ادخلها أهل الأغراض أو الطامعون ممن دخلوا الإسلام، لأن العرب كانوا يستفتونهم فيما غمض عليهم. ثانيا: هناك ما تابع العرب فيه اليهود وأعنى به رد كل أمة إلى آب من آباء التوراة، حتى المغول والفرس، فمثلاً ردوا نسب الفرس إلى «فارس بن ياسور بن سام»، وقس هذا على تعليل اسماء البلاد، وردها إلى أسماء من يظنون أنهم مؤسسوها، بما يشبه قول اليهود، فمثلاً مصر، إنما بناها «مصرايم»، وآشور بناها أشور ومن هذا القبيل قولهم «يعرب» لمن تكلم العربية، ثالثا: هناك اختلاف الاخباريين فى الانساب، حتى أنهم لم يتفقوا إلا فى القليل من أسماء الملوك والأمراء، وإن كان الأمر جد مختلف بالنسبة إلى قريش، وهناك رابعا: أن العرب كانت تتصرف فى الاسماء غير العربية، بتبديل حروفها وتغييرها، ومن ذلك اختلافهم فى ذى القرنين بين أن يكون «الصعب بن مداثر» من ملوك اليمن، أو أن يكون الاسكندر المقدونى، وقريب من هذا ما فعلوه بملوك مصر على أيام الفراعين، ورغم ذلك فهم قدموا لنا الكثير من المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها فى التأريخ لعصور ما قبل الإسلام.

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٥٦ – ٥٩.

الفصل الثالث

لفظة العرب وتطورها التاريخي

لفظة العرب وتطورها التاريخي

من أقدم النصوص التى وردت فيها كلمة «العرب» نص آشورى يرجع إلى عهد الملك «شلمنصر الثالث» (٨٥٩ – ٨٢٤ ق.م)، حيث أشارت نصوصه الخاصة بموقعة قرقر التى وقعت عام ٨٥٣ ق.م إلى اشتراك أمير عربى مع الحلف الذى تكون ضده(١).

وجاد فى حوليات الملك نجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) إشارة إلى جزية من ملكة تدعى «زبيبة» ذكر النص أنها «ملكة بلاد العرب» كما أشارت حوليات أخرى له إلى ملكة تدعى «شمس» أشار النص إليها أيضاً أنها ملكة بلاد العرب(٢)، ولقد أشار الملك «سرجون الثانى» (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) إلى أنه قد تلقى الجزية من هذه الملكة(٣).

وأشارت نصوص الملك سنحريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) إلى سيطرته على بادية شمال بلاد العرب، حتى أن هيرودوت قد أطلق عليه «ملك العرب والآشوريين(٤)».

ويلاحظ أن كلمة «عرب» عند الآشوريين كانت تعنى «بداوة» أو «إمارة» تقع على تخوم الحدود الأشورية، كانت حدودها تتسع وتضيق طبقاً للظروف التاريخية ولشخصية الحاكم الذى كان يحمل لقب «ملك»، وهى تختلف عن القبائل الأخرى التى كانت مستقرة فى تخوم البادية(٥).

---

(1) A. L. Oppenheim, Babylonian and Assyrian Historical Texts, in ANET, 1966, p. 279.
(2) Ibid., p. 280.
(3) Ibid., p. 284.
(4) Ibid., p. 290.

(٥) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١، ص ١٦.

وقد عرف البدو، أى سكان البادية، بالأعراب فى القرآن الكريم، وقد ورد فى القرآن الكريم لفظة «العرب» علماً على العرب جميعاً من حضر وأعراب، ونعت فيه لسانهم باللسان العربى[1]، حيث ورد فى سورة الرعد الآية (٣٧) «وكذلك أنزلناه حكماً عربياً»، وورد فى سورة الأحقاف الآية (١٢) «وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً... «صدق الله العظيم»

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٤ - ٢٥.

الفصل الرابع
طبقات العرب

طبقات العرب

يقسم الرواة وأصحاب الأخبار العرب من حيث القدم إلى طبقات: عرب بائدة و عرب عارية، وعرب مستعربة، أو عرب عارية، وعرب متعربة، وعرب مستعربة، أو عرب عارية ومستعربة وتابعة ومستعجمة[1]، كما يقسم العرب من حيث النسب إلى قسمين: قحطانية، منازلهم الأولى فى اليمن، وعدنانية، منازلهم الأولى فى الحجاز[2]. ويقسم الاخباريون والمؤرخون العرب أحياناً إلى طبقتين: عرب عارية، وعرب مستعربة. ومن الجدير بالذكر أن هذا التقسيم لم يرد إلينا من النصوص الجاهلية، وأنما ورد إلينا فى الكتب المدونة فى الإسلام، وتقسيم العرب – إلى طبقات – وذلك من ناحية القدم والتقدم فى العربية – هو تقسيم لا نجد له ذكراً فى التوراة أو المصادر اليهودية الأخرى، ولا فى المصادر اليونانية أو اللاتينية أو السريانية، ويظهر أنه تقسيم عربى خالص، نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر أنهم بادوا قبل الإسلام فلم يبق منهم غير ذكريات وبين العرب الباقين، وهم اما من عدنان، واما من قحطان.

والعرب البائدة هم الذين كانوا عرباً صرحاء خلصاء ذوى نسب عربى خالص – نظرياً على الأقل – ويتكونون من قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وجرهم والعماليق وحضورا ومدين وغيرهم، وأما العرب الباقية – ويسمون أيضاً المتعربة المستعربة – فهم الذين ليسوا عرباً خلصاء، ويتكونون من بنى يعرب بن قحطان، وبنى معد بن عدنان، ويقسم ابن خلدون العرب – طبقاً للتسلسل التاريخى – إلى طبقات أربعة، فهم عرب عارية قد بادت، ثم مستعربة وهم القحطانويين، ثم العرب التابعة لهم من

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، الجزء الثانى، ص ١٦ – ١٨.

(٢) طه حسين، فى الأدب الجاهلى، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٧٩.

عدنان والأوس والخزرج ثم الغساسنة والمناذرة، وأخيراً العرب المستعجمة و هم الذين دخلوا فى نفوذ الدولة الإسلامية.

ورغم ما فى هذه التقسيمات من مآخذ، إلا أننا سنشير إليها بايجاز، ولنبدأ بالعرب البائدة، فقد شك كثير من المستشرقين فى حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة، فعدها بعضهم من الأقوام الخرافية التى ابتدعتها مخيلة الرواة، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها فى اللغات القديمة أو فى الكتب الكلاسيكية، ولكن ظهر بعد ذلك أن فى هذه الأحكام شيئاً من التسرع، إذ تمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام، ومن الحصول على بعض المعلومات عنها.

والمقصود بلفظة «بائد» عدم وجود أحد من العرب ينتسب إلى هذه القبيلة أو تلك عند كتابة المؤرخين الإسلاميين لتاريخ ما بعد ظهور الإسلام، أما العرب الباقية فنعنى بها الجماعات – التى كانت – وما تزال – تعيش فى هذه المنطقة.

وتعد (عاد)(١) أقدم الأقوام العربية البائدة من وجهة نظر الاخباريين، ويضربون بهم المثل فى القدم، وربما تكونت هذه النظرية عند الجاهليين من قوم عاد، أو من ورود اسم عاد فى القرآن الكريم، ثم مجىء اسم (ثمود) بعد ذلك، ومن ثم فقد قدما على بقية الأقوام البائدة.

هذا وقد ذهب بعض ا لاخباريون إلى أن عاداً هى (هدورام) فى التوراة، ودليلهم على ذلك اقتران عاد بارم فى الكتب العربية، وبعض القراءات التى قرأت (بعاد ارم)، فى الآية: «ألم تر كيف فعل ربك بعاد، ارم ذات العماد)، على الإضافة، أو بإضافة ارم إلى ذات العماد، وبين (عاد ارم) و (هدورام) تشابه كبير فى النطق، وذهب الاخباريون إلى وجود طبقتين لقوم عاد هما:

---

(١) محمد بيومى مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، الجزء الأول، فى بلاد العرب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٨٠، ص ٢٣٩ – ٢٤١.

عاد الأولى، وعاد الثانية، وكانت عاد الأولى من أعظم الأمم بطشاً وقوة، وكانت مؤلفة من عدة بطون تزيد على الألف - وقد نشأت فكرة وجود طبقتين لعاد عند الاخباريين إلى ما أشار إليه القرآن الكريم من أن هناك عاداً الأولى، وعاداً الثانية، وأن عاد الأولى انما هم عاد ارم الذين يسكنون الأعمدة التى تحمل الخيام، وأن عاداً الثانية انما هم سكان اليمن من قحطان وسبأ وتلك الفروع، وربما كانواهم قوم ثمود.

أما (ثمود)(١) فقد ورد اسمها فى الكتب العربية مقروناً باسم عاد، ويعد هذا الاسم فى الغالب، والروايات العربية الواردة عنهم لا تعرف من تاريخهم شيئاً، انما روت عنهم قصصاً أوردتها بمناسبة ما ذكر عنهم فى القرآن الكريم على سبيل العظة والاعتبار والتذكير. وقد وردت اشارات عنهم فى الشعر الجاهلى. وتكاد تجمع الكتب العربية على أن ثموداً كان مقامها بالحجر إلى وادى القرى بين الحجاز والشام، على أن ثموداً انما كانت باليمن قديماً، فلما ملكت حميراً أخرجوها إلى الحجاز، ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الثموديين قد عاشوا فى شمال الجزيرة العربية منذ أعماق التاريخ.

وقد ورد اسم ثمود فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، فجاء منفرداً، وجاء مقروناً باسم شعوب أخرى مثل قوم (نوح) وقوم (عاد). وتاريخ قوم ثمود يعود إلى ما قبل الميلاد بزمان، فقد كانوا ضمن الشعوب التى حاربت الآشوريين فى عهد (سرجون الثانى)، وقد ذكر هذا الملك فى النصوص التاريخية التى سجلها، أنه تغلب عليهم، وأنه أجلاهم عن مواطنهم إلى السامرة، ويرى بعض الباحثين أن آخر ذكر ورد فى الوثائق لقوم ثمود كان فى القرن الخامس الميلادى، حيث ورد أن قوماً منهم كانوا فرساناً فى جيش الروم.

أما «طسم وجديس»(٢) فينسبها الاخباريون إلى «لاوذ بن ارم بن سام بن

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٦٣ وما بعدها.

(٢) ابن خلدون، المرجع السابق، ص ٢٤، الطبرى، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٣٣٧.

نوح، مع القليل أو الكثير من التعديل فى هذا النسب، وأنهما كانا قريباً بعهد عاد الأولى، أما موطنهما فكان فى منطقة اليمامة، والتى كانت تسمى «حو» من قبل، ولكن يبدو أن هذا لم يكن هو الوطن الأول، ويرجح أن يكون بداية استقرار «طسم» فى منطقة العلا، ثم انتقلت بعد ذلك إلى منطقة اليمامة، وربما يرجع سبب انتقالها إلى عوامل اقتصادية، ويبدو أن (جديس) قد نزحت كذلك مع (طسم)، وبهذا يمكن أن نجد صلة نسب قائمة بين القبيلتين.

هذا ولم يرد ذكر اسم هذه الأقوام فى القرآن الكريم، وقد ورد اسم (طسم) فى نص يونانى عثر عليه فى (صلخد) ويعود تاريخه إلى عام ٣٢٢م، كما أن التوراة أشارت إلى (طسم) على أنه من نسل (دادان بن يقطان)، أضف إلى ذلك أن بعضاً من المستشرقين يرى أن اسم Jodistac أو Jolisitae الوارد فى جغرافية بطليموس[١] هو اسم قبيلة من قبائل شرق بلاد العرب، وأنها جديس بعينها، وقد نسب الاخباريون أماكن عديدة إلى طسم وجديس وهى قرى ومدن ذكر أنها كانت عامرة آهلة بالسكان ذات مزارع، ومن بين هذه الأماكن المذكورة (المشقر) وهو حصن بين نجران والبحرين، و (معنق) وهو من قصور اليمامة على أكمة مرتفعة.

أما (أميم)[٢] فقد جعلهم الاخباريون فى طبقة (طسم وجديس) وقالوا أنهم من نسل (لاوذ بن عمليق)، وكان من شعوبهم (وبار بن أميم)، نزلوا برمل (عالج) بين اليمامة والشحر، وانهارت عليهم الرمال فأهلكتهم. ويزعم الاخباريون أن ديار (أميم) كانت بأرض فارس، ولم يذكروا كيف عدوهم من طبقة العرب الأولى إذا كانت ديارهم بأرض فارس، وقد جاء فى جغرافية بطليموس اسم شعب عربى ذكر على أنه من شعوب العرب الجنوبية

---

(1) Encyciopaedia of Islam, 1, p. 992.

(٢) الطبرى: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

وهذا الاسم قريب جداً من اسم (وبار)، وتقع أرض (وبار) بين رمال يبرين واليمن، ومع ذلك، فإن شعب وبار، فى رأى كثير من المستشرقين - انما هو من الشعوب الخرافية، وإن كانت ذكرى (وبار) ما تزال فى ذكرة العرب حتى اليوم، ففى الربع الخالى أماكن كثيرة زعم الأعراب أنها كانت مواضع (وبار).

أما (عبيل) فقد ذكر الاخباريون أنهم اخوان عاد بن عوص، أو اخوان عوص بن ارم[1]، أو أنهم لحقوا بموضع (يثرب) حيث اختطوا يثرب، وكان الذى اختطها منهم رجل يقال له (يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عبيل)، ثم أن قسماً من العماليق انحدروا إلى يثرب، فأخرجوا منها عبيلاً، فنزلوا موضع (الجحفة) فأقبل سيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت (الجحفة).

ونقرأ فى التوراة عن «عبيال» أو «عوبال» على أنه من ولد «يقطان» (قحطان فى المصادر العربية)، ومن هنا رأى فريق من علماء التوراة أن (عبيل) من الممكن أن يكون «عيبال» أو «عوبال»، ويشير بطليموس إلى موضع يقال له Avalitae على خليج يدعى بهذا الاسم Avalites Sinus وعليه مدينة تسمى Avalitae Emporium، وسكانها يدعون Avalitas وقد ورد الاسم عند «بليني» محرفاً إلى Abalitae وربما كان هؤلاء هم عوبال، وقد ذكر أن فى اليمن مكاناً يقال له عبيل، وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف بـ (عبال) وهذان الاسمان قريبان من اسم عبيل.

أما (جرهم)[2] فقد نظر إليهم الاخباريون على أنهم طبقتان، جرهم الأولى: وهم من العرب البائدة، وكانوا على عهد عاد وثمود والعمالقة، وقد أقاموا بمكة، ويرجعون أنسابهم إلى (عابر)، وقد أبيدوا على أيدى القحطانيين، أما جرهم الثانية: فقد أطلقوا عليهم جرهم القحطانية وينسبهم

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، الجزء الثانى، ص ٢١.
(٢) الطبرى، تاريخ الطبرى، الجزء الأول، ص ٢٥٦.

أهل الأخبار إلى (جـرهم بن قحطـان بن هـود) وقد كانوا أصـهاراً للنبى - ﷺ - هذا وقد ورد اسم جرهم عند بعض الكتبة اليونان.

وفيما يتصل (بالعمالقة)(١) فقد نسبهم الاخباريون إلى (عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح)، ولم تذكر التوراة أصلهم ونسبهم، ويبالغ الاخباريون فى أهمية العماليق وسعة انتشارهم بدرجة لا يمكن أن يقبلها منطق أو يقرها عقل، فيجعلونهم أمماً كثيراً تفرقت فى البلاد، فكان منهم أهل عمان والحجاز والشام ومصر، فضلاً عن أهل المدينة وبنو هف وبنو مطر وبنو الأزرق وسعد بن زهران، هذا إلى جانب شعبة منهم ذهبت إلى صنعاء، كما كان منهم الجبابرة بالشام - وهم الكنعانيون - والفراعين بمصر، والارقم ملك الحجاز بتيماء. وأما أصل الكلمة (عماليق) أو عمالقة، فمجهول، وإن كانت هناك آراء تذهب إلى أنه منحوت من اسم قبيلة عربية، أطلق عليها البابليون اسم (ماليق) أو (مالوق)، وأضاف إليها اليهود لفظ «عم» أى الشعب أو الأمة، فقالوا (عم ماليق) ثم جاءت العربية فقالت (عمالقة).

ويكاد يتفق الاخباريون على أن العماليق عرب صرحاء، ومن أقدم العرب زماناً، ولسانهم هو اللسان المصرى الذى نطقت به كل العرب البائدة. والعماليق - فى نظر التوراة - من أقدم الشعوب التى سكنت جنوب فلسطين، ربما لأنهم كانوا أول من اصطدم بالاسرائيليين أثناء التيه فى صحراوات سيناء، وقد ورد فى التوراة أن العمالقة هاجموا بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر وأسروا جميع مقاتليهم، كذلك فقد اتحد العمالقة مع «عجلون» ملك مؤاب الذى انتزع من الاسرائيليين مدينة النخل، وكان (شاول) هو أول ملك اسرائيلى يحارب العماليق، وقد نجح فى الانتصار عليهم طبقاً لما ورد فى التوراة.

أما (حضورا)(٢) فقد ذكر الاخباريون أنهم كانوا يقيمون بالرس، وهو اما

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٢) ابن خلدون، المرجع السابق، ص ٢٠، الطبرى، المرجع السابق، ص ٥٥٨ - ٥٦٠.

موضع بحضرموت أو اليمامة أو بناحية صهيد، وكانوا يعبدون الاوثان، وبعث إليهم نبى منهم اسمه (شعيب بن ذى مهرع) فكذبوه، وهلكوا. وقد ورد فى القرآن الكريم (أصحاب الرس) مع عاد وثمود مرة، ومع قوم نوح مرة أخرى. وذهب فريق من المفسرين إلى أن شعيب بن ذى مهرع كان نبيهم، بينما يتجه فريق آخر إلى القول بأن نبيهم هو (خالد بن سنان) وأن رسول الله - ﷺ - قد تحدث عنه فقال «ذاك نبى ضيعه قومه»، وذهب فريق ثالث إلى أنه (حنظلة بن صفوان).

ويروى الاخباريون أن بختنصر - وهو الامبراطور البابلى نبوخذ نصر (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) قد غزا (حضورا) وأعمل السيف فيهم، فقتل الغالبية العظمى منهم، بينما هجر بقيتهم إلى أماكن أخرى من امبراطوريته، وأما سبب ذلك فلأن القوم قد كفروا بنبى لهم يدعى (شعيب بن مهدم ذى مهدم ابن المقدم بن الحضور)، ومن ثم فقد أوحى الله إلى النبى اليهودى «برخيا بن أخيا» أن يترك نجران ويذهب إلى نبوخذ نصر ويأمره بغزو العرب، الذى تمكن من اخضاعهم. وأهل حضور الذين قتلهم نبيهم، وقتلهم (نبوخذ نصر) هم شعب من اليمن على رأى الاخباريين، وفى اليمن موضع يسمى (حضور) ينسبه الاخباريون إلى (حضور بن عدى بن مالك ابن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ)، وذكروا أنه المكان الذى قصده (نبوخذ نصر) فقتل أهله، وعلى هذا المكان مسجد يزار حتى اليوم، يقال له مسجد شعيب نبى أصحاب الرس.

أما (المديانيون)[١] فقد تحدث القرآن الكريم عنهم، وعن نبيهم الكريم شعيب عليه السلام، فى مواطن متفرقة من سوره، ووفقاً لما جاء فى القرآن الكريم، فإن شعيباً أتى مدين وأصحاب الأيكة، فنهاهم عن عبادة الأوثان وأمرهم أن يقيموا الوزن بالقسط ولا يخسروا الميزان، وكان أهل مدين قوماً

---

(١) محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص ٢٨٩ وما بعدها.

عرباً يسكنون مدينتهم (مدين) التى هى قرية من أرض معان فى أطراف الشام مما يلى الحجاز، قريباً من بحيرة قوم لوط، وهذا وقد كانت مدين هذه انما تمتد من خليج العقبة إلى مؤاب وطور سيناء. ويفهم من التوراة أن مواطن المديانيين انما كانت تقع إلى الشرق من العبرانيين، ويبدو أنهم توغلوا فى المناطق الجنوبية لفلسطين، متخذين منها مواطن جديدة، عاشوا فيها أمداً طويلاً.

ويرجح بعض الباحثين أن عصر شعيب، انما كان قبل عصر موسى عليه السلام، وإذا ما عدنا إلى عصر الخليل عليه السلام (١٩٤٠ – ١٧٦٥ ق.م) وتذكرنا أن لوطاً وقومه انما كانوا معاصرين لأبى الأنبياء، لأمكننا القول أن شعيباً وقومه انما كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وبخاصة أن التوراة تذكر أن مدين انما كان من ولد الخليل من زوجه قطره الكنعانية.

الفصل الخامس

العصور الحجرية



العصور الحجرية

أوضحت الأدلة الأثرية التى كشف عنها فى العديد من المناطق فى الجزيرة العربية تواجد الإنسان فى هذه المناطق وإنتاجه للعديد من الأدوات التى ترجع إلى العصور الحجرية، وإن كانت هذه المكتشفات لا تمكننا من بناء تتبع زمنى متكامل لها فى جميع أرجاء المنطقة، وعلى ذلك فإننا سنحاول إلقاء الضوء على بعض المكتشفات الأثرية التى ترجع إلى هذه المرحلة.

ففى جنوب الجزيرة العربية، عثر فى منطقة حضرموت على بعض الأدوات الحجرية إلا أنها لم تكن على نفس المستوى التقنى مع الأدوات المناظرة لها فى مناطق الشرق الأدنى القديم.

وكشف فى شرق الجزيرة العربية عن العديد من الأدلة الأثرية المتصلة بالعصور الحجرية، فلقد عثر فى الأحساء وقطر على فؤوس وأسلحة حجرية ترجع إلى العصر الحجرى القديم وكذلك العصر الحجرى الحديث، وكشف فى البحرين عن سكاكين ورؤوس حراب مصنوعة من الأحجار الصوانية ولقد شذب بعضها لتصلح لبعض العمليات الزراعية مما يرجح أنها ترجع إلى بداية عهد الاستقرار.

وعثر فى وسط الجزيرة العربية فى المنطقة الممتدة من الأحساء شرقاً إلى الحجاز غرباً ومن مدائن صالح شمالاً وحتى نجران جنوباً على أدوات حجرية تنتمى إلى هذه العصور المبكرة، ففى وسط الجزيرة عثر على العديد من الأدوات الحجرية وبخاصة فى اتجاه الأودية التى كان يتجه إليها الإنسان، كما كشف فى شمال الجزيرة عند سفح جبل الطبيق على أدوات حجرية يرجح أنها ترجع إلى الألف الثامن قبل الميلاد.

ويلاحظ وجود مراكز استيطان عديدة فى شمال شرق الجزيرة

العربية تنتمى من الناحيــة الحضــارية إلى حضــارة العبيـــد فى العراق القديم، وتقع هذه المراكز بحــذاء الســاحل وفى داخــل المنطــقــة الشــرقية مــن المملكــة العــربيـــة الســعـــودية؛ مما يشـــيـــر إلى وجـــود اتصـــال حضارى بينهما.

وظهر هذا الاتصال الحضارى مع العراق القديم فى المراكز الحضارية فى منطقة الخليج العربى التى تأثرت فى عصور ما قبيل الكتابة بحضارات جنوب العراق، ويظهر ذلك فى تشابه أشكال الأوانى الفخارية التى تنتمى إلى عصــر حضارة العبيد مع الأوانى الفخــارية التى عــثر عليها فى موقع أم النار فى أبوظبى.

ولقد قامت منطقة الخليج العربى بدور فعال فى الاتصــال بين حضــارة جنوب العراق ووادى السند، حيث يوجد ما يشير إلى أن تجار منطقة وادى السند قد مارسوا التجارة مع سكان الخليج العربى ومدن العراق القديم، ومن هذه الأدلة ما كشف عنه من أوانى فى موقع أم النار تشبه زخارفها أوانى وادى السند، وكذلك العثور على العديد من الأختام التى تتميز بها حضارة وادى السند فى البحرين وفيلكا وأيضاً العثور على أختام من البحرين وفيلكا فى وادى السند.

وكشف فى موقع بلوخستان الايرانى على أوانى فخارية تشبه فخار موقع أم النار، كما عثر فى نفــس الموقع على أختام ترجع إلى منطقة الخليــج العربى.

وبالنسبة إلى تحديد نهاية العصــور الحجــريـــة فى الجزيــرة العربية، فإن الأبحــاث الأثرية لا تمكننا من ذلك، وإن كــان هنـــاك من يرى أن عصــر ما قبل التاريخ قد بدأ فى شــبه الجزيــرة العربيــة حوالى الألف الثالثة قبل الميلاد.

هذا وتجدر الإشــارة إلى أن الهجرات قد بدأت تأخذ طريقها من بلاد

العرب إلى مصر منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، وإلى العراق قبل بداية الألف الثالثة قبل الميلاد، وتتابعت الموجات البشرية من شبه الجزيرة العربية إلى العالم المحيط بها، ويتجه بعض العلماء إلى أن الفترة بين الموجة والتي تليها تبلغ زهاء ألف عام، ولعل من أشهر هذه الهجرات، هجرات الأموريين ثم الكنعانيين فالأراميين والعبريين.



الفصل السادس

دولة معين



دولـة معـــين

يرجح العلمـاء أن دولة مـعين، انما هى دولة نسـتطيع أن نلمح بعض معالمها وسط جنبات التـاريخ القديم لبلاد العرب الجنوبية، وأنـها - طبـقاً للنقوش التى تركتها فى شمال اليمن حول بلدة معين - قد قامت فى منطقة الجوف بين نجران وحضرموت، وهى منطقة سهلة غرينية، اشتهرت بنخيلها وأخشابها ومراعيها التى تعتمد على مياه «الخاردن» وعلى الأمطار التى تسقط هناك، فتكون سيولاً تسيل فى أودية، فإذا أضفنا إلى ذلك كله، أن الجبال تحيط بها من جهات ثلاث، مما يكون حماية طبيعية لها، تبين لنا إلى أى مدى ساعدت تلك العوامل الطبيعية على أن تكون منطقة «الجوف» هذه مركزاً هاماً للحضارة فى اليمن القديم.

وكان موقع معين من الجوف مـألوفاً لدى الشعراء العرب، ويستشهد الهمذانى بقول مالك بن حريم:

سـقـى الجـوف مـادامت مـعين   بـاسـفـلـه مـقـابلة سـرادا

ويذكرها الهمذانى(١) بقوله «معين من محافد اليمن المشهورة». وهو دلالة على عظم عمرانها، وأنها قام بها قصر للملك من أشهر قصور اليمن، وقد أكدت الجهود الأثرية الحديثة صحة الموقع وظروف العمران.

ومصـادرنا الأصلية عن دولة معين، انما هى الكتابات التى تركها أصحاب هذه الحضارة، فضلاً عن كتابات الرحالة القدامى من الاغريق والرومان، من أمثال ديودور الصقلى، وسترابو، وثيوفراستوس. أما المصادر العربية، فلا علم لها بهذه الدولة وإن عرفت اسم «معين» و «براقش» على

(١) الهمذانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) الاكليل، الجزء الثامن، بغداد، ١٩٣١، ص ١٠٥.

أنهما موضعان فى الجوف، أو محفدان من جملة محافد اليمن وقصورها القديمة، كما أنها جعلتهما من أبنية «التبابعة».

أما عن الحدود الزمنية لتاريخ دولة معين، فقد ظل موضع جدل واختلاف كبير بين الدارسين، وقد كان الغالب من قبل على العلماء هو الغلو فى قدم «معين» فأرخها «جلاسر»[1] إلى الألف الثانى أو الألف الثالث قبل الميلاد، ثم اتجه الرأى بين العلماء إلى شيء من الاختزال فى تاريخ الكتابات المعينية، فهبطوا بتاريخ بداية الدولة إلى ما بين ١٥٠٠ – ١٢٠٠ ق.م. وأنها استمرت حتى عام ٧٠٠ ق.م[2]، وهناك من كان أكثر تحديد فجعلها تبدأ فى ١١٢٠ ق.م. وينتهى حكم آخر ملوكها عام ٦٣٠ ق.م[3]، ثم ازداد العلماء نقداً لمصادرهم، وتقدمت أساليب الدراسة المقارنة لتواريخ الشعوب القديمة، فاقترح أحدهم أن بداية دولة معين لا يمكن أن يكون سابقاً على عام ٥٠٠ ق.م، فى حين هبط آخر بهذا التاريخ إلى عام ٤٠٠ ق.م وأن نهايتها تقع فى منتصف القرن الأول الميلادى أو قبل ذلك كحد أقصى.

ويمكن القول أن أسباب هذا الاختلاف بين آراء المؤرخين انما يرجع أولاً إلى أنه بالنسبة لأصحاب التاريخ المبكر، فقد تأثروا بعبارة «بلينيوس» التى وجهت أذهانهم إلى قدم دولة معين ونقوشها.. ففى تلك العبارة يربط بلينيوس بين المعينيين والميلوبيين من سكان جزيرة كريت، وجعل الشعبين من أصل واحد، وواضح أن السبب هو تشابه الاسمين عند كتابته بالحروف اليونانية أو اللاتينية، ولكن كنتيجة لتقدم دراسة تاريخ الكتابات القديمة وتطورها، من الكتابة الهجائية الفينيقية، لأن الكتابة المعينية هجائية متطورة عن الكتابة الفينيقية، فلابد أن تكون لاحقة لها، كل هذا غير من رأى العلماء وخاصة بعد أن ثبت أن حروف الهجاء الفينيقية بلغت مرحلة النضج فى القرن العاشر

(١) أنظر: جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثانى، ص ٧٧.
(٢) فريتزهومل، تاريخ العرب القديم، ص ٦٤ – ٦٥.
(3) Philpy, J. B., The Background of Islam, Alexandria, 1947, p. 141.

قبل الميلاد وعلي ذلك لا يمكن أن تكون الكتابات بالخط المسند فى اليمن عامة، سابقة على القرن العاشر بل لاحقة عليه، أما الأسلوب الآخر الأكثر تحديداً للتاريخ فهو الاختبار المعملى للآثار العضوية المعينية بطريقة (كربون ١٤) والتى قد أثبتت أن معين وسبأ كانتا متعاصرتين، إلى أن تمكنت سبأ من احتوائها هى وغيرها من مدن اليمن الأخرى والتفوق عليهم.

ولقد تعاقب على حكم معين خمس أسرات حاكمة، لم تحتفظ النصوص بألقاب حكامها الأوائل، إلا أنهم يبدو أنهم مثل جيرانهم قد بدأت سلطتهم بطابع دينى، فتلقب الحكام بلقب «مزود» الذى قد يعنى من يزود المعبودات أو المعابد بالقرابين أو من يزود دولتــه بخيراتها، ونظراً لثراء دولة معين فقد كانت هدفــاً لحكام سبأ الذين ما فتئوا فـــى الدخـــول فى معارك معها لنهب ثرواتها.

وفى أوائل القرن الرابع ق.م بدأت العصور الملكية فى معين، وذلك بعد استردادها كيانها من سبأ، وتلقب ملوكها بعدة ألقاب مثل «صدق» بمعنى الصادق أو العادل، «يشور» بمعنى المستقيم، و «ريام» بمعنى المتعالى، وفى ظل وجود النظام الملكى، فلقد وجد مجلس يتكون من مشايخ القبائل وأعيان العاصمة، وسمى هذا المجلس «مسد مفحن» بمعنى المجلس المنيع، وكان الملك يدعوا هذا المجلس للانعقاد للبحث فى تقدير الضرائب والتصديق على العقود التى تعقدها الدولة مع كبار الأفراد، وكذلك المداولة فى أمور الحرب(١).

ويرجح أنه قد قامت إلى جانب هذا المجلس، مجالس أخرى فرعية فى المدن الكبيرة والأقاليم، وتولى رياسة حكم الأقاليم والمدن الكبيرة فى معين موظفون تلقب كل منهم بلقب «كبر» أى كبير، أو وال، وكان من اختصاصه تولى القضاء وجباية الضرائب واقامة المشروعات العامة فى اقليمه(٢).

---

(١) عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٩١ - ٩٣.

(٢) نفس المرجع السابق. ص ٩٤.

وهذا وقد اشتهر المعينيون بأنهم قاموا بدور فعال فى انماء التجارة مع الشمال، ولعل أشهر نص فى هذا المجال هو النقش المعيني المعروف بنقش «جلاسر» وموضوعه الرئيسى هو عودة قافلة كبرى سالمة إلى (قرناوى) أهم مدن معين. هذا وقد ذكر اسم شعبى «معين ويثل» فى نهاية النقش مما يدل على أن المدينتين قد اشتركتا فى هذه القافلة، وهذا يدل على ضخامتها وشمولها، ومثل هذه القوافل كان يشبه أحياناً الحملة العسكرية فى حجمها وتسليحها، حتى تستطيع أن تواجه الأخطار التى تتعرض لها، وهناك ما يشير فى النص إلى أن تلك القافلة كانت تجارتها مع مصر.

ولقد تعامل تجار معين ووسطاؤها من «معين» مع العواصم المصرية، واستقر بعضهم فيها، ومنهم رجل يدعى «زيدايل بن زيد» دفن فى مصر، وعثر على تابوته فى منف، ويستدل من الكتابات المنقوشة عليه بخط المسند أنه عمل فى خدمة أحد المعابد المصرية، كما تولى توريد بعض المنتجات العربية إليه مثل المر وذلك فى مقابل ما كان يصدره إلى بلده من المنسوجات المصرية، ويؤرخ هذا النص بحوالى عام ٢٦٣ ق.م خلال عهد بطليموس الثانى أو بعده(١).

وهناك نقش من جزيرة ديلوس اليونانية ببحر ايجة، يرجع إلى النصف الثانى من القرن الثانى ق.م وورد فيه اسم الاله (ود) والهة معين، وهو بهذا يؤكد أن خطوط التجارة المعينية قد تعدت حدود الجزيرة العربية إلى مصر، وعبر البحر المتوسط إلى ديلوس، وأن هذا الامتداد لم يكن عن طريق وسطاء آخرين، ولكن مباشرة بواسطة تجار معينيين، ونظراً لإمكانية تعرض هذه القوافل للخطر على طول الطريق، أقام المعينيون محطات أو مراكز تجارية على طريق القوافل من معين ونجران جنوباً إلى فلسطين ودمشق، وقد كشف لنا عن هذه الحقيقة نقش عثر عليه فى موقع العلا فى شمال غرب الجزيرة

---

(1) BASOR, 73, p. 7.

حيث أقامت معين لها فى هذه البلدة مستوطنة تجارية، ويتضح أنها كانت وثيقة الصلة بالوطن الأصلى وخاضعة لملك معين، الذى كان يدير شئون المستوطنة عن طريق (كبير) يذكر اسمه فى الوثائق إلى جانب اسم ملك معين(١).

ويوضح ذلك أن معين كانت تمارس تجارتها عن طريق شبكة متقنة من المحطات التجارية المنتشرة على مراحل مناسبة على طريق القوافل داخل الجزيرة العربية، أو خارجها فى مراكز التجارة العالمية فى شرق البحر المتوسط، ويبدو مرجحاً أنه قد اشتركت مع معين فى هذه التجارة الدولية بعض جاراتها من الدول الجنوبية التى تتكامل معها، وأنسب الأقاليم التجارية لمثل هذا التكامل اقليم حضرموت نظراً لسيطرته على مناطق اللبان أو تحكمه فيها بحكم موقعه وأشرافه على المحيط الهندى من ناحية الجنوب، وكانت حضرموت التى كانت على اتصال بحرى مباشر بكل من الهند وشرق أفريقيا، بينما تحكمت معين فى زمام طريق التجارة إلى الشمال وكان هناك اتصال تجارى مباشر بين الاقليمين، وفى النقوش المعينية من قرنوا أو قرناو (أى معين) ويثل (أى براقش) – كلاهما من مدن الجوف – اشارات تدل على وجود علاقة خاصة كانت تقوم فى وقت من الأوقات بين معين وحضرموت، بل لعل هذه العلاقة ارتبطت بنشاط التجارة العالمية لمعين منذ عام ٤٠٠ ق.م تقريباً، إذ وجدت أسرة حكمت المنطقتين معاً منها «صدق ايل» ملك حضرموت والذى حكم معين أيضاً – وارتباط معين وحضرموت ارتباطاً تجارياً وسياسياً، كان بهدف السيطرة على تجارة البخور وخاصة فيما بين القرنين الرابع والثانى ق.م.

أما عن علاقة معين بسبأ، التى كان نفوذها وسلطانها فى تزايد مستمر خلال القرنين الثانى والأول ق.م، فهناك نقش معروف من مدينة يثل

---

(١) محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص ٢٢٧ – ٢٢٨.

(براقش) ذكر فيه اسم معين وأسماء آلهتها وأسماء ملوكها وذكر فيه اسم سبأ وملوكها. ولعل هذا يدل على أن معين كانت لا تزال قائمة، ولم تكن قد أدمجت بعد في الدولة السبئية، ويستدل من هذا النقش أيضاً أن أسرة سبئية قد اتخذت مركزاً تجارياً لها في بلدة يثل المعينية مما يشير إلى تشابك النشاط التجاري بين تجار معين وسبأ في المرحلة الأخيرة من تاريخ معين المستقلة، أي خلال القرن الأول ق.م، ثم ازداد شأن سبأ في الوقت الذي ضعفت فيه معين وازداد انقسامها إلى عدد من حكومات المدن المستقلة، حتى استطاعت سبأ في النهاية أن تبتلعها واحدة بعد الأخرى.

ومن أهم المدن المعينية مدينة «قرناو» العاصمة، وهي تقع في شرق الجوف، وقد بنيت في هيئة مستطيلة، وكانت مساحتها صغيرة نسبياً تبلغ نحو مائة ألف متر مربع، وسورت بسور ضخم ذي مدخلين، ويعلو فوق المداخل أبراج حجرية لحمايتها، ولقد بقي جزء من البرجين اللذين يحفان بمدخلها الشرقي. ويوجد بجانب العاصمة معبد كبير ورد اسمه في النصوص المعينية وهو معبد «رصف»، ولا زالت توجد بعض أعمدته ونقوشه وزخارفه(١).

ومن المدن الأخرى في معين مدينة «يائل» (براقش) وتدور حول تسمية براقش العديد من القصص، فرأى البعض أنها سميت بذلك نسبة إلى كلبة عرفت ببراقش، وزعم بعض آخر أنها امرأة، وهي ابنة ملك قديم، ذهب والدها للحرب، وترك لها مقاليد الحكم، فشيدت مدينة براقش ومعين ليخلد اسمها، فلما عاد والدها غضب وأمر بهدمها، ورأى آخرون أنها سميت باسم امرأة لقمان بن عاد. ومن المدن الأخرى «كمنهو» (خربة كمنه)، «نشان» (خربة السودا)، «نشق» (خربة البيضاء).

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٩١.

الفصل السابع
دولة حضرموت

دولة حضرموت

تقع حضرموت إلى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب وهي تشغل منطقة واسعة جمعت بين الجبال العالية والوديان العميقة، وكان واديها مجرى مائياً ضخماً خلال العصور المطيرة القديمة، وتجري فيه بضعة أنهار صغيرة منها نهر ميفع الذي يبدو أن له صلة قديمة باسم مدينة «ميفعة» أقدم عواصم حضرموت(١).

وفيما يتصل باسمها، فقد تردد اسمها في كتابات الكتاب اليونان والرومان مع شيء قليل أو كثير من التغيير والتحريف، فورد Chatromotitae و Hadrmyta، أما عند الإخباريين، فقد اعتبروا «حضرموت» ابناً من أبناء يقطان، واعتمدوا في ذلك على رواية التوراة.

وقد وصف صاحب كتاب «الطواف حول البحر الارتيري» سواحل حضرموت الجنوبية بأنها مناطق موبوءة يتجنبها الناس، و من ثم فلا يجمع التوابل واللبان منها إلا العبيد أو المجرمين الذين صدرت ضدهم أحكاماً صارمة، ومن الواضح أن هذا التفسير يعتمد على المعنى الظاهر من المقطع الثاني للكلمة وهو «موت» وربما كان لذلك صلة بالمعنى العبري للكلمة «دار الموت»، ومن ثم فقد قيل اسم حضرموت في التوراة «حاضرميت».

ويقدم «ياقوت الحموي» تفسيراً آخر لهذا الاسم، يعتمد على رواية التوراة يذكر فيه أن حضرموت اسماً لرجل هو «عامر بن قحطان» وأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل، ومن ثم فقد سمي بحضرموت، وهناك تفسير آخر لها، أنها سميت على اسم «حضرموت بن قحطان» الذي نزل هذا المكان فسميت به، فهو اسم موضع، واسم قبيلة(٢).

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) انظر: محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ٢٣٥ وما بعدها.

ويقدم استاذنا الأستاذ الدكتور مصطفى العبادى تفسيراً آخر لهذه التسمية، فهو يذكر أن اسم حضرموت نسبة لأحد الآلهة السامية القديمة وهو «موت» صنو الاله «ايل» وخصم الاله «بعل» فى أساطير أوجاريت، باعتبار أن موت اله العقم والعالم السفلى الذى حاربه بعل اله الخصب والنماء(١).

وفيما يتصل بالتحديد الزمنى لعصر دولة حضرموت، فليس هناك اتفاق على بدايته أو نهايته، فهناك من يرجع بدايته إلى نهاية الألف الثانى قبل الميلاد، بينما يرجعه البعض الآخر إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

ويستدل من النقوش التى كشف عنها بعض الأمور الداخلية، وهى توضح كذلك صلات حضرموت بالدول المحيطة بها فى ذلك الوقت، ومن هذه الاصلاحات الداخلية التى ورد ذكرها، نقش يخص أحد كبار الموظفين وهو «شكم سلحان بن رضوان»، وفيه يذكر أنه كلف ببناء سور وباب وتحصينات لحصن «قلت» الذى يشرف على وادى تقطعه الطريق القادمة من مدينة «حجر» والمؤدية إلى ميناء «قنا»، فضلاً عن انشاء أسوار وحواجز فى ممرات الوادى الرئيسية لحماية منطقة حجرَ من أى غزو أجنبى، ولاسيما غزو الحميريين الذين كانوا يهددون حضرموت، ويتدخلون فى شئونها، ويذكر أن هذه الأعمال قد تمت فى ثلاثة أشهر، وقام شكم سلحان كذلك ببناء سد فى وادى البنة، وكان ارتفاع هذا السور يبلغ حوالى سبعة أمتار، وبالإضافة إلى ذلك فقد أنشأ استحكامات ساحلية لحماية البر من أى هجوم بحرى، ويرى بعض الباحثين أن هذه الاستحكامات قد تم تشييدها فى أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن الرابع قبل الميلاد(٢).

ويرجح من بناء هذ الاستحكامات أن دولة حضرموت كانت تعانى فى ذلك الوقت من هجمات الحميريين عليها، ومن ثم فقد لجأت إلى سد الأودية بجدر حصينة قوية حتى يمكنها التحكم فى المرور فى الوادى.

---

(١) مصطفى العبادى، تاريخ العرب قبل الإسلام (محاضرات)، بيروت، ١٩٨٤، ص ٧٤.

(٢) جواد على، المرجع السابق، الجزء الثانى، ص ١٣٢ - ١٣٣.



ومن النقوش الهامة التى وصلتنا من دولة حضرموت، وتوضح صلاتها الخارجية بجيرانها نقش يرجع إلى عهد الملك «العزيلط» ملك حضرموت، وقد دون هذه النقوش رجلان من أشراف حمير بعث بهما ملك سبأ وذى ريدان للمشاركة فى الاحتفال بتتويج ملك حضرموت فى حصن أنود، كما وردت كتابات أخرى سجلها الملك الحضرمى نفسه ذكر فيها «العزيلط» ملك حضرموت، ابن عم ذخر، سار إلى حصن أنود، ليتلقب بلقبه(١).

ولا نعرف تاريخ نشأة هذا التقليد فى حضرموت، ولا السبب الذى من أجله اختير حصن أنود لهذا الغرض. فربما كان وجود المبعوثين الحميرين دليلاً على أن العلاقات بين حضرموت وسبأ كانت ودية، ومن ثم فقد أرسل ملك سبأ وذى ريدان مبعوثين لتهنئة حليفه وصديقه ملك حضرموت بمناسبة تتويجه، إلا أنها من ناحية أخرى، قد يستدل من وجود هذين المبعوثين أن ملك حضرموت انما كان يتولى سلطانه برضى من ملك سبأ.

وفيما يتصل بالتتويج عند حصن أنود، فربما كان هناك دافعاً دينياً وراء ذلك، ولقد استمر هذا التقليد إلى حوالى عام ٢٠٠م.

ومن النقوش التى تلقى ضوءاً على سياسة حضرموت الخارجية كذلك، نقشاً يسجل استقبال «العزيلط» لوفود من الهند، وتدمر، ومن الآراميين، وسجل نقش آخر مرافقة عشر نساء قرشيات للملك إلى حصن أنود، وتشير هذه النقوش إلى وجود علاقات ودية بين حضرموت وهذه المناطق، ومن ناحية أخرى، فإذا كان المقصود من قريش هنا المعروفة بمكة، فإن هذا يعد أقدم ذكر لها فى وثيقة مدونة.

ومن الناحية الدينية، فلقد كان القمر هو الاله الرئيسى وأطلقوا عليه التسمية «سين» وهو نفس الاسم الذى أطلق عليه فى أكد وبابل بالعراق القديم،

(1) Philpy, J. B., Sheba's Danghters, London, 1939, pp. 449 - 450.

وانتشرت معابد «سين» فى العاصمة شبوه وكذلك فى المدن الحضرمية الكبيرة[1].

وإذا تحدثنا عن أهم مدن حضرموت، فمما لا شك فيه أن مدينة «شبوة» العاصمة كانت من أهم مدن حضرموت، ومن أهم آثارها التى كشف عنها بقايا المعابد والقصور، فضلاً عن بقايا السدود التى كانت مقامة على وادى شبوة لحصر مياه الأمطار والافادة منها فى رى المناطق الخصيبة.

ومن النقوش التى وصلتنا وتتصل بمدينة شبوة، نقش تحدث فيه صاحبه وهو «يدع آل بين بن رب شمس» وذلك حوالى عام ٢٠٠م ووصف نفسه أنه من أحرار يهبار، وأنه عمر مدينة شبوة وأقام فيها، وبنى معبدها من الحجارة بعد الخراب الذى حل بها، وأنه احتفالاً بهذه المناسبة، قد أمر بتقديم القرابين فى حصن أنود فذبح ٣٥ ثوراً و٨٢ خروفاً و٢٥ غزالاً وثمانية فهود.

ولم يورد النقش سبب هذا الخراب الذى حل بمدينة شبوة، فهل كان ذلك نتيجة تدخل خارجى من سبأ، وأن المدينة قد عانت من التدمير فى هذا الخراب، أو أنه كان نتيجة ثورة داخلية، وأن «يدع آل بين» كان ثائراً على الملك الشرعى فى حضرموت، وأن الحرب قد انتهت بزوال الأسرة الملكية السابقة، وتتويج «يدع آل بين» ملكاً على حضرموت، وأنه كتب على هذه المدينة أن تلاقى الأمرين فى هذا الحرب الأهلية.

ومن مدن حضرموت كذلك مدينة «ميفعة» العاصمة القديمة لحضرموت، وتشير النصوص إلى تحصينها وتسويرها واقامة الأبراج حولها لصد الغزاة عنها، ومنها كذلك مدينة قنا وهى ميناء حضرموت الرئيسى، وهو يقع إلى الشرق من عدن. ومن هذه المدن، مدينة «مذب» أو «مذاب» والتى اشتهرت بمعبدها الذى خصص لعبادة اله القمر «سين»[2].

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) انظر فى مدن حضرموت.

جواد على: المرجع السابق، ص ١٥٧ – ١٦٦، محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٢٤٢ – ٢٤٥.

وأما متى انتهت دولة حضرموت، وأصبحت جزءاً من مملكة سبأ وذى ريدان، فهناك من الباحثين من يرى أن ذلك كان فى عام ٢٩٠م، ويرى آخرون أنه كان بعد عام ٣٠٠م فى عهد الملك «شمريهرعش»، بينما يذهب فريق ثالث إلى أنه كان فى القرن الرابع الميلادى.

الفصل الثامن
دولـة قتبـان

دولـة قتبـــان

يقع اقليم قتبان فى جنوب اليمن بين حضرموت شرقاً واوسان غرباً، وهى مثلهما تشرف جنوباً على بحر العرب أو المحيط الهندى، وتتصل شمالاً بالمرتفعات اليمنية. وتقع فى تلك المرتفعات عاصمتها «تمنع» وقد أشار بعض الكتبة الكلاسيكيين من أمثال «ثيوفراستس» و «سترابو» و «بلينى» وغيرهم إلى القتبانيين، أما المصادر العربية فليس فيها شىء يستحق الذكر عن قتبان، سوى أنها موضع من نواحى عدن، وأنهم من قبائل حمير - ويبدو أن هذا الخلط بينهم وبين حمير يرجع إلى ضعف قتبان واندماجها بعد فقد استقلالها فى حكومة سبأ، وهى التى يطلق عليها المؤرخون اسم (حمير).

وقد تميزت الكتابات القتبانية بكثرة ما ورد فيها من نصوص رسمية تتعلق بالضرائب أو القوانين أو التجارة، ومع ذلك فإن غالبيتها قد كتب فى أغراض شخصية، ومن ثم فهى لا تفيد فى استخراج تاريخ منها.

وفيما يتعلق بتعيين مبدأ أو نهاية مملكة قتبان فقد أرجع «هومل»[١] تاريخها إلى ما قبل سنة (١٠٠٠) قبل الميلاد، وذهب (ملاكر) إلى أن ابتداء حكم قتبان كان فى حوالى عام ٦٤٥ ق.م، وأن نهاية استقلالها كان فى القرن الثالث قبل الميلاد[٢]. ويرى «جلاسر» أن نهاية هذه الدولة كانت بين (٢٠٠) و (٢٤ ق.م)[٣]، وذهب «ريكمنس» أن نهاية مملكة قتبان كانت فى حوالى السنة (٢١٠) أو (٢٠٧)[٤] للميلاد.

هذا وقد كان حكام قتبان الأوائل يلقبون أنفسهم باللقب الذى تلقب به حكام سبأ وهو لقب «مكرب»، وتترجم هذه الكلمة «مقرب» أى التقرب إلى

---

(١) فريتز هومل، المرجع السابق، ص ١٠٠ - ١٠٤.
(2) BASOR, 119, 1950, p. 3.
(3) Glaser, E., Die Abessinier in Arabien and Africa, p. 114.
(٤) أنظر: جواد على: المرجع السابق، ص ١٧٧.

الآلهة – فهو إذن كناية عن الكاهن الحاكم الذى يحكم باسم الآلهة التى يتحدث باسمها – ثم تلى ذلك أن تلقب حكام قتبان بلقب «ملك» عندما ازدادت سلطاتهم وتجاوزت حدود المعبد.

ومن قدماء مكربى قتبان – المكرب (سمة على وتر) وقد عثر على كتابات من عهده كتبت بشكل حلزونى، وهناك كذلك ابنه (هوف عم يهنعم) وجاء بعده (شهر يجل يهرجب) و (أب عم).

ويحاول بعض الباحثين أن يقسموا تاريخ قتبان إلى ثلاث فترات، تختلف الواحدة منها عن الأخرى، وأهم حكام الفترة الأولى «يدع أب ذبيان»(١) بن شهر، وقد حكم فى الفترة (٧٥٠ – ٧٣٥ ق.م) فى رأى البعض، وكان أول من حمل لقب ملك بجانب لقب مكرب – وربما كان فى بادئ الأمر كاهناً، ثم حمل لقب ملك، ثم اللقبين معاً، وان اقتصر فى الفترة الأخيرة من حكمه على لقب ملك، على أساس أنه اللقب الرئيسى لحكام قتبان، وقد عثر على عدد من الكتابات القتبانية، ورد فيها أسم هذا الملك. وقد ورد فى احداها بأن هذا المكرب قام بعمل ثغرة فى الجبل ليمر منها الطريق المار فى الجبل من مكان إلى مكان، وقد اشترك فى هذا العمل إلى جانب «يدع أب ذبيان»، شعب قتبان وقبائل أخرى غير قتبانية، وفى هذا دلالة على وجود فن هندسى راق عند العرب الجنوبيين فى هذا العهد.

ويرى بعض الباحثين أن ملك قتبان كان قد توسع فى عهد «يدع أب ذبيان» هذا فصار يشمل كل (أوسان) وقتبان ومراد، حتى بلغ حدود سبأ، ولحماية أرضه أقام الحواجز وفتح الطرق فى الهضاب والجبال ليكون فى امكان جيشه اجتيازها بسهولة فى تحركه لمقاتلة أعدائه. وتعبيراً عن فتوحاته هذه فى شمال وفى جنوب قتبان استعمل لقب (أيمنن وأشامن) أى (الجنوبيون والشماليون) وهو لقب يعبر عن هذا التوسع الذى تم على يديه.

---

(١) أنظر: جواد على، المرجع السابق، ص ١٨٩ وما بعدها، فؤاد حسنين، المرجع السابق، ص ٢٨٦.

كذلك قام الملك «يدع أب ذبيان» ببناء حصن «بوم» تقرباً وتودداً لآلهة قتبان.

وينسب إلى عهد هذا الملك وثيقة على جانب كبير من الأهمية، وذلك لأنها تظهر لنا أصول التشريع وكيفية اصدار القوانين عند العرب الجنوبيين قبل الميلاد، وهى توضح لنا أن الملك هو المرجع الأعلى للدولة، فهو وحده يملك حق إصدار القوانين ونشرها والأمر بتنفيذها، وإلى جانبه كان هناك مجالس مسماة بـ (المزود) وتتكون من ممثلى المدن ومن رؤساء القبائل والشعاب، وهى التى تقترح القوانين وتضع مسودات اللوائح، فإذا وافقت المجالس عليها عرضتها على الملك لامضائها ولنشرها بصورة أمر ملكى، ليطلع الناس على احكام الأمر الملكى ويعملوا به. وقد احتوت الوثيقة السالفة الذكر على قانون فى عقوبات القتل العمد أو القتل الخطأ غير المتعمد وفى العقوبات التى يجب أن يعاقب بها من يصيب إنساناً بجرح أو جروح قد تحدث آفات وعطلاً فى الشخص، وتعتبر هذه الوثيقة الهامة التى ترجع إلى عهد الملك «يدع أب ذبيان» من الأوامر التى أصدرها الملك فى النصف الأول من القرن الرابع ق.م(١).

وورد أسم ملك آخر من ملوك قتبان يدعى «شهر هلل بن يدع أب» فى قانون أصدره للقتبانيين المقيمين بمدينة «تمنع» أى عاصمة قتبان، ومن يقيم خارجها، وذلك لتنظيم التجارة، ولتعيين حقوق الحكومة فى ضرائب البيع والشراء، والأماكن التى يكون فيها الاتجار، وفى هذا القانون مصطلحات تجارية مهمة توضح مبلغ تقدم القتبانيين فى أصول التشريع التجارى فى ذلك الوقت.

أما الملك «يدع أب يحل» القتبانى، فقد نشبت فى عهده حرب بين سبأ وقتبان ذكرت فى احدى النصوص التى ورد بها أن قبائل سبأ ثارت وتمردت على ملك قتبان ولكنه تغلب عليها وفرض عليها الجزية وأخذ غنائم منها.

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٢٥١ – ٢٥٢.

وجاء فى الكتابات القديمة اسم ملك آخر من ملوك قتبان وهو الملك (شهر غيلن بن أبشم)[1] وقد أصدر أمر ملكى لجباية الضرائب من قبيلة (كحد) ذلك فقد أحرز هذا الملك نصراً على حضرموت، ويتبين من ذلك أن قتبان كانت فى عهد هذا الملك قوية، وقد عثر على عدد من الكتابات القتبانية ورد فيها اسم الملك (شهر يحل بن يدع أب) وجاء بها أمر ملكى فى كيفية جمع الجباية من طائفة معبد الاله فى أرض لبخ، ويظهر من هذا المصطلح ومن مصطلحات مشابهة أخرى أن العرب الجنوبيين كانوا يؤلفون طوائف تنتمى إلى اله من الآلهة تتسمى به وتقيم حول معبده، وربما كانت تتعاون فى استغلال الأرض، وتقدم حقوق الحكومة منها إلى الجباة الذين يجبون تلك الحقوق.

وقد ورد فى احدى الكتابات القتبانية أن حكومة معين كانت خاضعة لحكومة قتبان فى عهد الملك القتبانى (شهر يجل يهر جب)، ويرى بعض المؤرخين أن ذلك كان حوالى سنة ٨٢٠ ق.م، وإن كانت معين قد احتفظت باستقلالها الذاتى، إذ بقى ملوكها يحكمونها فى ذلك العهد، ولدينا نص مهم طويل، هو قانون أصدره (شهر يجل يهر جب) باسمه وباسم شعب قتبان لقبائل قتبان فى كيفية الاستفادة من الأرضين (المعينية والقتبانية) واستثمارها.

وورد اسم ملك آخر من ملوك قتبان ويدعى (نبط بن شهر هلال) وذكر فى عهده حرب اشتركت فيها عدة جهات، وهى حرب وقعت فى عهد هذا الملك، ورغم أنه قد تلقب فى الكتابات بلقب ملك، إلا أنه كان فى الواقع خاضعاً لحكم حكومة حضرموت، وقد جعل المؤرخين زمان حكمه فى حوالى السنة (١٢٠م)، وجعلوا نهاية حكم ابنه فى حوالى السنة (١٤٠م) ومعنى ذلك أن الحرب المذكورة قد وقعت فى خلال هذه السنين.

---

(١) جواد على، المرجع السابق، ص ١٩٨ وما بعدها.

ويتفق جميع الباحثين فى دراسة تاريخ الحكومات العربية الجنوبية على أن السبئيين هم الذين قضوا على استقلال حكومة قتبان، وقد اختلفوا فقط فى تحديد الوقت الذى تم فيه، فبينما يرى البعض أن ذلك كان فى حوالى عام ٥٤٠ ق.م، يرى البعض الآخر أن سقوط مدينة تمنع كان فى حوالى ٥٠ ق.م. ولا يعنى سقوط تمنع وخرابها وفقدان القتبانيين لاستقلالهم، أن الشعب القتبانى قد زال من الوجود، وأن أسمه قد اندثر واختفى، فإننا نرى أن الجغرافى الشهير (بطليموس) يذكر اسمهم فى جملة من ذكرهم من شعوب تقطن فى جزيرة العرب.

أما عن أهم مدن قتبان، فهى العاصمة (تمنع) وتعرف حديثاً بـ (كحلان) وبـ (هجر كحلان) فى (وادى بيجان) فى منطقة عرفت قديماً بخصبها وبكثرة مياهها وبساتينها، وقد تعرضت لاحداث عنيفة انتهت بخرابها بالحريق، أما عن الأسباب التى أدت إلى حدوث هذا الحريق الذى دمر المدينة فهى غير معروفة لنا، وقد أدت فى النهاية إلى دمار تمنع وانتقال الحكم منها إلى موقع آخر يدعى (حرب) أو (حريب) التى قامت بها أسرة جديدة اتخذوا لقب ملك وضربوا عملة ذهبية بأسمائهم(١).

وفى مجال العمارة أبدى القتبانيون اهتماماً بالغاً ببيوت الآلهة ومعابدها، وفى هذا تعبير عن عقيدتهم الراسخة وولائهم الدائم لها، ولا يخلو نقش مهما كانت مناسبته إلا وقد ذكرت فيه العديد من الآلهة، ايماناً منهم بوقوف الآلهة معهم فى أحوال السلم والحرب، ومن ثم كان من الطبيعى أن يقوم أهل قتبان بأداء واجباتهم نحو تلك الآلهة من صلاة ودعاء وشكر ورعاية لبيوتها، وقد جاءت النقوش القتبانية مصدقة لكل ذلك. وهناك نقوش من عهد المكارية، ورد فيها أسماء آلهة قتبانية هى (انبى) و (حوكم) و (عم)، وورد فيها أيضاً بناء معابد للآلهة على سبيل الشكر والدعاء لها لترعى السلام و الأمان للتجارة المسافرة على الطرق.

---

(١) وندل فيلبس: كنوز مدينة بلقيس، قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية فى اليمن، ترجمة عمر الديرادى، بيروت، ١٩٦١، ص ١٠٥ وما بعدها.

الفصل التاسع
دولـة سـبأ

دولة سـبأ

حظيت دولة سبأ بأهمية خاصة بين الدول التى ظهرت فى جنوب الجزيرة العربية، ويرجع ذلك إلى الصلة التى ربطت بين ملكة سبأ والنبى سليمان – عليه السلام – وورود أخبار هذه العلاقة فى القرآن الكريم والتوراه.

وتشير الأدلة الأثرية التى كشف عنها فى العراق القديم ورود اسم سبأ فى النقوش الأشورية التى ترجع إلى الملك الأشورى تيجلات بلاسر الثالث فى عام ٧٣٨ ق.م الذى ذكر أنه تلقى جزى السبأيين من الذهب والابل والتوابل، وأكد ذلك نص يرجع إلى عهد الملك سرجون الثانى (٧٢١ – ٧٠٥ ق.م)(١) وذلك فى معرض الدول التى تؤدى إليه الجزية، ويتجه بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن هذا النص يشير إلى قيام السبئيين بدفع الجزية عن تجارتهم فى شمال جزيرة العرب، حتى يسمح لهم بالمرور إلى شواطئ البحر المتوسط، وذلك نظراً لأن سرجون الثانى لم يصل بفتوحاته الخارجية حتى اليمن، ويشير بعض العلماء إلى أن كلمة Sabu – SA-Ba-A-A الواردة فى أحد النصوص السومرية التى عثر عليها فى لجش حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م. تعنى سبأ، وإذا كان ذلك صحيحاً أصبحت هذه النصوص السومرية أقدم نصوص تاريخية تصل الينا – حتى الآن – وفيها ذكر سبأ، ويكون السبئيون بذلك أول شعب عربى جنوبى يصل ذكره الينا.

وقد أثار هذا النقش جدلاً كبيراً بين العلماء، فاتجه البعض إلى الاعتقاد بأن السبئيين المذكورين فى النصوص السومرية كانوا يقيمون فى بادية شمال بلاد العرب ومنها انتقلوا إلى اليمن، وأختلفت الآراء كذلك بشأن زمن هذا الانتقال فاتجه البعض إلى تحديده بالقرن الثانى عشر قبل الميلاد، وأرجعه البعض الآخر إلى القرن الحادى عشر، بينما أرجعه فريق ثالث إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٤٨ – ٤٩.

ولقد أشارت بعض كتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان إلى دوله سبأ، وكان المؤرخ اليونانى «ثيوفراستس» هو أول من أشار اليهم، وقد اعتمد فى معلوماته التى ذكرها عن دولة سبأ على ما سمعه من تجار الاسكندرية ومن البحارة الذين كانوا يجوبون البحر الأحمر ويصلون إلى العربية الجنوبية وسواحل إفريقية والهند، ونظراً للاطماع السياسية للسيطرة على بلاد العرب، فقد حاول الرومان الحصول بكافةالطرق على المعلومات المتصلة ببلاد العرب عن طبيعة أرضها ومواردها وحالة سكانها ومواطن الضعف لديهم، واعتبروا هذه المعلومات من أسرار الدولة التى لا يجوز افشاؤها، ولقد تم جمعها وخزنت فى الاسكندرية، ولم يسمح الا لبعض الخاصة من العلماء من الاستفادة منها، ولقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى زيادة المعلومات عن بلاد العرب، ومحاولة تنقيتها من الشوائب وتوثيقها إلى أبعد حد ممكن.

وفيما يتصل بالأدلة الأثرية السبئية، فإننا نعتمد فى دراستنا لدولة سبأ اعتماداً كبيراً على الكتابات السبئية التى عثر عليها فى مواضع متعددة من جنوب الجزيرة العربية وبخاصة فى الجوف مقر السبئين، الا أنه يؤخذ على الكتابات السبئية انها لم تتخذ تاريخاً مطلقاً كبداية للتاريخ، وانما أرخت الأحداث نسبة إلى الأشخاص، وبعض الأحداث الهامة، وذلك مما يجعل عملية تحديد زمن هذه النصوص أمراً من الصعوبة بمكان، ومع ذلك فلقد أمدتنا هذه النقوش بمعلومات لابأس بها عن نظام الحكم وتتابع الحكام فى بعض الآحايين والأعمال الهامة التى قاموا بانجازها والأحداث الكبيرة التى حدثت فى عهودهم.

وفيما يتصل بالكتابات المقدسة، فلقد أشار القرآن الكريم فى سورة سميت باسم «سبأ» وهى السورة «٣٤» من القرآن الكريم، إلى ماكانت تتمتع به دوله سبأ من نعيم ورخاء مقيم، فقال جل من علا ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ

وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ ثم تتحدث آيات القرآن الكريم بعد ذلك عما أصابهم نتيجة إعراضهم، من تعرضهم لسيل مدمر حطم كل شئ. انظر فى ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾.

وأشار القرآن الكريم فى سورة النمل إلى قصة زيارة ملكة سبأ لسليمان – عليه السلام – دون الإشارة إلى أسمها. ومما جاء فى ذلك قوله سبحانه وتعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ

(١) سورة سبأ، الآيات من ١٥ – ١٦.

الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي
أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو
بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا
دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي
مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ
أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)
ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ
صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ
وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ
أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ
كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا
يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن
قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢).

صدق الله العظيم

) سورة النمل الآيات من ٢٠ – ٤٤.

ولقد وردت كلمة «سبأ» و «شبأ» فى التوراة، ولكن كاتبى التوراة كانوا مترددين فى نسبهم، فهم مرة من الحاميين، فلقد ورد فى الآية السابعة من الأصحاح العاشر سفر التكوين: «وبنوكوش سبأ وحويله وسبته ورعمه وسبتكا، وبنو رعمه شبا وددان»[1]. وورد كذلك فى الآية التاسعة من الأصحاح الأول من أخبار الأيام الأول: «وبنوكوش سبأ وحويله وسبتا ورعما وسبتكا، وبنو رعما شبا وددان». فلقد ذكروا فى هذين الموضعين على انهم من كوش أى من الحاميين[2].

وهم مرة أخرى من الساميين، فلقد ورد فى الآيات من ٢١ – ٢٨ من الأصحاح العاشر من سفر التكوين ما يشير إلى ذلك: وولد لسام أيضاً بنون وهو أبو جميع بنى عابر اخو يافث الأكبر، بنو سام عيلام واشور وازمكشاد ولود وأرام، بنو أرام عوص وحول وجاثر وماش وارفكشاد ولد شالح وشالح ولدعابر، وولد لعابر ابنان اسم أحدهما فالج لأنه فى أيامه انقسمت الأرض واسم أخيه يقطان، ويقطان ولد الموداد وشالف وحضر موت ويارح، وهدورام واوزال ودقله، وعوبال وابيمائيل وشبا»[3].

ووصفت أرض «شبأ» فى التوراة بأنها كانت تصدر اللبان، وان تجارها كانوا يقومون بالتبادل التجارى مع العبرانيين، انظر فى ذلك ما جاء فى الآية العشرين من الأصحاح السادس من نبوه أرميا: «لماذا يأتينى اللبان من شبأ وقصب الذريزة من أرض بعيدة»[4]. وما جاء فى الآيات ٢٢– ٢٤ من الأصحاح السابع والعشرين من نبوة حزقيال وجاء فيها:

«تجار شبأ ورعمه متجرون معك وبأفضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب أقاموا أسواقك ، حاران وكده وعادان وتجار شبأ وأشور وكلمد متجرون معك، هؤلاء يتجرون معك بالأنسجة الفاخرة وبأردية من

---

(١) تكوين: ١٠ – ٧.
(٢) أخبار الأيام الأول، ١ – ٩.
(٣) تكوين:،١٠: ٢١ – ٢٨.
(٤) أرميا، ٦ : ٢٠.

السمنجونى والوشى وبالنفائس من الثياب المبرمة المشد. دة بالحبال المعكومة بين بضائعك(١)،

ولقد أشارت التوراة إلى قصة سليمان – عليه السلام – مع ملكة سبأ ، ويلاحظ أن التوراة لم تذكر اسم ملكة سبأ، ولقد وردت هذه القصة فى الآيات من ١ – ١٠، ١٣ من الأصحاح العاشر من سفر الملوك الثالث وجاء فيها: «وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان واسم الرب فقدمت لتختبره بأحاجى، فدخلت أورشليم فى موكب عظيم جداً ومعها جمال موقره أطيابا وذهبا كثيراً جداً وحجارة كريمة وأتت سليمان وكلمته بجميع ما كان فى خاطرها، ففسر لها سليمان جميع كلامها ولم يخف على الملك شئ لم يفسره لها، ورأت ملكة سبا كل حكمة سليمان والبيت الذى بناه، وطعام موائدة ومسكن عبيده وقيام خدامه ولباسهم وسقاته ومحرقاته التى كان يصعدها فى بيت الرب فلم يبق فيها روح بعد، وقالت للملك حقاً كان الكلام الذى يلقى فى أرضى عن أقوالك وعن حكمتك ولم أصدق ما قيل لى حتى قدمت وعاينت بعينى فاذا أنى لم أخبر بالنصف فقد زدت حكمة وصلاحاً على الخبر الذى سمعته، طوبى لرجالك طوبى لعبيدك هؤلاء القائمين دائما بين يديك يسمعون حكمتك، تبارك الرب الهك الذى رضى منك وأجلسك على عرش اسرائيل فانه لاجل حب الرب لاسرائيل الى الابد، اقامك ملكا لتجرى الحكم والعدل، وأعطت الملك مائة وعشرين قنطار ذهب وأطيانا كثيرة وحجارة كريمة ولم يرد بعد فى الكثرة مثل ذلك الطيب الذى وهبته ملكة سبأ للملك سليمان ... واعطى الملك سليمان ملكة سبأ كل بغيتها التى سألتها فوق ما أعطاها من العطايا على حسب كرم الملك سليمان وانصرفت وذهبت إلى أرضها هى وعبيدها(٢).

وتشير أحداث هذه القصة إلى معرفة العبرانيين بالسبئيين، وان اختلفت وجهات نظر المؤرخين فى مكان دولة سبأ التى ورد ذكرها فى أحداث هذه

---

(١) حزقيال، ٢٧ : ٢٢ – ٢٤.
(٢) الملوك ثالث، ١٠: ١ – ١٠، ١٣.

القصة، فأتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنها كانت مملكة عربية صغيرة في أعالي جزيرة العرب كان سكانها من السبئيين القاطنين في الشمال.

ورغم الأختلاف في تفاصيل كيفية تعرف سليمان - عليه السلام - بملكة سبأ والهدف من الزيارة بين ما ورد في القرآن الكريم والتوراة، الا أنها تشير إلى معرفة العبرانيين بالسبئيين وإلى وجود هذه المملكة في القرن العاشر قبل الميلاد.

أصل السبأيين:

اختلف المؤرخون في أصل السبئيين، فتذكر الروايات العربية أن سبأ من قحطان، ويسمونهم العرب المتعربة، تمييزاً لهم عن العرب الذين كانوا قبلهم، وتشير هذه الروايات أن والده هو يشجب بن يعرب بن قحطان، وتذكر أن من أولاده قبائل كثيرة انتشرت في كل مكان من جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده، ونسب إليه نسله من السبئيين، وقد ذكروا أن اسمه الحقيقي هوعبد شمس، وأما «سبأ» فهو لقب تلقب به، وذهبوا في سبب هذه الكنية مذاهب متعددة، فقالوا أنه لقب به لأنه أول من سبأ، أي سن السبي من ملوك العرب، واتجه البعض الآخر إلى احاكة الأساطير حوله فقالوا أنه بنى مدينة «سبأ» وسد مأرب، وغزا الأقطار وبنى مدينة عين شمس في مصر، وهي أمور لاتعدو أن تكون خيالا في مخيلة كاتبيها(١).

ولم يعثر في النصوص العربية الجنوبية التي كشف عنها عن شئ يتصل بشخص يدعى سبأ أو أسمه واعماله، وكل ما ورد في هذه النقوش يشير إلى أن سبأ هو أسم شعب كون له مملكة وكان له حكامه ونظامه السياسي والإداري والاقتصادي، وعلاقاته الخارجية.

---

(١) انظر: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الرسل والملوك، الجزء الأول، ص ٢١١، ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي الشيباني)، الكامل في التاريخ، الجزء الأول، ص ٢٣٠.

ويتجه بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن السبئيين كانوا فى الأصل شعب بدوى يتنقل بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبهـا، ثم استقر فى بلاد اليمن فيما يقرب من عام ٨٠٠ ق.م، وأخذوا يوسعون منطقة نفوذهم على حساب جيرانهم من المعينيين والأوسانيين والحضارمة ، وعملوا بالتجارة وسيطروا على الطرق التجارية الرئيسية التى تصل ما بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها وبلاد الشام، وكان لذلك أثره الكبير فى ازدهار دولة سبأ ونموها بين ممالك العرب الجنوبية(١).

مراحل التاريخ السبئي:

أمكن بفضل النقوش السبئية تقسيم عصر دولة سبأ إلى عدة مراحل وذلك على أساس تغير لقب حكام سبأ، حيث تغير هذا اللقب عدة مرات، وفى كل مرة كان يتغير فيها كان يحدث تغيير فى نظام الحكام، وتدخل سبأ فى عهد جديد يختلف عنوانه عن العهد السابق، ولقد أمكن تحديد مراحل أربعة رئيسية مرت بها سبأ، وهذه المراحل هى:

١- مرحلة المكاربة: وهى مرحلة كان يتلقب فيها حاكم سبأ بلقب مكرب، أى المقرب من الآلهة، أو الوسيط بين الآلهة والناس، وقد اتخذ المكاربة من صرواح عاصمة لهم ثم نقلوها إلى مأرب، ، ويمتد عصر المكاربة من عام ٨٠٠ - ٦٥٠ ق.م (٢).

٢- مرحلة ملوك سبأ: وهى المرحلة التى تلقب فيها حكام سبأ بلقب «ملك سبأ» وتمتد هذه المرحلة حتى علم ١١٥ ق.م أو ١٠٩ ق.م.

٣- مرحلة ملوك سبأ وذي ريدان (١١٥ - ٣٠٠م).

٤- مرحلة ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن وأعرابها فى

---

(1) Burton, R. F., Royal Inscriptions From Sumer & Akkad.

(٢) جواد على، المرجع السابق، ص ٢٦٩.

المرتفعات وفى التهائم، وهو آخر دور من أدوار الحكم فى سبأ (٣٠٠م – ٥٢٥م)(١).

١- سبأ في عهد المكارية

اتخذ حكام سبأ فى أقدم عهودهم لقب «مكرب»، وذلك كما ورد فى الكتابات السبئية وتشير اللفظة على التقرب من الآلهة، فكان «المكرب» هو المقرب أو الوسيط بين الآلهة والناس، وغلب على حكام سبأ فى هذه المرحلة الصفة الدينية(٢).

وفيما يتصل بالتحديد الزمنى لحكم المكارية فهناك عدة آراء تدور حول هذا الأمر، فهناك من يرى أن بداية حكم المكارية ترجع إلى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد، بينما هناك رأى ثان يرى أن بداية حكمهم كان فى بداية عام ٨٠٠ ق.م واستمر عهدهم لمدة قرنين ونصف أى حتى حوالى عام ٦٥٠ ق. م بينما رأى فريق ثالث أن مدة حكم المكارية قد استمرت ثلاثة قرون وذلك من حوالى ٧٥٠ ق.م وحتى ٤٥٠ ق.م.

ونلاحظ من ذلك اختلاف آراء المؤرخين حول بداية عهد المكارية وكذلك نهاية هذا العهد، فبينما يرجع البعض بدايته إلى القرن العاشر ق.م، نجد البعض الآخر يرجع بدايته إلى أواسط القرن الثامن ق.م، وبينما يجعل البعض نهاية هذا العهد فى منتصف القرن السابع ق.م، نجد البعض الآخر يجعلها فى أواسط القرن الخامس ق.م(٣). ويرجع ذلك – كما سبقت الإشارة – إلى عدم وجود تواريخ محددة وثابتة نستطيع التأريخ على أساسها لدولة سبأ ولعدم وجود تواريخ ثابتة تثبت حكم كل ملك بصورة قاطعة.

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ١٨٩.
(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٥٤.
(٣) راجع فى ذلك: جواد على: المرجع السابق، ص ٢٦٨ وما بعدها. عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٥٤ – ٥٥، محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٢٧٣ ومابعدها.
- Phillpy, T. B., op. cit., p. 141.

ومن أقدم مكارية سبأ الذين وصلتنا معلومات عنهم المكرب «سمة على»، وقد وصلنا من عهده بعض الكتابات المكتوبة بالطريقة الحلزونية، ولكن هذه الكتابات كانت قصيرة وناقصة، ولقد ورد فيها أسماء بعض المعبودات مثل: عثتر والمقه وذات حميم.

ولقد اختلفت آراء العلماء حول حكام سبأ وترتيب تتابعهم فى الحكم وكذلك سنوات حكمهم، وحاولوا ترتيبهم على أساس تقدير عمر البقايا الأثرية التى تخلفت من عهودهم والطبقات الأثرية المتخلفة فيها وكذلك على أساس دراسة نماذج الخطوط والكتابات التى وردت عنهم، ويلاحظ فى ذلك تباين آراء المؤرخين حول عددهم وتتابعهم ، ومن أشهر هؤلاء المكارية:

- سمة على.
- يدع ايل ذريح.
- يثع أمر وتر.
- يدع ايل بين.
- يثع أمر وتر.
- ذمر على وتر.
- يثع أمر بين.
- ذمر على ينف.
- كرب ايل وتر.



سياسة سبأ الداخلية في عهد المكاربة

١- بناء المعابد:

اهتم مكاربة سبأ ببناء معابد الآلهة وتقديم القرابين لها، وتشير نقوش المكاربة الأوائل إلى تشييدهم لمعابد الآلهة فى صرواح ومأرب وغيرها من المناطق السبئية، ولعل من أشهر هذه المعابد، المعبد الذى شيده المكرب «يدع ايل ذريح» للاله المقه فى مأرب(١)، ويسمى هذا المعبد «معبد أوام» وهو يعرف حالياً باسم «محرم بلقيس»، وهو يقع جنوب شرق مأرب الحالية بحوالى أربعة كيلو مترات.

وفى محاولة لتفسير معنى التسمية الحالية للمعبد، يذكر الأستاذ الدكتور أحمد فخرى(٢) أن كلمة «محرم» تعنى المكان المقدس للإله أو بعبارة أخرى «المعبد»، أما «بلقيس» فيرى المؤرخون العرب أنها ملكة سبأ التى زارت سيدنا سليمان – عليه السلام – ويرون أن اسمها كان «بلقيس» أو «بلقمة» ويرجح علماء الساميات أن «بلقمة» هو الأرجح، وربما كان اسم الإله «المقه» يدخل فى تركيبه، أما اسم «بلقيس» الذى تكرر ذكره فى كتب المفسرين المسلمين فلم يرد على الاطلاق بين الاسماء السبئية المعروفة، وهناك احتمال بان الأسم منقول عن العبرية التى نقلته بدورها عن اليونانية ومعناه «أمة» أو جارية.

---

(١) يتجه بعض الباحثين إلى أن هذا المعبد كان موجوداً قبل عهد «يدع ايل ذريح» وأنه لم يكن البانى له كله، بل قام ببناء بعض اجزائه فقط، غير أنه لم يعثر على اسم من قيام ببنائه، ومهما كان الأمر، فإن أقدم اسم موجود فى هذا المعبد هو لهذا المكرب، ولهذا فانه ينسب اليه، حتى تكشف لنا الحفائر التى تجرى فى هذه المنطقة عن اسم بانية.

(٢) أحمد فخرى، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ١٨٤.

وفيما يتصل بالتصميم المعمارى لمعبد أوام «محرم بلقيس»(1)، فيلاحظ أنه يكاد يكون بيضاوى الشكل، ويوجد مدخله الرئيسى فى الناحية الشمالية، ويوجد أمام المدخل بهو ذى أعمدة على جوانبه، ويعد المدخل بحوالى عشرة أمتار تقوم ثمانية أعمدة كبيرة فى صف واحد، وذلك عدا الأعمدة الصغيرة. ويوجد فى الجهة الشرقية من البناء هيكلاً صغيراً من الحجر له أربعة أعمدة، وشيد السور الخارجى للمعبد من أحجار منحوته، وهى تتفاوت فى أحجامها، وقد زين أعلى السور ببعض الزخارف، وكان للمعبد باب جانبى آخر فى الناحية الغربية وهو مواجه للمدينة القديمة، وربما كان هناك طريق موصل بين الأثنين، ومن المحتمل أن تكون هناك أبواب جانبية أخرى مغطاة الآن بالرمال.

وقام مكارية سبأ بعد ذلك بترميم المعبد وتوسعته، ومن هؤلاء المكارية «يدع أمر بين» الذى حكم فى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد، الذى سجل نقشا على الناحية الغربية من سور المعبد اشار فيه إلى قيامه باتمام بناء المعبد ، ولقد ظل هذا المعبد يؤدى وظيفته فى عبادة المعبود المقه مدة تناهز الألف عام، حيث عثر على كتابات بالقرب من باب المعبد تشير إلى القيام ببعض الترميمات فيه، وترجع هذه الكتابات إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين.

وقام المكرب «يدع ايل ذريح» ببناء معبد للإله المقه أيضاً فى مدينة صرواح، ولكن لا يمكن معرفة التصميم الأصلى لهذا المعبد، وذلك نظراً لأنه قد استخدم خلال العصور الوسطى كحصن، فاستخدمت فيه مداخل وسدت منافذ وهدمت كثيراً من أحجاره.

٢- تشييد السدود:

أهتم مكارية سبا بالاصلاحات الزراعية، فعملوا على استصلاح الأرض

(1) نفس المرجع السابق، ص ١٨٤ - ١٨٧.

واستغلالها، ومن أجل ذلك وجهوا اهتمامهم لبناء السدود لحجز المياه للاستفادة منها فى أعمال الزراعة، وأقام العرب السدود لقلة المياه فى بلادهم فلم يدعوا واديا يمكن استثمار جانبيه بالماء الا وحجزوا سيله بسد، فتكاثرت السدود بتكاثر الأودية حتى تجاوزت المئات . ولقد ذكر الهمذانى فى يحصب العلو من مخاليف اليمن وحده ثمانين سدا، وإلى ذلك أشار شاعرهم بقوله:

وبالبقعة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سد تقذف الماء سائلا

وكانوا يسمون كل سد باسم خاص به، أو ينسبه إلى البلد المقام فيه، ومن أعظم هذه السدود فى بلاد العرب وأشهرها سد مأرب[1]. ومن أقدم النقوش التى وصلتنا عن سد مأرب نقش من عهد المكرب «سمه على ينف» وأشار فيه إلى تصميمه لسد رحاب للسيطرة على مياه الأمطار والاستفادة من السيول، وهو جزء من مشروع سد مأرب، ويشير هذا النقش كذلك إلى قيام هذا المكرب بثقب حاجز من الحجر، وفتح ثغرة فيه لمرور المياه منها إلى سد رحاب لتسيل إلى منطقة يسران، وكانت تغذيها مسايل وقنوات عديدة تأتى بالماء من حوض هذا السد.

وتشير نقوش «سمة على ينف» وهى أقدم كتابات تصلنا عن سد مأرب إلى قيامه بأعمال هامة فيه، الا أنه لايمكن القول أنه هو مشيده، فقد يكون تشييده قد بدأ من قبل حكمه وأنه أتم هذا العمل، ولكن نظراً للنقص الشديد فى الوثائق المتصلة بهذا الموضوع يظل «سمة على ينف» هو أقدم المكاربة الذين نعرف عنهم قيامهم بتشييد سد مأرب، وكان ذلك فى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد، ولقد سار على نهجه من جاء بعده من المكاربة فى الاهتمام بسد مأرب وتعليه جدارنه وترميمها واستحداث اضافات اليه.

ويعتبر سد مأرب أعظم عمل هندسى قديم فى الجزيرة العربية كلها ،

---

(١) راجع: أحمد فخرى: المرجع السابق، ص ١٧٨ - ٢٠٣، عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٦١ - ٦٦.

ولقد حظى بكثرة ما ورد عنه فى أخبار العرب وأشعارهم وذلك على سبيل العظة والعبرة لما أصاب سبأ نتيجة انهياره، ولقد أشار القرآن الكريم فى سورة سبأ إلى ما أصاب سبأ نتيجة حدوث سيل العرم، فقال تعالى فى كتابه الكريم: «لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم وأشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور، وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين، فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور»/ الآيات من ١٥ – ١٨(١).

وسيل العرم الذى يشير اليه القرآن الكريم، والذى كتب فيه المفسرون كثيراً، وكان سبباً فى خراب المنطقة، حدث فى وقت ما بين أعوام ٥٤٣، ٥٧٠م، أى قبيل مولد النبى عليه أفضل الصلاة والسلام، ولكن بالرغم من أن حادث هذا السيل كان قريباً من البعثة المحمدية فإن ماكتبه الشراح والمفسرين ملئ بالقصص الخيالية سواء كانت عن سبب تخريب السد وتهدمه أو عن الذين قاموا ببنائه، فقال بعضهم أن بانيه هو سبأ بن يشجب، وقال غيرهم بناه لقمان بن عاد، وجعله فرسخا فى فرسخ، وجعل له ثلاثين فتحة، إلى غير ذلك من المبالغات.

ولعل من أوثق روايات العرب عن سد مأرب ما ذكره أبى محمد الحسن ابن يعقوب الهمذانى فى كتابه الأكليل ، وكان قد شاهد انقاضه بنفسه فى أوائل القرن الرابع للهجرة، وكان يقرأ خط المسند ويفهمه، فوصف انقاضه مع تطبيقها على ما جاء فى القرآن الكريم، ولقد جاء فى رواية الهمذانى(٢):

---

(١) سورة سبأ، الآيات ١٥ – ١٨.

(٢) الهمذانى (أو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب): الأكليل، الجزء الثامن.

ذكر مأرب: وهى مسكن سبأ الذى قال الله فيه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾(١). وهى كثيره العجائب ، والجنتان عن يمين السد ويساره، وهما اليوم غامرتان، والغامر العافى، وانما عفتا لما اندحق السد فارتفعنا عن أيدى السيول، ووجدت فى احداهما غريق اراك، وفى أصله جذع نخلة أسود قد كسبت كبقية السواقى، فقال بعض من كان معى: لا أظنه الا من بقايا نخل الجنتين، وما أظنه بقى من العصر القديم، وأما مقاسم الماء من مداخر السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعاً فرغ من عملها بالأمس. ورأيت بناء أحد الصدفين وهو الذى يخرج من الماء، قائماً بحالة على أوثق ما يكون ولا يتغير الا أن يشاء الله، وانما وقع الكسر فى العرم وقد بقى من العرم شئ مما يصل إلى الجنة اليسرى ويكون عرض اسفله خمسة عشر ذراعا، قال تبارك وتعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾(٢) قيل الخمط الاراك والاثل الطرفاء، والسدر المعروف العرج وهو العلب وجمعه علوب والواحدة علبة.

ومن أمثال العرب فى الرجل المنيع الجانب: هو رجل لا يفاش عليه ولا يخلف وثله ودو، وبها من الاراك ما ليس ببلد ومن الحمام المطوق فى الاراك ما يجل عن الصفة. وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواضع جمة باليمن، من (عروش وجانب ردمان وسرعة وذمار وجهران وكومان وأسبيل وكثير من مخاليف خولان) . وفى هذا السد يقول الأعشى(٣).

---

(١) سورة سبا، أية رقم ١٥.

(٢) سورة سبا، أية رقم ١٦.

(٣) انظر: أحمد فخرى: المرجع السابق، ص ١٩٣.

«كفي ذلك للمؤتسي أسوه \ ومأرب قفا عليها العرم
رخام بناه له حمير \ اذا جاء مواره لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها \ على ساعة ماؤهم ينقسم
فعاشوا بذلك في غبطة \ فجار بهم جارف منهزم
فطار القيول وقيالها \ بيهماء فيها سراب يطم»

وفيما يتصل بوصف السد، فيلاحظ أن السيول المتدفقة فى الوديان تصل إلى منطقة قريبة من مأرب فى وادى اذنه حيث تدخل فى جبل يسمى «جبل بلق» وتسمى الفتحة التى تدخل منها المياه باسم «الضيقة» ولكل من جهتيها اسم حسب وصفها بلق الأيمن وبلق الأيسر.

ويرتفع جبل بلق فى تلك المنطقة إلى حوالى ٣٠٠ متر، ويبلغ متوسط اتساع «الضيقة» ٢٣٠ متراً، ولكنها تتسع فى الوسط فيصبح اتساعها ٥٠٠ مترا، ثم تضيق بعد ذلك فلا تزيد عن ١٩٠ مترا تقريبا، ثم تستمر الناحية الشمالية فى امتدادها بينما تنفرج الناحية الأخرى، وقد اختير هذا المكان لتشييد السد، فبنى فيه جداراً قوياً يعترض الوادى ويوقف مياه السيول المتدفقة، وجعلوا فى الناحيتين فتحتين احداهما إلى أقصى اليمين واستغلوا ذلك الجبل المرتفع فى هذا الغرض فلم يبنوا الا جداراً ضخماً واحد ليكون صدفاً ثانياً للبوابة، أما البوابة التى فى الناحية اليسرى (الجهة الجنوبية) فهى أكبر وأعظم، وتنقسم إلى قسمين، وبنوا لها جدارين كبيرين يسيران مسافة غير قليلة، ثم ينتهيان بحوض كبير مبنى بالحجر ترى فى جهاته المختلفة فتحات متعددة يخرج من كل منها قناة تسير لرى ناحية من نواحى الوادى الفسيح.

ولقد شيد هذا السد لغرضين: الأول السيطرة على مياه السيول المتدفقة فلا تخرب ما يعترضها اذا جاءت فجأة بكثرة غير عادية، وثانيهما تخزين تلك المياه ورفع مستوها أمام السد وعدم صرف شئ منها إلا بالمقدار اللازم،

وبذلك يضمنون رى وادى مأرب الذى يرتفع عن مستوى السابلة بخمسة أمتار، ويأمنون توفر كميات المياه اللازمة للرى حين يحين موعد مجئ سيول أخرى.

وفيما يتصل بوقت تهدمه[1]، فيلاحظ أن السد لم يتهدم مرة واحدة وأنما صارع عوامل الزمن والطبيعة، وأهمال الانسان طيلة الفترة التى كان قائماً فيها، ولاريب أنه تأثر بتلك التحولات السياسية والاقتصادية التى شهدتها اليمن قديماً، وتعرض للأهمال والكوارث الطبيعية مراراً ومن النقوش التى سجلت تهدم السد والقيام بترميمه، نقش عثر عليه فى مأرب ويعرف باسم «جام٦٧١» ويرجع إلى أواسط القرن الرابع الميلادى، وفيه يشير «تأران بم يهنعم» وأبنه «ملكى كرب يهأمن» إلى اصلاح ما تهدم من السد فى حوالى ثلاثة أشهر. ووصلنا النقش الثانى من عهد الملك «شرحبيل يعفر بن أبى كرب أسعد» التبع اليمانى وذلك بين عامى ٤٤٩، ٤٥٩م، وفيه يشير إلى اصلاح ما تهدم من السد من جداره، أو قنواته واعيد بناؤه سويا، كما كان، وذلك فى خمسة أشهر من العمل المتواصل واشترك فى اصلاحه عشرون ألف رجل.

وتهدم سد مأرب للمرة الثانية فى عهد ابرهة الذى حكم اليمن بعد الغزو الحبشى واليا لنجاشى الحبشة ثم حاكما مستقلا عنه، وكان ذلك حوالى عام ٥٤٣م. وقد عمل فى اصلاح السد آنذاك عدد كبير من العمال وصرف على ترميمه أموال طائلة اشير اليها فى نقش ابرهة الذى عثر عليه قرب السد ويطلق عليه (المدونة ٥٤٢) وكان خبر انكسار السد قد بلغ ابرهة وهو فى احدى حملاته لاخضاع بعض القبائل الثائرة، وعاد ابرهة ومعه من ثار عليه من القبائل واشتراك الجميع فى اصلاح السد وباشراف ابرهة نفسه، وقد خلد ابرهة ذكرى هذا العمل فى نقش عثر عليه جلازر، ونورد فيمايلى ما

(١) انظر : مصطفى العبادى: المرجع السابق، ص ٩٩ – ١٠١.

جاء فى هذا النص اعتمادا على ما ورد فى مؤلف الأستاذ جرجى زيدان عن العرب قبل الإسلام(١).

«بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس، أن ابرهة عزيز الاحباش الاكسوميين، ملك اراخميس زبيمان، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم فى نجد وتهامة، قد نقش هذا الأثر تذكاراً لتغلبه على يزيد بن كبشه، عامله الذى كان قد ولاه كنده ورئ، وعينه قائدا ومعه اقيال سبأ الصحاريين، وهم مرة ونمامة وحذش، ومرثد وصنف ذو خليل واليزنيون اقبال معدى كرب بن السميع وهفان واخوته ابناء الاسلم، فأنفذ الملك إليه الجراح ذازنبور فقتله يزيد وهدم قصر كدار وحشد من أطاعه من كنده وحريب وحضرموت وفرهجان الزمارى إلى نجران... وبينما هم فى ذلك جاءهم النبأ بتهدم السد والحائط والحوض والمصرف فى شهر ذو المدرج سنة ٦٥٧ فأمر بالعفو ... وبعث إلى القبائل بانفاذ الحجارة للأساس والحجر الخام والأخشاب ورصاص الصب ... لترميم السد فى مأرب ... فتوجه اولاً إلى مأرب وصلى فى كنيستها، ثم عمد إلى الترميم فنبشوا الانقاض حتى وصلوا إلى الصخر وبنوا عليه. وعلم وهو فى ذلك أن القبائل تضايقت من العمل، ورأى اعدامهم يعود بالضرر فعفا عنهم: احباشهم وحميريهم، وأذن بانصرافهم ... ورجع الملك إلى مأرب بعد أن عقد تحالفا مع الأقيال الآتى ذكرهم: اكسوم ذو معاهر بن الملك ومرجزف ذو ذرناح وعادل ذو غائش وازداد شولمان وشبعان ورعين وهمدان والكلاع ... الخ وجاء اليه وفد النجاش ووفد ملك الروم ورسول من المنذر وآخر من الحارث بن جبلة، وآخرون جاءوا بعون الرحمن يخطبون مودته فى أواخر شهر داوان، وبعثوا اليه من غلة اراضيهم لترميم ما انصدع من البناء فرمموه ووسعوه حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعا وارتفاعه ٣٥ ذراعا (ثم ذكر ما انفق فيه من الحجارة والأطعمة للعمال والحيوانات للعمل)، واستغرق العمل فى

---

(١) انظر: جرجى زيدان: العرب قبل الاسلام، بيروت، ١٩٦٩.

ذلك ٥٨ يوما و ١١ شهرا، وكان الفراغ منه فى شهر ذو معان سنة ٦٥٨. وهذه السنة في حساب الحميريين تعدل عام ٥٤٣ للميلاد، لانهم كانوا يبداون تاريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد».

أما متى تفجر سد مأرب للمرة الأخيرة، وهى الحادثة التى ذكرها القرآن الكريم، فلا يعلم زمانها بدقة وأن كان جمهور العلماء يرى أن تلك الحادثة لابد وأن تكون قد تمت بعد منتصف القرن السادس الميلادى، أى بعد عام ٥٥٠ ميلادية، وذلك قبل ميلاد الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه، بسنوات قليلة.

٣- بناء المدن:

اتخذ مكارية سبأ من صرواح عاصمة لهم فى بادئ الأمر، وظلت قرونا طويلة عاصمة لهم، وعنى الكثير من حكام سبأ بتشييد المعابد فيها، وتقع مدينة صرواح فى وادى صرواح الذى يكاد يكون مستديرا، وتحيط به المياه من كل ناحية، وكان له سد لتخزين مياه الأمطار. وتوجد المناطق الاثرية فى صرواح فى ثلاثة مناطق متقاربة واحدة منها هى منطقة السد وتعرف باسم «البناء»، والثانية هى المنطقة المسماة «القصر»، والمنطقة الثالثة وتعرف باسم «الخريبة»، وتوجد فيها بقايا المعابد، ومن أشهرها المعبد الكبير الخاص بالاله «المقه»، والذى سبقت الاشارة اليه(١).

سياسة سبأ الخارجية فى عهد المكارية:

تشير العديد من النقوش السبئية الى الاهتمام بمدينة نشق وتحصينها(١)وهى مدينة معينية فى الاصل، كانت مهمة بالنسبة لهم، فقرروا اصلاح ما تخرب منها، واستصلاح أرضها لاسكان السبئيين فيها، ووسعوا فى حدودها، واصلحوا نظم الرى فيها، ووزعوا اراضيها الزراعية على

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٥٧ وما بعدها، أحمد فخرى: أحدث الاكتشافات الاثرية فى اليمن، ص ١٥٩ - ١٦٢.

اتباعهم السبئيين، وحولوها بذلك الى مدينة سبئية. ومن هذه النقوش التى تشير الى اهتمام مكارية سبأ بمدينة نشق، نقش خاص بالمكرب «كرب أيل بين» ويشير فيه الى أنه وسع حدود مدينة (نشق) وحسن المدينة، واشار ابنه المكرب «ذمرعل وتر» الى أنه أمر بتوسيع (نشق) واصلاح الارض المحيطة بها، وبتحسين نظم الرى فيها، وذلك فيما وراء الحد الذى وضعه أبوه لهذه المدينة، وأنه قد جعل ذلك وقفا على شعب سبأ.

ويشير الى توسع السبئيين أيضا نقش يرجع الى عهد المكرب «يثع امر بين» وفيه يذكر أنه سور وحصن قلعة (حريب) وهما من مدن قتبان[٢]، ويشير ذلك الى توسع السبئيين فى عهد المكارية والى اتخاذهم هذه الحصون مواقع هجوية تذهب منها جيوشهم على جيرانهم الذين اصابت حكوماتها الضعف.

ولقد ورد فى نقش خاص بالملك سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) أنه تسلم هدايا من عدد من الملوك، من بينهم «يثع امره السبئى» وذهب بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن «يثع امره هذا كان أحد الملوك السبئيين الحاكمين فى شمال جزيرة العرب على مقربة من البادية فى أعالى الحجاز، أو نجد مثلا، أو فى الارض الواقعة فى المناطق الجنوبية من الاردن، بينما يرى اخرون أنه هو المكرب السبئى الذى حكم فى الجنوب، وهو ما يتجه اليه معظم الباحثين، وفى هذه الحالة، فأن هذه الهدايا لا تشير الى خضوع سبأ للاشوريين، اذ أنه من المستبعد بلوغ نفوذ الاشوريين فى ذلك الوقت الى اليمن، وعلى ذلك فإن هذه الهدايا تكون مجرد تعبير عن الصداقة التى كانت تربط بين أشور وسبأ، خاصة وأن بين اليمن والعراق تجارة مستمرة قديمة، ومواصلات متصلة، فلتوطيد الصداقة بين الحكومتين وتسهيل التبادل

---

(١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ٦٧.

(2) Philpy, J, B., Sheba'i Daughters, p. 445,

التجارى بين العراق واليمن ارسل حكام سبأ تلك الهدايا لكسب ودهم وتسهيل أمور تجارتهم فى أسواق العراق.

٢- عصر ملوك سبأ

يبدأ عصر ملوك سبأ بالملك «كرب ايل وتر» الذى كان «مكربا» ثم أخذ لقب «ملك» كما تشير الى ذلك النقوش التى ترجع الى عهده، ومن أهمها نقش صرواح المنقوش على الجدار المشيد من المرمر فى بهو المعبد الرئيسى فى صرواح، وقد افتتح هذا النقش بجملة: «هذا ما امر بكتابته كرب ايل وتر بن ذمر على مكرب سبأ عندما صار ملكا». ويشير استخدام حكام سبأ لهذا اللقب الى زيادة صفتهم السياسية عن صفتهم الدينية. وقد انتقلت الحكومة من صرواح العاصمة الأولى القديمة الى مأرب العاصمة الجديدة، حيث استقر الملوك فيها متخذين من قصر سلحين مستقرا لهم.

وفيما يتصل بالتحديد الزمنى لعص ملوك سبأ، فهناك من المؤرخين من يجعل بداية هذا العصر حوالى عام ٦٥٠ ق.م[١]، بينما يرجعه آخرون الى حوالى عام ٤٥٠ ق.م، إلا أن الرأى الأول هو الأرجح. أما عن تحديد نهايته، فيتجه غالبية العلماء الى تحديده بحوالى عام ١١٥ ق.م أو ١٠٩ ق.م.

وقد اختلف المؤرخون فى عدد ملوك سبأ، فذكر «هومل» فى قائمته تسعة عشر ملكا، وذكر «كليمان هوار» اثنا عشر ملكا، وأورد «فلبى» اسماء خمس وعشرين ملكا، ومن هؤلاء الملوك:

- سمه على ذريح.
- الشرح بن سمه على ذريح.
- كرب ايل وتر بن سمه على ذريح.
- يدع ايل بين بن كرب ايل وتر.

---

(١) فريتز هومل: المرجع السابق، ص ٨٧.
انظر: جواد على: المرجع السابق، ص ٣٤٧ – ٣٥٢.

- يكرب ملك وتر.
- يثع امر بين.
- كرب ايل وتر.
- سمع على ينف.
- الشرح بن سمه على ينف.
- ذمر على بين بن سمه على ينف.
- يدع ايل وتر.
- ذمر على بين بن يدع ايل وتر.
- كرب ايل وتر بن ذمر على بين.
- نشأ كرب يهنعم.
- ناصر يهنعم.
- وهب أل يحز.
- كرب ايل وتر يهنعم(١).

سياسة سبأ الداخلية في عصر الملوك

١- الاهتمام بالنواحي الاقتصادية:

أهتم ملوك سبأ باقامة السدود وحصر السيول وشق القنوات لاستصلاح الأراضى الصالحة للزراعة وتنظيم وسائل الرى. وفى ذلك يشير أول ملوك سبأ وهو «كرب ايل وتر» فى نقش النصر الى شكره لالهته وثنائه عليها لمباركتها أرضه وأرض شعبه، ووهبت أرض سبأ مطراً سال فى الأودية فأخذت الأرض زخرفها بالنبات، واذ مكنته من انشاء السدود وحصر السيول حتى صار فى الامكان اسقاء الاراضى المرتفعة، واحياء الاماكن التى حرمت من الماء، وكذلك احياء اراضى واسعة بانشاء سد لحصر مياه الامطار

(١) انظر: جواد على: المرجع السابق، ص ٣٤٧ - ٣٥٢.

يتصل بقناة روت اراض لم تكن المياه تصل اليها، فوصلت اليها بامتلاء حوض السد بالماء، وبانشائه مسايل أوصلت المياه الى أراض أخرى، كما نظم الرى، حتى صارت المياه تسقى كل أرض. كما اشار فى نقش آخر يعرف باسم Glaser 1000B الى اقامته لخزان ماء فى وادى أذنة، وأقام مسايل للماء فوصلها الى (يسران) وأنه شيد وحصن وقوى جدار ماء (بلط) وما يتفرع منه من مساق ومسايل. ويشير فى هذا النقش كذلك الى تعميره لاراض زراعية، فى أرض (يسران) وغرسه لنباتات فيها[١].

وورد نقش من عهد الملك «كرب ايل وتر» سجله أحد كبراء القبائل بمناسبة قيامه بأعمال زراعية وبأمور تتعلق برى الارض مثل حفر الانهار وبناء السدود. وقد ورد فى هذا النقش اسماء الاماكن التى أجريت فيها هذه الاعمال، وهى (أثين) و (مطرن) و (مأتم) و (ذو فنوتم) و (سمطانهان) وهى من مزارع الملك. وغوطة (ذو ضأم) فى (سرو أمان).

وقد ذكر اسم الملك «كرب ايل وتر يهنعم» فى النص المعروف بـ Jamme ٥٦٣وقد دونه أناس من (بنى عثكلان) حمدا وشكراً للاله المقه الذى انعم عليهم وحباهم بنعمه، واعطاهم حصادا جيدا وغلة وافرة، وليزيد فى فيقه لهم ونعمه عليهم، وليبعد أذى الحساد وشر الشائنين، ويوضح ذلك مدى الاهتمام بزيادة المحاصيل الزراعية.

كما جاء اسم هذا الملك فى نص آخر دونه قيل من أقيال (غيمان) معروف بـ Jamme 464 دونه عند تقديمه تمثالا للاله المقه حمدا له وشكرا على انعامه عليه وعلى جيش واقيال الملك كرب ايل وتر يهنعم، ولأنه من عليه وأعطاه حاصلا طيبا وغلة وافرة وأثمارا كثيرة، وليمن عليه وعلى قومه فى المستقبل أيضا، وذلك بحق المقه وبحق الألهة عثتر ... ثم يعدد النقش العديد من الآلهة السبئية[٢].

---

(١) نفس المرجع السابق: ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٢) جرجى زيدان: المرجع السابق ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

٢- النواحي المعمارية:

العمارة الدينية: اهتم ملوك سبأ باقامة معابد الآلهة وترميمها وتقديم القرابين اليها، ومن بين النقوش التى وصلتنا وتشير الى اهتمام الملوك بترميم المعابد وزيادتها، نقش يعرف بـ CIH 374[١] ورد فيه «أن الشرح ابن سمه على ذريح» قد اقام جدار معبد المقه من موضع الكتابة الى أعلاها، ورمم ابراج هذا المعبد، وحفر الخنادق، ووفى بجميع نذره الذى نذره لإلهه المقه على الوفاء به بعد أن أجاب دعاءه، وقد استجاب الهه لسؤاله، فيسر أمره وأعطاه كل ما أراد، فشكرا له على نعمه، وشكرا لبقية آلهة سبأ، وهى: عثتر وهبس وذات حميم، وذات بعدن وتمجيدا لاسم والده «سمه على ذريح» ان أمر بتدوين هذه الكتابة ليطلع عليها الناس.

العمارة المدنية: اشار أول ملوك سبأ «كرب ايل وتر» فى نقش النصر الذى يرجع الى عهده الى بعض ما قام به من اعمال عمرانية، فذكر أنه أتم بناء الطابق الأعلى من قصر سلحين ابتداء من الاعمدة، والطابق الاسفل الى أعلى القصر.

وفيما يتصل بعاصمة سبأ فى عهد الملوك فكانت مأرب[٢]، وكان يحيط بها سور قوى حصين له ابراج، وشيد السور بحجر البلق، كما ورد فى النقش المعروف بـ Glaser 418, 419، وأقيم السور على اساس قوى من الحجر، وكان يوجد بالسور بابين، ومن أعظم ابنية مأرب واشهرها قصر ملوكها وهو المعروف بقصر سلحين، ومعبدها الكبير الخاص بالاله المقه، وفى الناحية الشمالية والغربية من المدينة وفى خارج أسوارها توجد بقايا مقبرة جاهلية، يبدو أنها كانت مقبرة مأرب قبل الإسلام.

---

(1) Philby, J, B. The Background of Islam, p. 142.

(٢) محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨.

٢- النظم السياسية:

توجد بعض الاشارات التى يمكن الاستدلال منها على بعض نواحى التنظيم السياسى فى عصر ملوك سبأ، ومن هذه الاشارات ما ورد فى عهد الملك «يكرب ملك وتر» وهو النقش المعروف Halevy 51[1]، وقد سجل عليه تأييد هذا الملك لقانون كان قد صدر فى أيام حكم أبيه لشعب سبأ، وقبيلة «يهبلح»، وهو يتصل بحقوق الارض وكيفية استغلالها واستثمارها فى مقابل ضرائب معينة تدفع الى الدولة، وفى الواجبات المترتبة على سبأ وعلى (يهبلح) فى موضوع الخدمات العسكرية، وتقديم الجنود لخدة الدولة فى السلم والحرب، وقد شهد على صحة هذا القانون وأيد صدق صدوره من الملك ووافق عليه جماعة من الاشراف وسادات القبائل المتضامنة مع سبأ، وقد ذكرت اسماؤهم بعد جملة «شهد على صحة هذا البيان، وأيده، ووافق على ما جاء فيه».

يتضح من هذا النقش أهمية القبائل السياسية فى اتخاذ قرارات القوانين والموافقة عليها، وأنه كان يوجد - وذلك فيما يذكر استاذنا الاستاذ الدكتور مصطفى العبادى - ما يمكن أن يطلق عليه مجلس قبائل سبأ، وان هذا المجلس يتكون من ممثلين لاشراف كل قبيلة ويرأسه الملك، ويبدو أنه لابد من موافقة هذا المجلس على ما يصدره الملك من قرارات، وبعبارة أخرى كان هذا المجلس هو الذى يصنع سياسة الدولة بما يتفق ومصالح القبائل الممثلة فيه.

ويؤيد ذلك نقش آخر يرجع الى عهد الملك «كرب ايل وتر» ويعرف بـ Glaser 1571 وهو يتضمن أمراً ملكيا يتصل بجباية الضرائب، وقد شهد عليه ووقعه ممثلون عن القبائل: قبيلة ذى يفعان، قبيلة نزحتن (نزحتان)، وقبيلة اربعنهان، وقبيلة فيشان، وكبير صرواح.

---

(1) Halevy, J., Raport Sur une Mission Archeologlque. dans le Yemen, J. A., VI, Paris, 1872, p. 137.

السياسة الخارجية :

استمر «كرب ايل وتر» أول ملوك سبأ فى سياسة المكارية الخارجية، وذلك فيما يتصل بسياسة التوسع والقضاء على الحكومات العربية الجنوبية الأخرى، أو اخضاعها لحكم سبأ، وقد سجل فى نقشه المعروف باسم نقش النصر ما قام به من اعمال حربية ونتائج هذه الحروب، ونستطيع من دراستنا للاعمال العسكرية فى هذا النص معرفة الاتساع الذى بلغته سبأ فى عهده وما غنمه فى هذه الحروب وما أوقعه بأعدائه أو المتحالفين معه. ولقد اطال فى ذكر البلاد التى فتحها ودمرها، ويذكر أنه فى حربه ضد أوزان قتل ١٦,٠٠٠ من اعدائه وأسر ٤٠,٠٠٠، ويقول أنه استمر فى فتوحاته حتى وصل الى البحر ودانت أوزان وملكها «مارتو» لسلطانه، وبعد أن تم له اخضاع الجنوب، اتجه ببصره نحو مدن المعينيين فأخضعها واحدة بعد أخرى، وقبل ملوكها دفع الجزية له، وأن يكونوا من أتباعه، ويشير فى آخر النقش الى حملته على نجران. ولقد كانت حروب هذا الملك فاتحة عهد جديد فى تاريخ اليمن القديم، وأصبح ملك سبأ، ملكا على اليمن بأكملها بما فى ذلك حضرموت ونجران، وما يسمى الآن بالمحميات، واستمر ذلك الملك الواسع الكبير لسبأ لمدة عدة قرون[١] .

ومنذ عهد الملك «يثع امر بين» دخلت سبأ فى صراع مع قتبان، ومما يشير الى ذلك نقش سجله كاهن الإلهة ذات غضران بمناسبة اقامته هو وافراد اسرته جدارا فى معبد الاله المقه وشكرهم لآلهة سبأ لأنها انعمت عليه حين كان قائدا عسكريا بالتوفيق فى عقد صلح بين حكومة سبأ وحكومة قتبان وذلك بعد حرب ضارية استمرت لمدة خمس سنوات، كانت قتبان هى التى اشعلت نارها بهجومها على أرض سبأ، وقد عهد الى هذا الكاهن والقائد بمحاربة القتبانيين والدفاع عن المملكة، فاستطاع وقف الهجوم القتبانى

---

(١) انظر : جواد على : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ ـ ٢٩٩ .

واجلائهم وانتهى الأمر بعقد صلح معهم. مكن السبئيون من استعادة اراضيهم التى احتلها القتبانيون[1].

ولم تنته جولات الحروب بين سبأ وقتبان عند ذلك، فهناك العديد من الاشارات الى وقوع حروب بينهم بعد ذلك، استمر بعضها سنين طويلة استغرقت عهد العديد من الملوك، وكان لقتبان الغلبة فى بعضها حيث استولت على بعض املاك القبائل السبئية وسجلتها باسمها.

ويستدل من النص المعروف بـ Glaser 1228 أن «وهب إيل يحز» قد دخل فى صراع حربى مع الريدانيين، وقد ساعد السبئيين فى هذه الحرب بعض القبائل ومنها مخطران، وسخيم، وذو خولان، وبنوتبع بينما انضم الى جانب الريدانيين سعد شمس، ومرثد.

ويشير نص آخر الى هذه الحروب مع الريدانيين، وهو يعرف بـ Jamme 561 BIS وقد سجله بعض اقيال همدان وذلك عند تقديمهم تمثالا الى الاله المقه لأنه من عليهم وعلى قبيلتهم، وأغدق عليهم نعماءه واعطاهم غنائم كثيرة فى الحرب التى وقعت بين ملوك سبأ وبين ذى ريدان واشتركوا فيها، اذ ترأسوا بعض القوات وكذلك فى غاراتهم على أرض العرب المجاورين لقبيلتهم والنازلين على حدودها، أولئك العرب الذين أخطأوا تجاه امرائهم وساداتهم ملوك سبأ، وتجاه بعض قبائل ملك سبأ، ولان الاله المقه أنعم عليهم بأن جعل الملك «وهب ايل يحز» ملك سبأ راضياً عنهم، مقربا لهم.

ويتبين من هذا النقش ان هؤلاء الاقيال من قبيلة همدان كانوا فى خدمة ملك سبأ، وأنهم قد اشتركوا مع ملك سبأ «وهب ايل يحز» فى تكبيد بنى ذى ريدان خسائر فادحة فى الحرب التى نشبت بينهم وبين هذا الملك كما يتبين

---

(1) Halevy, J., JA, 1874, p. 548.,
Bowen, R, L., And Albright, F., Archaeologial Discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958, p. 222.

من هذا النقش كذلك أن أرض همدان قد تعرضت لغارات الاعراب، وقد نجحوا فى تأديبهم.

وقد وردت أولى الاشارات عن الاعراب وغاراتهم على السبئيين وقوافلهم من عهد الملك «نشأ كرب يهنعم»، وقد دون هذا النص بعض الأفراد من قبيلة بنى آل الجميل العرج وهم من كبراء قبيلة يدع، وذلك حمدا للاله المقه الذى أجاب نداءهم وأغاثهم ومن عليهم وعلى بيتهم سلحين فى الجميل وحماهم من الغارة التى أمر بها الملك «نشأ كرب يهنعم» على (أرض عربى)، أى أرض الاعراب لانقاذ اصدقائهم وأهليهم فى مأرب، وكذلك الجنود والحيوانات التى كانت معهم واعادتهم الى مأرب.

ويتضح من هذا النص أن اعراب البادية كانوا قد أغاروا على جماعة من السبئيين، أو أنهم هاجموا أرض سبأ، فأرسل الملك السبئى «نشأ كرب يهنعم» قوة من الجيش ومن الاهالى للاغارة عليهم فى مضاربهم (أرض العرب) ولاسترجاع ما أخذوه من غنائم وأسلاب واسرى، وقد رجعت الحملة سالمة. ومن الواضح أن (أرض عربن) تشير هنا الى اعراب البادية المتنقلون الرحل والذين لم يكن لهم موطنا محددا ولا اسما معينا، وذلك بعكس القبائل المستقرة فى اليمن والتى كانت تذكر بأسماء قبائلها ومواطنها(١).

٣- دولة سبأ وذى ريدان

اتخذ ملوك سبأ فى هذا العهد لقباً جديداً وهو «ملوك سبأ وذى ريدان» وذلك اشارة الى ضم ذى ريدان الى مملكة سبأ، الا أنه لا يمكن الجزم بذلك، فقد ظل للريدانيين كيانهم الى جانب دولة سبأ، مما قد يرجح فيما يرى الاساذ الدكتور مصطفى العبادى أن ذلك يعنى تحالفا بين سبأ وقبائلها وكيان ذى ريدان وحمير.

وقد اختلف المؤرخون حول بداية هذا العهد، فيتجه اغلب العلماء الى أن

---

(١) أنظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٢٩٢ - ٢٩٥.

ذلك كان حوالي عام ١١٨ أو ١١٥ أو ١٠٩ ق.م، إلا أن البعض يتجه الى الاعتقاد بأن ذلك اللقب لم يظهر الا فى أواخر القرن الأول قبل الميلاد[١].

وتتميز هذه المرحلة من الناحية الداخلية بالاضطراب وعدم الاستقرار وكثرة الحروب الداخلية، وأدى ذلك الى تهدم المدن وتخريب القرى وعدم الاهتمام بوسائل الرى مما حول الكثير من الاراضى الزراعية الى صحارى مجدبة. وتوجد من هذا العصر الكثير من النصوص التى يتوسل فيها الأهالى الى الآلهة بأن تمن عليهم بنعمة الطمأنينة والهدوء والاستقرار، وكان من نتائج هذه الحروب انتشار الأوبئة والأمراض التى كانت تفتك بالناس بالجملة.

وأول ملوك هذا العصر هو «الشرح يحصب»، وتشير النقوش المتبقية من عهده أنه كان مقاتلاً خاض العديد من الحروب حتى قبل أن يصبح ملكاً، واستمرت الحروب للتنافس على العرش بينه وبين «شمر» وهو من حمير، ولقد تدخل الأحباش فى هذا الصراع الداخلى، ولم تكن لهم سياسة ثابتة، فقد كانوا يغيرون سياستهم تبعاً للأحوال المتغيرة، فتزاهم مرة مع الحميريين وتارة عليهم، وكان ذلك نتيجة للأحوال القلقة المضطربة التى كانت تتحكم فى العربية الجنوبية آنذاك، ولمصالح الحبش الذين كانوا يريدون تثبيت أقدامهم فى السواحل العربية المقابلة وتوسيع رقعة ما يملكونه باستمرار.

وينسب إلى الشرح يحصب تشييد قصر غمدان فى صنعاء، وقد ذكر هذا القصر فى نصوصه مع قصر سلحين، وقد يشير ذلك إلى أقامته فى القصرين وحكم منهما، وقد لمع اسم «صنعو» أى «صنعاء» فى أيام الشرح يحصب، وهى لابد أن تكون قد بنيت قبل عهده، وكان لتشييده قصره فيها أثره فى زيادة مكانتها، حتى صارت عاصمة اليمن ومقر للحكام.

ومن الناحية الخارجية، فلقد تعرضت سبأ خلال هذا العهد للحملة

---

(١) جواد على: المرجع السابق، ص ٤١٦، ومابعدها.

الرومانية التى قام بها اليوس جالوس حاكم مصر الرومانية عام ٢٤ ق.م، وذلك بهدف الاستيلاء على اليمن للسيطرة على طرق التجارة التى كان يحتكرها السبئون، فقد تمكنت بحكم موقعها من التحكم فى نقل السلع الآتية من الهند وأفريقيا الشرقية إلى الشمال، وذلك بالإضافة إلى تصدير ما تنتجه بلاد الجنوب العربى من محاصيل إلى الشمال، ومثلت هذه التجارة والطرق التجارية مصدر ثروة اليمن(١).

واعتمد اليوس جالوس فى حملته على مساعدة الانباط له، الا أن الحملة فشلت فشلاً ذريعاً، ولم تحقق أغراضها، اذ تعرضت للأمراض والآوبئة والجوع والعطش ووعورة الطرق، ولقد وصف سترابو (٢) الذى يبدو أنه قد رافق الحملة، ما تعرضت له الحملة وصفاً دقيقاً، الا أنه القى بتبعه فشل الحملة على كاهل الوزير النبطى «صالح» الذى رافق الحملة وعمل دليلا لها.

وكان لفشل الحملة أثره فى عزوف الرومان عن السيطرة على بلاد العرب بطريق القوة، واقتصروا على محاولة السيطرة على التجارة البرية، وتدعيم مصالحهم التجارية عن طريق تحسين علاقاتهم السياسية بالدول العربية والامارات فى الجنوب العربى.

دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت

يبدأ هذا العهد من حوالى عام ٣٠٠م ويستمر حتى عام ٥٢٥م ويشير اتخاذ الملوك لهذا الأسم على أن دولة سبأ وذى ريدان أصبحت تضم اليها حضرموت وكذلك يمنت، وهى فى رأى غالبية العلماء تشمل المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد العرب، من باب المندب وحتى حضرموت.

وأول ملوك هذه الدولة هو «شمر يهرعش» ولقد نسب اليه القيام بالكثير

(١) جواد على: المرجع السابق، ص ٤٣.

(2) Strbo, XVI, 23- 24.

من الفتوحات فى العديد من البلدان، حتى قيل أنه وصل حتى إلى الصين وأخضع فارس وخراسان والشام ومصر، ومن الواضح أن ذلك نوعاً من المبالغة، اذ لا تثبت الأدلة النصية والآثرية فى منطقة الشرق الأدنى القديم حدوث مثل هذا العمل، ولكن يبدو أن هذه المبالغة ترجع إلى قيامه بالعديد من الفتوح فى جنوب بلاد العرب، مما دعا الأخباريين العرب إلى المبالغة فى أمر فتوحاته.

وبعد وفاته تمكن الآحباش من احتلال اليمن فى سنة ٣٤٠م، وأخذ نجاش الحبشة لقب «ملك أكسوم وحمير وذو ريدان والحبشة وسبأ وصلح وتهامة والبجاه وكسو»، وربما كان هذا الاحتلال الحبشى لليمن راجعا فى المقام الأول للعوامل الاقتصادية، وذلك لحماية التجارة الحبشية كرد فعل للغزو الذى قام به ملوك حمير للسواحل الشرقية للحبشة(١).

ونظراً لحدوث بعض الثورات فى المناطق الافريقية لملك الحبشة وانشغال الأحباش بالقضاء على هذه الثورات، فلقد انتهز اليمنيون الفرصة وطردوا الاحباش من اليمن وذلك فيما بين عامى ٣٧٠، ٣٧٨م.

وكان لاعتناق آخر ملوك سبأ «ذو نواس» الدين اليهودى ومحاولته فرضه بالقوة على شعبه ، واضطهاده للمسيحيين، أثره فى تشجيع الاثيوبين على غزو اليمن واحتلالها عام ٥٢٥م وذلك بتشجيع من الدولة البيزنطية.

وأدت هذه الأحوال المضطربة إلى توقف التجارة العالمية التى اشتهر بها عرب الجنوب وكانت مصدر ثرائهم وازدهارهم ورخائهم، ويضاف إلى ذلك تصدع سد مأرب مما أدى إلى ضعف هذه المنطقة ضعفاً شديداً، وفى عام ٥٧٥م تمكن الفرس من احتلال اليمن،وظل اليمن خاضعاً له حتى ظهور الفتوحات الإسلامية الكبرى فى القرن السابع الميلادى التى أنهت دولتهم(١).

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٢) جواد على: المرجع السابق، ص ٥٣٠ وما بعدها.



الفصل العاشر

مكة المكرمة

مكة المكرمة

تعتبر مكة المكرمة من أهم مواضع الحضر فى الحجاز على الاطلاق، ويتسم مناخها بقسوته، اذ تشرف عليها جبال جرداء، وليس بها ماء، غير ماء زمزم، لذلك لم تصلح أرض مكة لأن تكون أرضا ذات نخيل وزرع وحب، ونتيجة لذلك فقد اعتمد سكانها على التعيش مما يكسبونه من الحجاج، بالاضافة الى العمل بالتجارة.

وتتميز مكة بموقعها الجغرافى، اذ تتجمع بها القوافل التى ترد من العربية الجنوبية تريد بلاد الشام، أو القادمة من بلاد الشام تريد العربية الجنوبية، ثم ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل السفر وفائدته، فعملوا بالتجارة، ثم احتكروا التجارة فى العربية الغربية وسيطروا على حركة النقل فى الطرق المهمة التى تربط اليمن ببلاد الشام والعراق وذلك فى القرن السادس .

هذا ولم يرد اسم مكة فى كتابات الجاهلية، أما المصادر التاريخية المكتوبة باللغات الاعجمية، فقد جاء فى كتاب (الجغرافيا) لبطليموس الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى، اسم مدينة دعيت بـ (مكربة) (مكربا)، وقد ذهب الباحثون الى أن المدينة المذكورة هى (مكة)(١) . واذا كان هذا الرأى صحيحا يكون (بطليموس) أول من أشار اليها من المؤلفين وأقدمهم، كذلك ذهب بعض الباحثين الى أن المعبد الشهير الذى ذكره (ديودور الصقلى) فى أرض قبيلة عربية دعاها (Bizomeni) وقال أنة مكان مقدس له حرمة وشهرة بين جميع العرب، هو مكة، وان كان هناك من يعارض هذا الرأى استنادا الى أن الموضع الذى يقع المعبد فيه، هو موضع بعيد عن مكة بعدا كبيراً، أما الاخباريون فأنهم لم يشيروا الى هذا الاسم الذى ذكره (بطليموس)، ولا الى اسم آخر قريب منه، وانما اشاروا الى أسم آخر هو (بكة) . وقد ذكر هذا الاسم فى القرآن، قالوا أنه اسم مكة أبدلت فيه الميم باء، وقد اتجه بعض

---

(1) Ptolemy, Geographia, VI, 1, 32.

الاخباريين الى القول أن المقصود بـ (بكة) بطن مكة، وذهب آخرون أن بكة موضع البيت، ومكة وما وراءه، وقال فريق ثالث أن البيت هو مكة وما والاه بكة(١)، وقد عرفت مكة عند الاخباريين أيضا بأسماء أخرى منها: صلاح، ومنها أم رحم، وذكرت في القرآن الكريم بـ (أم القرى).

ويختلف المؤرخون فى اشتقاق كلمة (مكة)، فذهب فريق منهم الى أنها أنما سميت كذلك لأنها تمك الجبارين، أى تذهب نخوتهم، وذهب فريق ثان الى أنها أنما تقع بين جبلين مرتفعين عليها، وهى فى هبطة بمنزلة المكوك، وذهب فريق ثالث الى أن الكلمة مشتقة من (أمتك) من قولهم: أمتك الفصيل ضرع أمه، اذا مصه مصا شديداً، ولما كانت مكة مكانا مقدسا للعبادة، فقد امتكت، أى جذبتهم من جميع الاطراف، وهناك من يرجح أن الاسم أنما أخذ من لغة الجنوب، مستنداً الى البيت الحرام، فمكة أو (مكرب) فى رأى هذا الفريق - كلمة يمنية مكونة من «مك» و «رب» ومك بمعنى بيت، فتكون مكرب بمعنى «بيت الرب» أو «بيت الاله» ومن هذه الكلمة أخذت مكة، أو بكة - بقلب الميم باء على عادة أهل الجنوب(٢).

وفيما يتصل بتاريخ مكة فقد ذهب بعض الاخباريين الى أن (العماليق) كانوا قد انتشروا فى البلاد فسكنوا مكة والمدينة والحجاز، وعتوا عتوا كبيرا، فبعث اليهم موسى جنداً فقتلوهم بالحجاز. وجاء اليهود فاستوطنوا الحجاز بعد العماليق ثم جاءت (جرهم) فنزلت على (قطورا) أسفل مكة - وكان عليها يومئذ (السميدع بن هوثر)، ثم لحق بجرهم بقية من قومهم باليمن وعليهم (مضاض بن عمر) فنزلوا بـ «قعيقعان» بأعلى مكة، ثم حدث تنافس بين الزعيمين فاقتتلا، فتغلب (المضاض) وغلب (السميدع).

وجرهم قوم من اليمن قحطانيون، جدهم هو ابن (يقطن بن عامر) وهم بنو عم (يعرب) وكانوا باليمن وتكلموا بالعربية ثم غادروها فجاءوا مكة، ومن

---

(١) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله)، معجم البلدان، الجزء الخامس، بيروت، ١٩٥٧، ص ١٨٢.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، جـ ص ٣٣.

جرهم سيدنا (اسماعيل بن ابراهيم) عليهم السلام وكانت هاجر قد جاءت به الى مكة، فلما شب وكبر تعلم لغة جرهم وتكلم بها، تزوج امرأة أولى قالوا أن اسمها (جرا) ثم طلقها وتزوج بأمرأة أخرى هى السيدة بنت (الحارث بن مضاض). وعاش نسله فى جرهم، والأمر على البيت لجرهم الى أن تغلبت عليهم (بنو حارثة بن ثعلبة) وهم خزاعة، فانتزعت منها الملك وزحزحتها، وأقامت عمرو بن لحى - وهو منها - ملكا عليها، وظلت خزاعة صاحبة مكة، الى أن كانت أيام عمرو بن الحارث وهو (أبو غبشان) فانتزع قصى منه الملك وأخذه من خزاعة لقريش. وكان (عمرو بن لحى) أول من نصب الأوثان وأدخل عبادة الاصنام الى العرب، بعد أن كان اسماعيل بن النبى ابراهيم - عليه السلام - يدعو الناس فى مكة ومجاوراتها الى عبادة الله(١).

ويعد (عمرو بن لحى) أول رجل يصل الينا خبره من الرجال الذين كان لهم آثر فى تكوين مكة وفى انشاء معبدها وتوسيع عبادته بين القبائل المجاورة لها. حتى صار لهذه المدينة شأن عند القبائل المجاورة وذلك لاتيانه بأصنام نحتت نحتا جيدا بأيد فنية قديرة، وعلى رأسها الصنم (هبل) ووضعها فى البيت، فجلب بذلك أنظار أهل مكة وأنظار القبائل المجاورة نحوها، فصارت تقبل عليها، وبذلك كون للبيت شهرة بين الأعراب، فصاروا يقدمون عليه للتقرب إلى (هبل) والى بقية الاصنام التى جاء بها من الخارج فوضعها حوله وفى جوفه.

والجدير بالذكر أن تاريخ مكة حتى ظهور قصى بن كلاب، غامض غموضا شديدا ولا سيما فى عصوره الجاهلية القديمة وذلك لعدم وجود نصوص أثرية تعين الباحث على استنباط تاريخ قائم على أسس علمية، ولذا فأن تاريخ مكة يعتمد فى هذه الفترة على روايات الاخباريين المتناقضة المتضاربة و (قصى بن كلاب) هذا من قريش؛ وقريش كلها من نسل رجل اسمه فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهى من القبائل العدنانية، أى من مجموعة العرب

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٣٩٤ - ٤٠٠.

الحرام، فيتعهدونه بالصيانة، ويدفعون عنه الخطر، ومن ثم فأنه لم يترك بين الكعبة والبيوت التى بنتها بطون قريش، الا بمقدار ما يسمح للناس بالطواف، وان كان أهم أعماله أنما هو انشاؤه (دار الندوة) حيث كان يدار فيها تحت رئاسته كل أمور قريش - ما أرادوه من حرب أو تجارة أو مشورة أو نكاح، فما كان لرجل ولا لأمرأة أن يتزوج الا فيها، وما كان لفتاة من قريش أن تدرع الا فيها، ومن ثم فقد كان على صاحب الدار أن يشق درعها بيده، وكان القوم يفعلون ذلك ببناتهم اذا بلغن الحلم، وربما كان الغرض من ذلك التعريف بالبالغين من قريش - ذكورا كانوا أم أناثا - وأما أعضاء دار الندوة، هذه، فكانوا جميعا من ولد قصى، وبعضا من غيرهم، على شريطة أن يكون الواحد منهم قد بلغ الاربعين من عمره، أو كان من ذوى القدرات الخاصة، وهكذا كانت دار الندوة بمثابة دار مشورة ودار حكومة فى آن واحد، يديرها الملأ من القوم - الذين كانوا يشبهون الى حد ما أعضاء مجلس الشيوخ الاثينى، ويتكونون من رؤساء العشائر وأصحاب الرأى والحكمة فيهم للنظر فيما يعترض القوم من صعاب(١).

وكان قصى شديد العناية بعمارة البيت الحرام، الذى يزعم البعض أنه أعاد بناءه، ومن ثم فهو أول من جدد بناء الكعبة من قريش، ثم سقفها بخشب الدوم وجريد النخل، كما كان أول من أظهر الحجر الأسود بعد أن دفنته (اياد) فى جبال مكة، ثم أوكل امره من بعده الى جماعة من قريش، حتى اعاد القوم بناء الكعبة عام ٦٠٦م (٣٥ ق.هـ) فوضعوه فى ركن البيت بازاء باب الكعبة فى آخر الركن الشرقى(٢).

ولعل من أهم أعمال قصى أنه جعل وظيفة (سدانة الكعبة) - وهى خدمة البيت الحرام - من أهم الوظائف فى عهده، والأمر كذلك بالنسبة الى وظيفة

---

(١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء الثانى، ص ٣٣٤، اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر): تاريخ اليعقوبى، الجزء الأول، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٣٧ - ٢٤٠.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، الجزء الرابع، ص ٣٦٦.

«السقاية» بخاصة فى بلد شحت مياهه فى وقت كان يستقبل فيه أكثر مما يطيق من الحجيج، ومن ثم فقد كان على صاحب السقاية توفير المياه لزوار البيت الحرام، حتى ييسر لهم مهمة الحج، ويجعل الأقبال عليه كبيراً، ومن ثم يذهب الاخباريون الى أن قصيا قد حفر بئرا اسماها «العجول».

وكانت (الرفادة) - وهى خرج تدفعه قريش من أموالها الى قصى ليصنع منه طعاما للحجاج ممن لم يكونوا على ميسرة - من الوظائف الهامة التى ظهرت فى مكة على أيام قصى. وتروى المصادر العربية أن قصيا قال لقومه: «أنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وأن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدوا عنكم»، ففعلوا، فكانوا يخرجون من أموالهم فيصنع به الطعام أيام «منى»، فجرى الأمر على ذلك فى الجاهلية والاسلام.

وأخيراً كان من أعمال قصى «اللواء» وهى رئاسة الجيش فى الحروب - ويسند لمن بيده اللواء، يسلمونه اليه عند قيام الحرب، وتجمع المصادر الاسلامية على أن مولانا وسيدنا رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - قد ألغى جميع هذه المناصب يوم فتح مكة، الا سقاية الحاج وسدانة الكعبة، ويجمع المؤرخون على أن قصيا أنما ظل يمسك بهذه الوظائف جميعا حتى وفاته، كما ظل كذلك الرجل الوقور المطاع فى قومه، لا يخالف ولا يرد عليه شئ أقره، ولعله فى جمعه لرياسة الندوة وعقده اللواء وجمعه الرفادة، يقابل فى اصطلاحاتنا الحديثة، رياسة السلطات التشريعية والحربية والمالية - أن جاز هذا التعبير(١).

ولعل هذا هو الذى دفع «الاب هنرى لامانس» الى القول، بأن مكة انما كانت جمهورية بالمعنى الكامل للجمهورية، وقد يكون لشخصية (قصى) الفذة تأثير فى ذلك، إلا أن تنظيمات قريش لم تكن فى واقع الأمر، إلا تنظيما قبليا فى جوهره، وأن بدا فى ظاهره تنظيما جمهورياً، لأن الزعيم لم يكن يحمل لقبا معينا، فضلا عن أن هناك من الأدلة ما يشير الى أن العشيرة أنما كانت تتمتع بحرية كاملة، ولا تخضع لسلطان غيرها فى كثير من حايين،

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

بل أن كثيرا من الأفراد أنما كانوا يخرجون على رأى العشيرة نفسها، ومن النوع الأول عدم مشاركة بنى زهرة لقريش فى موقعة بدر، رغم موافقتها على القتال وخروجها اليه، بل أن بنى عدى لم يخرجوا للقتال أصلا، ومن النوع الثانى خروج أبو لهب على رأى بنى هاشم، وانضمامه الى بقية بطون قريش فى مقاطعتها لبنى هاشم، وبقاء العباس على علاقاته الودية ببطون قريش، رغم تضامنه مع بنى هاشم، هذا الى جانب أن العشيرة أنما كانت تخرج أحيانا على رأى مجلس القبيلة، ومثال ذلك اجتماع بنى هاشم والمطلب على حماية المصطفى - ﷺ - ومواجهة قريش.

ويرى الدكتور طه حسين، أنه من العسير أن نحدد لمكة نظاما من نظم الحكم التى يعرفها الناس، فلم يكن لها ملك، ولم تكن جمهورية ارستقراطية بالمعنى المألوف لهذه العبارة، ولم تكن جمهورية ديمقراطية بالمعنى المألوف لهذة العبارة أيضا، ولم يكن لها طاغية يدير أمورها، وإنما كانت قبيلة عربية احتفظت بكثير من خصائص قبائل البادية، فهى منقسمة الى أحياء وبطون وفصائل، والتنافس بين هذه جميعا قد يشتد حينا ويلين حينا آخر، ولكنه لا يصل الى الخصومات الدامية، كما هو الحال فى البادية، وأمور الحكم، تجرى، كما تجرى فى البادية، وكل ما وصلت اليه قريش من التطور فى شئون الحكم هو أنها لم يكن سيد أو شيخ يرجع اليه فيما يشكل من الأمر، وانما كان لها سادة أو شيوخ يتكون منهم مجلس يجتمع فى المسجد الحرام أو فى دار الندوة(١).

أما قانون أهل مكة ودستورهم فهو: (أنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون). فهم محافظون حريصون على كل ما وصل اليهم، لا يريدون له تغييرا ولا تبديلا، مهما بدا لهم فى الجديد من منطق وحق، فأهل مكة اناس محافظون لا يقبلون تجديدا ولا تطويرا، سنتهم التعلق بالماضى وكره الثورة والخروج عن العرف والعادة مهما كانت. فالعرف جرى الناس

(١) أنظر فى ذلك : محمد بيومى مهران: نفس المرجع السابق، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

عليه، فلا خروج على العادة والعرف. أما المستهين بالعرف المخالف لسنة الآباء والاجداد، فيعاقب حتى يعود الى رشده وصوابه \وهم باستماتتهم فى التمسك بالماضى كيف كان، ويتطرفهم فى المحافظة على العرف، أنما يراعون بذلك حقوقهم الموروثةومكانتهم الاجتماعية ومصالحهم الاقتصادية، فالعرف جعلهم الطبقة الحاكمة بالتقاليد المحافظة على مصالحها، استنادا الى العادات وهم يحكمون بهذا القانون الموروث غير المسجل، وعلى الناس الطاعة والانقياد.

ومن الناحية المعمارية فقد طرأ تغيير فى نظام بيوت مكة فى هذا العهد، فقد أصبحت بيوت أثريائها وساداتها مقامة بالحجر، وبها عدد من الغرف، ولها بابان متقابلان، باب يدخل منه الداخل، وباب يقابله يخرج منه الخارج، ولعلها بنيت على هذا الوضع لتتمكن النساء من الخروج من الباب الآخر عند وجود ضيوف فى رحبة الدار عند الباب المقابل، وكان لبعض الدور (حجر) عند باب البيت يجلس تحته ليستظل به من أشعة الشمس، هذا ولم تعمر بطن مكة ولم تبن البيوت المستقرة فيه الا منذ أيام (قصى) أما قبل ذلك فقد كان الناس يسكنون (الظواهر): ظواهر مكة، أى أطرافها وهى مواضع مرتفعة تكون سفوح الجبال والمرتفعات المحيطة بالمدينة، أما باطن مكة وهو الوادى الذى فيه البيت، فقد كان حرما آمنا لا بيوت فيه، أو أن بيوته كانت قليلة حصرت بسدنة البيت ومن كانت له علاقة بخدمته.

ولما مات (قصي) دفن (بالحجون) وقد كان القوم يزورون قبره ويعظمونه، والحجون جبل بأعلى مكة، كان أهل مكة يدفنون موتاهم فيه، فطيه مقبرة جاهلية من مقابر مكة القديمة، وقد ذكر فى شعر جاهلى.

هذا وقد أنجب (قصى) ثلاثة أبناء ـ عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى ـ ورغم أن عبد الدار كان أكبر أخوته، الا أن عبد مناف كان أكثر شهرة، وأرفع شأنا وأعظم مهابة، ومن ثم فقد رأى قصى أن يعوض عبد الدار عما

فقده من مقومات الزعامة، فأسند اليه كثيرا من الوظائف ليقاوم شخصية أخية القوية، ومن هذه الوظائف أنه جعل له دار الندوة والحجابة (أى حجابة الكعبة) واللواء؛ فكان يعقد لقريش ألويتهم، وسقاية الحجيج والرفادة.

وما أن تمضى الايام ويرث الابناء الآباء، حتى يقوم النزاع بينهم، وينتهى ذلك بأن يتولى عبد المناف السقاية والرفادة، أما الحجابة واللواء ورياسة دار الندوة فقد ظلت فى بنو عبد الدار(١).

وتولى هاشم بن عبد المناف السقاية والرفادة، وقد ذكرت رواية الاخباريين أن اسمه (عمرو) وهو أكبر أبناء عبد مناف، وقد قيل له هاشم، لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه، وذكر أن قومه من قريش كانت قد أصابهم الجفاف والقحط، فرحل الى فلسطين فأشترى منها الدقيق، وقدم به الى مكة، وبذل طعامه لكل نازل بالبلد المقدس أو وارد عليه(٢).

كذلك يذكر الاخباريون أنه هو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف، وحقيقة ذلك فيما يخلص لنا من سوابق الرحلات أنه كان يحمى تلك الرحلات وينظمها، فنسب اليه أنه أول من سنها، وقد قام (هاشم بن عبد المناف) بحفر بئر عرفت بـ (بذر)، وبئراً آخر يقال لها بئر (جبير بن مطعم) فيسر بذلك لمكة الماء، وساعد على اكثاره عندهم، واخذ (هاشم) عهدا على نفسه بأن يسقى الحجاج ويكفيهم بالماء، قربة الى رب البيت ما دام حيا.

ومن أعظم المآثر التى تنسب (لهاشم بن عبد المناف) أنه عقد بنفسه مع الامبراطورية الرومانية ومع أمير غسان، معاهدة حسن جوار ومودة، وحصل من الامبراطور الرومانى على الاذن لقريش بأن تجوب الشام فى أمن وطمأنينة، وقد ذكر ان تجارته قد وصلت الى (غزة) وربما توغل نحو الشمال، حتى زعم أهل الخبار أنه ربما بلغ (أنقرة)(٣).

---

(١) ابن خلدون: المرجع السابق، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٢) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك الجزء الثانى، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٣) اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر): تاريخ اليعقوبى، الجزء الأول، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

وينسب كذلك الى (هاشم بن عبد المناف) ايلاف قريش والمقصود بالايلاف عهود ومواثيق مع سادات القبائل فى مقابل اسهامهم بأموالهم وبحمايتهم لقوافل قريش فى مقابل ضرائب معينة تدفع لهم، وأسهم من الارباح تؤدى لهم، مع اعطائهم رؤوس أموالهم وما ربحته فى الاسواق، وبذلك كسبت قريش حياد هذه القبائل ودفاعها عن مصالحها.

وورث عبد المطلب زعامة ابيه هاشم، واسم عبد المطلب هو (شيبة) وقد عرف بين الناس بعبد المطلب، لأن عمه (المطلب) لما حمله من يثرب الى مكة، كان يقول للناس، هذا عبدى، أو عبد لى، فسمى بعبد المطلب، وشاعت بين قومه من أهل مكة حتى طغت على اسمه، وقيل أنه عرف بين أهل مكة بـ (شيبة الحمد) لكثرة حمد الناس له، وكان يقال له (الفياض) لجوده، و (مطعم طير السماء) لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش على رؤوس الجبال.

هذا وقد تولى عبد المطلب السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرف فى قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه، وعظم أمره فيهم.

وفى الواقع أن عبد المطلب لم يكن عظيما عند قريش فحسب، وانما كان عظيما كذلك فى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، ومن ثم فأن المؤرخين يروون أنه قد ذهب الى اليمن مهنئا بالملك، عندما تولى «معد يكرب» (سيف بن ذى يزن) عرش اليمن، بعد أن نجح بمساعدة الفرس فى طرد الاحباش من اليمن، مما يدل على أن الرجل كان ذو مكانة عند ملوك العرب، تعطيه الحق فى الاتصال بهم، ثم تهنئتهم بعرشهم، كما يدل فى الوقت نفسه على مكانته عند قريش، حتى أنه كان رئيسا لوفدها فى هذه المهمات العظيمة، والتى ربما كان من نتائجها ان يأخذ ايلافا لقومه من ملوك اليمن، ومن ثم فقد اصبحت قريش تنظم عيرا الى اليمن فى كل عام(١).

---

(١) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث ، ص ٧٧ - ٧٨.

هذا وتذهب المصادر العربية الى أن عبد المطلب قد لقى الكثير من المتاعب فى توفير المياه للحجيج عندما تولى أمر السقاية والرفادة، وذلك بسبب دفن زمزم، ربما منذ أيام جرهم، وزاد الأمر صعوبة أن مكة كانت آنذاك تمر بفترة قاسية ندرت فيها الامطار وجفت مياه الآبار - أو كادت - فى وقت كان موسم الحج قد بدأت طلائعه، وهنا رأى عبد المطلب - فيما يرى النائم - أنه يؤمر بحفر طيبة، وحين يسأل عنها لا يتلقى جوابا، غير أن الرواية تتكرر أياما ثلاثة، يؤمر فيها عبد المطلب بحفر «برة» ثم (المضنونة) ثم (زمزم)، وحين يسأل عبد المطلب عن (زمزم) يجيبه «الهاتف» تراث من أبيك الأعظم، لا تنزف أبدا ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعظم عند قرية النمل، وينجح عبد المطلب فى حفر زمزم، غير أن قريشا سرعان ما تطالب بحقها فى زمزم، على اساس أنها بئر أبيهم اسماعيل، وان انتهت الأمور الى جانب عبد المطلب(١).

هذا وقد تميز عبد المطلب - جد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بأريحة لا نستطيع أن تسميها الا بالمطلبية، أريحية فريدة فى نو عها، لا تدل الا عليه ولا تصدر الا منه، وكانت كلها مزيجا من الانفة والكرم والرصانة والاستقلال ومواجهة الغيب على ثقة وصبر واناة، وذكر عنه أنه كان يأمر أولاده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الاخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور، وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه، وأن وراء هذه الدار دارا أخرى يجزى فيها المحسن باحسانه، ويعاقب المسئ باسائته، ويقال أنه رفض فى آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله.

وروى عنه أنه وضع سننا وردت فيما بعد فى القرآن الكريم وأقرتها سنة النبى - ﷺ - منها الوفاء بالنذر وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف بالبيت عريان، وذكر أنه كان أول من سن دية النفس مئة من الأبل، وكانت الدية قبل ذلك عشرا من الأبل، فجرت فى قريش والعرب مئة من الابل وأقرها

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق ، ص ٤١٢ - ٤١٣.

رسول الله على ما كانت عليه.

والجدير بالذكر أن عبد المطلب لم يكن أغنى رجل فى قريش، ولم يكن سيد مكة الوحيد المطاع كما كان قصى، اذ كان فى مكة رجال كانوا أكثر منه مالا وسلطانا، انما كان وجيه قومه، لأنه كان يتولى السقاية والرفادة وبئر زمزم، فهى وجاهة ذات صلة بالبيت.

ويروى أهل الاخبار أن عبد المطلب كان قد نذر: لئن أكمل الله له عشرة ذكور حتى يراهم أن يذبح أحدهم، فلما تكاملوا عشرة، هم بذبح أحدهم، فضرب بالقداح فخرج القداح على عبد الله، ولكن القوم منعوه، ثم اشاروا عليه بأن يرضى الله بنحر ابل فدية عنه، وكان كلما ضرب القداح يخرج على عبد الله حتى بلغ العدد مئة فخرج على الابل، فنحرها بين الصفا والمروة، وتركها فى الفضاء لكل من يريد لحمها من انسى أو وحش أو طير(١).

وتعد حملة (ابرهة الحبشى) من أهم الاحداث التى وقعت فى حياة عبد المطلب، وقد أرخت قريش بوقوعها، وصارت الحملة مبدأ التاريخ، لاهميتها بالنسبة لمكة، وقد تركت أثراً كبيراً فى نفوس قريش، بدليل تذكير القرآن الكريم لهم بما حل بـ (أصحاب الفيل). وقد أشار عبد المطلب على قومه بالتحرز بشعاب الجبل، ويترك البيت وشأنه لأن للبيت ربا يحميه، وبعدم التحرش بالحبش وتركهم وشأنهم، والظاهر أنه وجد أن عدد الاحباش كان كبيراً وأنه من غير الممكن مقاومتهم والدفاع عن مكة فى الوادى، ثم أنها حرم آمن لا يجوز القتال فيه، وليس فيها حصون وآطام يتحصن بها، لهذا رأى ضرورة الرحيل عن الوادى والاحتماء برؤوس الجبال والاشراف منها على الدروب والطرق، فذلك أنفع وأحمى للمال والنفس، ثم أنه من الممكن مباغتة الحبش منها ومهاجمتهم وانزال الخسائر بهم حين يشاؤون ويقررون،

---

(١) الطبرى: المرجع السابق، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٣.

وقد نجحت فكرة عبد المطلب، ولم يصب أهل مكة بسوء أما البيت الحرام فقد حماه الله من أصحاب الفيل وهلكوا جميعا.

ومات عبد المطلب بعد أن جاوز الثمانين وكان ذلك في حوالى عام ٥٧٨م، وقد دفن بالحجون وذكر أنه لم يقم بمكة سوق أياما كثيرة لوفاة عبد المطلب، ومن ولد عبد المطلب: عبد الله وهو والد الرسول عليه الصلاة والسلام، وأبو طالب والزبير، وعبد الكعبة، وعاتكة وبرة وأميمة.

ولم يكن ولد عبد المطلب من رجال مكة الاثرياء، وكل ما كان عندهم ثراء روحى، استمدوه من اسم (قصى) وهاشم، فكانوا من وجهاء القوم من هذه الناحية، أما من ناحية المادة والمال فلم يكونوا من السباقين فيه، لقد كانوا وسطا، وكانوا تجارا يخرجون بتجارتهم على عادة فيهم الى بلاد الشام، أو الى اليمن، فيبيعون ويشترون، وقد توفى (عبد الله) وهو فى طريقه من غزة إلى مكة.

وتعد (أيام الفجار) من الحوادث المؤثرة فى تاريخ مكة، وقد سميت بذلك لأنها كانت فى الأشهر الحرم، ويعد (فجار البراض) الذى وقع بعد عشرين سنة من عام الفيل هو أعظم أيام الفجار، وقد اطلق عليه أيضا (يوم نخلة).

وحلف الفضول من الاحداث الهامة التى يذكرها أهل السير والاخبار فى تاريخ مكة، واذا صح ما يذكرونه من أنه عقد بعد الفجار بشهور، وفى السنة التى وقع فيها الفجار الذى حضره الرسول (فجار البراض) ومن ان الرسول حضره وهو ابن عشرين سنة، فيجب أن يكون عقد هذا الحلف قد تم فى حوالى السنة ٥٩٠م، ويذكر أن الذى دعا اليه هو الزبير بن عبد المطلب.

وقد شهد حلف الفضول بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تيم، وذكر أنهم تعاهدوا على أن يكونوا مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه. وفى التآسى فى المعاش، كذلك تحالفوا الا يظلم أحد بمكة الا قاموا معه حتى ترد ظلامته.

أما عن سبب تسمية هذا الحلف (بحلف الفضول) فقد ذكر البعض أنه

سمى بذلك لأنهم تحالفوا أن يتركوا عند أحد فضلا يظلمه أحدا الا أخذوه له منه، وذهب آخرون الى أنه سمى بذلك الاسم تشبيها بحلف كان قديما بمكة أيام جرهم على التناصف والأخذ للضعيف من القوى والغريب من القاطن، وسمى حلف الفضول، لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل، فقيل حلف الفضول جميعا لاسماء هؤلاء، وذكر أنه سمى حلف الفضول، لأن قريشا قالت هذا فضول من الحلف، فسمى حلف الفضول.

وقد ذكر الاخباريون أن هدف هذا الحلف انصاف المظلومين من أهل مكة، من الضعفاء والمساكين ومن لا يجد له عونا يحميه ويدافع عن حقوقه، وانصاف الغرباء الوافدين على مكة من حجاج أو تجار، ممن يعتدى عليهم فيأخذ أموالهم ويأكلها ولا يدفع لأصحابها عنها شيئا، ويعتقد أن هذا الحلف استمر قائما الى وقت الاسلام حيث تدخل مكة بعد ذلك فى طور جديد ببداية دعوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الى عبادة الاله الواحد الاحد ونبذ عبادة الأصنام(١).

---

(١) انظر عن حلف الفضول:
عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص ٨٣ ، ابن كثير: المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٩١ - ٢٩٣ ، اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ، الجزء الثانى ، ص ١٧ وما بعدها.

الفصل الحادي عشر

المدينة المنورة

المدينة المنورة

كان تعرف المدينة المنورة قبل هجرة النبى سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام باسم (يثرب)، وتعددت الإشارات التى ظهر فيها هذا الاسم، وأقدم اشارة لدينا وردت فى النصوص البابلية التى ترجع الى القرن السادس ق.م. وقد ورد فيها قيام الملك البابلى بنونيد (٥٥٥ - ٥٣٩ق.م) بحملة الى بلاد العرب احتل فيها بعض المدن ومنها «اتريبو» وهى «يثرب».

وقد ورد اسم «يثرب» فى جغرافية بطليموس تحت اسم «يثريه»(١)، وعرفها الاخباريون باسم «أثرب» و «يثرب» ورأوا أنه نسبة الى «يثرب ابن قانيه من ولد سام بن نوح»، بينما رأى آخرون أنها نسبة الى «يثرب» ابن قائد بن عبيل.

ولقد ورد اسمها فى القرآن الكريم «المدينة»، وفى ذلك قوله جل من علا فى سورة التوبة ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ... ﴿١٢٠﴾﴾(٢). ويتجه البعض الى القول بأن هذا الاسم مأخوذ من الكلمة الآرامية «مدينتا».

ولقد كثرت أسماء المدينة فى العصر الاسلامى، ومن أهم هذه الاسماء التى عرفت بها: المدينة ويثرب وطيبة والعاصمة والمباركة والمختارة والمقدسة وقرية الانصار وسيدة البلدان ودار الهجرة وبيت الرسول ومدينة الرسول(٣).

وفيما يتصل بالتتبع التاريخى لتاريخ المدينة، فإن اعتمادنا بالدرجة الأولى يقع على روايات الاخباريين وذلك نظرا لعدم وجود أدلة أثرية أو نصية ترجع الى تاريخها القديم، وذلك نظرا لعدم القيام بحفريات علمية فى هذه المنطقة، وعلى ذلك فأنه تجدر الاشارة الى طبيعة المعلومات المستقاة

---

(1) Ptolemy, Geographia. VI, ;, 32.

(٢) سورة التوبة آية ١٢٠.

(٣) أنظر: السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٣٣١ - ٣٣٤.

من روايات الاخباريين وضرورة توخى الحذر فيما تقدمه من معلومات، وقد عثر فى بعض الاماكن القريبة من «يثرب» على كتابات جاهلية لم تعرف طبيعتها، وذلك نظرا لعدم دراستها دراسة علمية حتى الآن.

وتشبه «يثرب» «مكة» فى كونها محرومة من الحماية الطبيعية، فلم يكن يحيط بها سور أو حائط أو خندق يدفع المغيرين عليها، ومن ثم فقد كان أهلها يدافعون عن أنفسهم بالتحصن فى بيوتهم ويسد منافذ الطرق أثناء الخطر، أما الاغنياء الموسرون فكانوا يعتمدون على آطامهم وحصونهم وقصورهم، يلجأون اليها عند الشدة، ويرمون أعداءهم من فوق السطوح بالسهام والحجارة، وقد تحارب الاوس والخزرج على الاطام، وأرخوا بتلك الحرب، فعرفت باسم «عام الآطام».

ويلاحظ أن جو يثرب ألطف من جو مكة، ولم يعانى أهلها ما عاناه أهل مكة من قحط فى الماء، فالماء متوافر بعض الشئ فى المدينة، وهو غير بعيد عن سطح الأرض، ومن الممكن الحصول عليه بحفر الآبار، ولهذا صار فى امكان أهلها زرع النخيل واقامة البساتين والحدائق(١).

وحسب المعلومات المتاحة لنا فإنه يمكن القاء الضوء على عناصر السكان الذين سكنوا المدينة وذلك حسبما ورد فى روايات الاخباريين الذين يذكرون أنه تتابع على سكن المدينة العماليق ثم اليهود ثم العرب.

وفيما يتصل بالعماليق فيرجعون بنسبهم الى «عملاق بن أرفخشد بن سام» وينسبون لهم أنهم أول من زرع النخيل بالمدينة وأول من شيدوا فيها المبانى واتخذوا الضياع(٢)

أما عن اليهود فتعددت رواياتهم وتباينت تباينا كبيرا، فترى بعض الروايات أن وجودهم يرجع الى أيام سيدنا موسى عليه السلام الذى بعث

---

(١) نفس المرجع السابق: ص ٣٣٤ - ٣٣٩ .

(٢) ياقوت الحموى: المرجع السابق ، الجزء الخامس ، ص ٨٤ (مادة مدينة).

جيشه الى سكان هذه المدينة من العماليق وأمرهم بقتل جميع سكانها، وأنه لامر ما بقى هذا الجيش فى المدينة، وكانوا أول من سكنها من اليهود، الا أن هذا الرأى لا يخالفه التوفيق الى حد بعيد. وتذهب رواية ثانية الى أن موسى عليه السلام قد حج الى بيت الله الحرام ومعه بعض من بنى اسرائيل، وعند عودتهم وجدوا فى موضع المدينة أوصاف بلد النبى المذكور عندهم فى التوراة بأنه خاتم النبيين، وعلى ذلك فقد أقاموا فى مكان سوق بنى قينقاع، وكانوا هم أول من سكن المدينة وهو أمر عار من الحقيقة كذلك.

وتتجه بعض الآراء الى أن اليهود قد قدموا الى المدينة فى عهد «داود عليه السلام» (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) وذلك نتيجة الانقسام الذى حدث بين داود وابنه أبشالوم، وهذه الرواية تحريف لما جاء فى التوراة عن الاحداث التى ذكرتها عن أخريات أيام داود(١).

وهناك من يجعل هذا الوجود فى القرن الثامن قبل الميلاد بعد سقوط السامرة فى أيدى الاشوريين وذلك اعتمادا على ما قام به الآشوريون من تهجير عناصر السكان الى أماكن متفرقة من بلاد الشام والعراق وفارس، الا أنه يقف فى وجه هذا الرأى عدم وجود اشارة فى التوراة أو فى النصوص الاشورية الى تهجير اليهود من السامرة الى يثرب(٢).

ويرى البعض أن هجرة اليهود قد تمت فى القرن السادس قبل الميلاد بعد سقوط اليهودية وتدمير الهيكل على يد «نبوخذ نصر» وأبعاد كثير من اليهود الى بابل وهو ما عرف «بالسبى البابلى»(٣)، ففى تلك الاثناء فر كثير من اليهود الى مصر بعد مقتل نائب «نبوخذ نصر» فى أورشليم، وترى هذه الروايات أن بعضهم قد فر الى يثرب ولكن لا توجد أى اشارة الى ذلك.

وترجع الأدلة التاريخية أن وجود اليهود فى يثرب انما يرجع الى

---

(١) ابن خلدون: المرجع السابق، ص ٩٧ .

(٢) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(3) Dozy, R., Die Israeliten zu Mekka, 1864, p. 135.

القرنين الأول والثانى بعد الميلاد(١)، ومما يؤيد هذا الاتجاه المناخ السياسى الموجود فى تلك الفترة، وذلك بعد نجاح الرومان فى السيطرة على الشام ومصر فى القرنين الأول والثانى الميلاديين، ففر الكثير من اليهود الى بلاد العرب، وكانت أكبر الهجرات اليهودية بعد عام ٧٠م، وذلك فى أعقاب الثورة اليهودية ضد الرومان وقيام الرومان بالقضاء عليها بعنف شديد، فدمروا المدينة المقدسة وتم احراق المعبد اليهودى، وكان من نتيجة ذلك فرار مجموعات كبيرة من السكان الى بلاد العرب، حيث وصل بعضهم الى يثرب، وتتابعت الهجرات اليهودية فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى نتيجة ثورة اليهود على أيام هادريان، وكان من نتيجتها القضاء تماما على اليهود ككيان سياسى فى فلسطين، فهاجر كثير منهم الى بلاد العرب حيث وصل بعضهم الى يثرب، وهم الذين كونوا الجالية اليهودية فى شمال الحجاز وفى يثرب بصفة خاصة، وزاد عددهم بمرور الزمن حتى كان معظم السكان من اليهود عند ظهور الاسلام، وتركز اليهود فى ثلاث قبائل رئيسية هى بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة، وذلك بجانب بطون وعشائر يهودية أخرى.

ويتجه معظم المؤرخون إلى القول بأن يهود بلاد العرب انما هم من يهود فلسطين، على أنه يجب ألا يفهم من ذلك أن جميعهم من أصل يهودى، فهناك الكثير من العرب المتهودين، ويشير إلى ذلك أسماءها العربية الأصلية ومنها بعض من الأوس والخزرج وبنى الحارث وقوم من غسان.

وفيما يتصل بوجود العرب فيرى الأخباريون أن القبائل العربية من الأوس والخزرج أخوان، فهما أبناء «حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الظريف بن أمرئ القيس بن مازن بن الازد» الذى ينتهى نسبه إلى يعرب بن قحطان، ويرى بعض الباحثين أن كلمة (الأوس) هى اختصار لجملة (أوس مناة)، والأوس هو جد الأوس، أما (مناة)

(١) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام الجزء السادس، ص ٥١٤.

فهو صنم من أصنام الجاهلية، وينقسم الاوس إلى عدة بطون، منها: عوف، والنبيت، وجشم، ومرة، وامرؤ القيس، أما الخزرج، فهم أخوة الأوس - كما سبق القول - وهم ينقسمون أيضاً إلى عدة بطون، من أشهرها: بنو النجار، والحارث، وجشم، وعوف، وكعب، ويلاحظ أن جشما وعوفا هما اسما بطنين من بطون الأوس.

وترى هذه المصادر أنهم قد هاجروا من اليمن إلى يثرب بعد تعرض سد مأرب لسيل العرم، ولايمكن تحديد زمن هذه الهجرة على وجه التحديد نظراً لتعرض سد مأرب للتهدم عدة مرات، وأن كانت الروايات العربية تشير إلى أن هذه الهجرة قد حدثت فى القرن الرابع قبل الهجرة،(١).

وكانت هناك أسباب أخرى بجانب تهدم سد مأرب أدت إلى هجرة هذه القبائل إلى شمال الجزيرة العربية ومنها ضعف الحكومة فى اليمن وظهور المشاحنات الدينية بين القبائل والتدخلات الخارجية فى شئون اليمن الداخلية، وأدى كل ذلك إلى اضطراب الأمن فى البلاد، وزاد الأمر سوءا تحول الطرق التجارية، ولم تعد اليمن صاحبة السيادة عليها، كما لم تعد الوسيط الوحيد فى نقل التجارة إلى المناطق الشمالية، وأدى ذلك إلى كساد الأحوال الاقتصادية(٢) ، وهكذا كان للأحوال الاقتصادية والسياسية أثرها الكبير فى دفع العديد من القبائل العربية إلى الهجرة إلى شمال الجزيرة العربية.

ولقد قام الأوس والخزرج فى المدينة بجانب اليهود الذين سمحوا لهم بالاقامة بجوارهم للاستفادة من خبراتهم فى مجال الزراعة والتجارة، وعاش الأوس والخزرج فى ضيق من العيش، فى أول الأمر، لعدم قدرتهم على مجابهة اليهود، الا أنهم بمرور الزمن أخذوا يتطلعون إلى وضع اقتصادى

---

(١) جرجى زيدان، المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٢) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، ص ٣٤٦.

أفضل، وكانت وسيلتهم فى ذلك أما مشاركة اليهود فى تملك الأراضى الخصبة أو الاستيلاء عليها منهم[1].

ويذهب بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن تطلع الأوس والخزرج إلى مشاركة اليهود والتغلب عليهم انما يرتبط بالأحداث الدولية حينئذ، ويرون أن الدولة البيزنطية كانت هى المحرك لهذه الأحداث ضد اليهود، فهى التى قضت على اليهودية فى اليمن بعد حملة أبرهة، ثم دفعت بالغساسنة إلى التدخل فى شئون يثرب، ومناصرة الأوس، والخزرج ضد اليهود.

ومن جهة أخرى، فان هناك من الباحثين من يعارض هذا الاتجاه، ويرى أن النزاع كان محلياً بين العرب واليهود، وأن مرجعه إلى الظروف الاقتصادية واعتماد السكان على استثمار الأراضى الزراعية، ويعتمدون فى ذلك على بعض الحجج التى لعل من أهمها هو استمرار الصراع بين الأوس والخزرج أنفسهم بعد تغلبهم على اليهود، واشتراك كل طوائف المدينة فيه تبعاً لمصلحتها الاقتصادية.

وانتهى الصراع ما بين الأوس والخزرج واليهود بغلبة الأوس والخزرج وأصبح لهم كيان سياسى بارز فى يثرب يفوق ما كان لليهود، وكان لذلك أثره فى قيام التنافس والصراع بين الأوس والخزرج.

فقد كان للتنافس على الزعامة فى يثرب أثره فى وجود مشاحنات بينهما، وزاد من هذه المشاحنات رغبة كل من الفريقين فى الاستيلاء على ما عند اليهود، وزاد النيران اشتعالاً موقف اليهود الذين أخذوا فى الايقاع بينهما، واثارة الأحقاد والضغائن بينهم، واشتعلت نيران الحروب بينهما لأقل الأسباب، وكان معظمها غير ذى بال.

وأول حرب وقعت بين الأوس والخزرج - حسب رواية الأخباريين - هى حرب «سمير» [2] وحسب هذه الرواية، فإن سميرا وهو الأوس، شتم رجلاً

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٤٦٠.

(٢) انظر عن هذه الحرب:

- ابن الأثير: المرجع السابق، ص ٦٥٨ - ٦٦٢، جرجى زيدان: المرجع السابق، ص ٣٦١.

أسمه كعب بن العجلان، كان ضيفاً على مالك بن العجلان رئيس الخزرج، ثم ما لبثت سمير أن قتل كعب، ونشبت الحرب بين الأوس والخزرج لاختلافهما حول دية كعب، وأنتهى الأمر إلى احتكامهم إلى «المنذر بن حرام» الخزرجى، وهو جد حسان بن ثابت، الذى قضى بينهما، وأنتهت الحرب بينهما، الا أنها تركت ندوبا فى النفوس قلما تندمل، فتمكنت العداوة منهما وتعددت الحروب.

ومن هذه الحروب التى دارت لأسباب لا قيمة لها، وما كانت لتقع لولا هذه العصبية الضيقة التى يثيرها فى الغالب أفراد لا منازل كبيرة لهم فى المجتمع، فاذا وقع على أحدهم اعتداء، نادى قومه للأخذ بثأره، فتثور الحرب، حرب يوم السراره، وحرب بنى وائل بن زيد الأرسيين، وبنى مازن بن النجار الخزرجيين، وحرب حاطب، ويوم الربيع، وحرب الفجار الأولى.

وكانت آخر الحروب التى وقعت بين الأوس والخزرج هى الحرب المعروفة باسم «يوم بعاث»(١) وقد حدثت قبل الهجرة بخمسة أعوام، وفى هذه الحرب حاولت كل من الأوس والخزرج استمالة البطون اليهودية اليها، فتحالفت الأوس مع بنو قريظة والنضير وبنى مزينة، أما الخزرج فقد تحالفوا مع بنى أشجع وبنى جهينة.

ونشبت الحرب بين الفريقين عند حصن «بعاث» وانهزم الأوس فى اليوم الأول، غير أن موازين الحرب تغيرت نتيجة لمقتل قائد الخزرج، فانتهز الاوس الفرصة، وهزموا الخزرج شر هزيمة، فأخذوا يقتلون رجالهم ويحرقون منازلهم وبساتينهم، ولم ينقذ الخزرج من الكارثة سوى خشية الاوس من استعادة اليهود لمكانتهم السابقة، بعد أن وضعت نياتهم فى اذلال الخزرج

---

(١) أنظر:
- ابن خلدون: المرجع السابق، الجزء الثانى، ص ٢٨٩ - ٢٩٠، ابن الأثير: المرجع السابق، ص ٦٨٠ - ٦٨٤.

ونهب أموالهـم، ومن ثم فقـد اكتفـى الأوس بالقضاء علـى روح التسلط في الخزرج.

وقد أضعفت هذه الحرب بطون يثرب كلها ، وأضعفت فيهم روح العداوه والحقد في النفوس، وأن ظلت البذور موجودة، حتى شرفت المدينة بقدوم سيد الخلق سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، فامرهما بالكف عن العداء، ووجهما وجهة أخرى أنستهما الخصومة العنيفة التى كانت فيما بينهما، ونظراً لمساعدة أهل يثرب للرسول عليه الصلاة والسلام ومناصرتهم له وللمهاجرين، فقد عرف الأوس والخزرج في الإسلام بـ «الانصار» ، وصاروا يفتخرون بهذه التسمية، حتى غلبت عليهم ، وصارت في منزلة النسب.

الفصل الثاني عشر
الأنبـــــــاط



الأنبـــــاط

تعد دولة الانباط التى قامت على الأطراف الخارجية لمنطقة فلسطين فى حوالى القرن السادس قبل الميلاد من أهم الدويلات التى قامت على طول حدود الصحـــراء من ساحل البحــر الأحمــر إلى أطراف ســوريا وفلسطين والعراق، وقد اتخذت من البتراء عاصمة لها(١).

وقد بلغت دولة الأنباط اقصى اتساعها الجغرافى فى أيام ملكها «حارثة الرابع» فى اواخر القرن الأول قبل الميلاد والنصف الأول من القرن الأول الميلادى، إذ ضمت منطقة واسعة إلى جنوب البتراء بلغت حتى حدود العلا، وكان وجودها واضحاً فى منطقة النقب، ومن الشمال وصلت أقصاها بضم دمشق، وهذا الاتساع فى معظمه سياسى وتجارى. فمن الناحية السياسية كان التوسع ناحيــة الشمــال أسهل لأنهم لم يجدوا مقاومة تصدهم عنهــا، ومن الناحية التجارية كان يمثل المكان الذى تتجه إليه السلع الآتية من الجنوب، فهو الاتجاه الطبيعى الذى لابد من تأمينه، وربمــا يكون ذلك الســبب وراء عدم اتجــاههم فى بداية تاريخــهم للسيطرة على المناطق الجنوبيــة، لأن الامتداد نحو الجنوب لم يكن يمثل أهميــة لهم فى هذه المرحلة أو ربما كان راجعــاً إلى وجود قبائل قوية رأوا من مصلحتهم حينئذ أن لا يستثيروا عداوتهـا، وتعويضاً عن ذلك قاموا بتوسيع رقعتهم فى المنطقة الساحلية عند العقبة، أما الامتداد جنوباً فلم يتجــاوز الحوراء على الساحل وتيماء والحجر فى الداخل(٢).

وبعد تأمينهم للمنطقة الساحلية استولوا على المنطقة المعروفة اليوم باسم شرق الأردن حتى بلغوا حدود مادبا إلى الشمال، وإن كانوا قــد اتجهــوا إلى

---

(١) فيليب حتى: المرجع السابق، ص ٤٢٦.

(٢) محـمـد بيومى مـهران: المرجع السابق، ص ٥٠٢، فـيليب حـتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٣٥٠ – ٣٥١.

ما وراءها بعد ذلك. وحين اتسعت تجارة القوافل النبطية كان من الضرورى لهم تأمين الطرق التجارية التى تذهب من البتراء مخترقة النقب إلى غزة أو العريش، ومن ثم عملوا على الاستيلاء على النقب كله لتأمين طرقهم التجارية من ناحية واستغلاله فى الزراعة من ناحية أخرى.

وعلى ذلك فإن المناطق التى شملها الامتداد النبطى كانت ثلاث مناطق رئيسية أنشأوا لهم فيها مراكز ومواقع استيطانية تعد بالمئات، وهذه المناطق هى:

١ – منطقة النقب.

٢ – منطقة جنوبى سوريا.

٣ – المنطقة الواقعة شرقى نهر الاردن وتمتد جنوباً لتشمل جانباً من شمال الحجاز، وبالإضافة إلى البتراء أهم مركز نبطى فى هذه المنطقة فإنها تحتوى على أكبر نسبة من المراكز النبطية ومنها موقع ذبيان ووادى روم وهو يقع عند نهاية شرق الأردن وبداية الجزيرة العربية، ومن أهم المنشآت النبطية فى هذه المنطقة معبد لا يزال فى حالة جيدة نسبياً.

وفيما يتصل بالتسمية، فهناك من الباحثين من يربط بين كلمة «نبط» ولفظة «نبايوت» التى وردت فى العهد القديم كاسم للإبن البكر لإسماعيل، ومن الباحثين من قرنها بلفظة «النبياتيين» و «النبأيتى» التى وردت فى نصوص الملك العراقى تجلات بلاسر الثالث، ثم فى نصوص أسرحدون، ومن بعد ذلك فى نصوص الملك آشور بانيبال.

وفيما يتصل بالمصادر التى نعتمد عليها فى دراسة التطور السياسى والحضارى لدولة الانباط، فمن أهمها المصادر الأثرية وكتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان، وما سجله المؤرخ اليهودى «يوسفوس فلافيوس ٣٧ق.م – ١م»، وسنتناول هذه المصادر بشئ من التفصيل فيما يلى:



أولاً: المصادر الأثرية:

بدأت الجهود الأثرية الجادة تأخذ طريقها فى المواقع النبطية من عام ١٩٢٩ ، حينما قامت بعثة برئاسة جورج هورسفيلد بالعمل فى موقع البتراء، وتتابعت بعد ذلك البعثات، فتمكن البرايت من الكشف عن «معلاة كونواى» عام ١٩٣٤ وعن خزنة فرعون وقبر الجرة وقبر الجندى الرومانى عام ١٩٣٦ ، ومنذ عام ١٩٥٤ بدأت دائرة الآثار الأردنية بالقيام بأعمال حفظ وصيانة الآثار النبطية وكذلك عمليات الكشف المستمرة فى هذه المواقع مما كان له الأثر الكبير فى الكشف عن الكثير من الأدلة الأثرية التى أماطت اللثام عن تاريخ وحضارة الانباط.

ومن أهم هذه المكتشفات الأثرية ما كشف عنه من نقوش استدل منها على نوع كتابتهم ولغتهم وأسماء الإعلام الشائعة بينهم، وأسماء الآلهة التى عبدوها، وأسماء عدد من ملوكهم وملكاتهم، وبعض شعائرهم الدينية وغير ذلك من الأمور.

ويمكن أن نميز فى نقوشهم النماذج التالية:

١– نقوش تذكارية قصيرة كالتى وجدت فى البتراء والحجر وسيناء.

٢– نقوش مدونة على نصب المقابر.

٣– نقوش معمارية يذكر فيها إسم المبنى والذى قام بتشييده وتاريخ البناء، وفى بعض الأحيان لا يكتب إسم المبنى إذا كان بناء شهيراً.

٤– نقوش وقفية يذكر فيها إسم واهب الوقف والشئ الموقوف وإسم المعبود الذى قدم إليه الوقف.

٥– نقوش تمثل توقيعات البنائين أو توقيعات تدل على الملكية.

٦– نقوش تكرميه وهى نادرة عند الانباط.

ومن الواضح أن هذه النقوش على كثرتها لا تتحدث عن أحداث

تاريخية، ومن ثم تنحصر الاستفادة منها فى معرفة أسماء الأعلام والآلهة والمبانى، وعلى ذلك يستعين المؤرخ بالمصادر الأثرية الأخرى كالمسكوكات وبقايا المقابر والتماثيل والرسوم والمصنوعات المختلفة.

ثانياً: المصادر اليونانية والرومانية:

من أهم المؤرخين اليونان والرومان الذين كتبوا عن الانباط نذكر كلا من ديودور الصقلى واسترابو، ولقد اعتمد ديودور الصقلى فيما كتبه عن الانباط على مصدر معاصر للأنباط فى القرن الرابع قبل الميلاد وهو «هيرونيموس القارديائى Hieronymus of Cardia»، ويرجع الفضل لهذا المؤرخ فى أماطة اللثام عن تاريخ الانباط فى هذه الفترة المبكرة(١).

وأما استرابو فقد اعتمد فى كتابته عن الأنباط على بعض المصادر والتى من أهمها ما كتبه صديقين له أحدهما هو «أثنودور الطرسوسى Athenodorus of Tarsus» المتفلسف الرواقى الذى ولد وعاش فى البتراء وخبر حياة أهلها وعاداتهم ومعتقداتهم، أما الآخر فهو ايليوس جالوس الذى قاد حملة إلى اليمن أيام أو كتفيان ورافقه فيها استرابو.

ثالثاً: المصادر اليهودية:

أشار يوسفوس فلافيوس فى كتابيه حروب اليهود، وآثار اليهود إلى الكثير من المعلومات الخاصة بالانباط وذلك من خلال علاقاتهم بالدولة المكابية سلما كانت تلك العلاقة أم حرباً. وهو متعصب كثيراً للمكابيين، ولهذا فقد يكون حديثه عن الأنباط فى لحظات صراعهم مع الدولة اليهودية مشمولاً بالهوى، وثمة جانب غير مأمون فيما يقصه من اخبار وأحداث، وذلك أنه ينصب من نفسه مفسراً للوقائع، فيحجب بتفسيره حقيقة الرواية التى قد تتحمل – لو رويت على وجهها – تفسيراً آخر أو تفسيرات أخرى، هذا إلى أنه كثيراً ما يقع فى الخطأ والتضارب والتشويه، ويخلط الشائعة بالحقيقة التاريخية.

---

(1) Diodorus, 19, 94, 1 - 100.

وقد اختلف المؤرخون فى الموطن الأصلي للأنباط، فذهب فريق منهم إلى أنهم من أهل العراق، وأنهم قد هاجروا من العراق إلى (أدوم)، وذهب فريق آخر إلى أنهم عراقيون أتى بهم «نبوخذ نصر» فى القرن السادس قبل الميلاد عندما اكتسح فلسطين، فأنزلهم «البتراء» ومجاوراتها، وذهب فريق ثالث إلى أنهم من جبل شمر فى أواسط بلاد العرب، ثم سرعان ما نزحوا إلى العراق وظلوا بها، حتى دهمهم الأشوريون فأخرجوهم من هناك.

والثابت أن الانباط الأوائل هم من سكان العراق، إذ ورد ذكرهم فى آثار آشور منذ القرن السابع قبل الميلاد على أيام اشوريانيبال. وهذا يفسر كيف أن العرب عندما عرفوا الانباط لأول مرة كان ذلك فى بطائح العراق حيث يكثر الماء حتى قالوا: «وسمى نبط السواد نبطا، لاستنباطهم المياه وسقيهم الانهار». هذا وقد دخل الانباط فى نطاق العرب عن طريق اتخاذهم للثقافة الارامية واصطناعهم لكتابة ولغة الاراميين، ويرجع ذلك إلى أنها كانت اللغة الشائعة فى ذلك العصر، بل أنها أصبحت لغة المراسلات الدولية فى الشرق الأدنى القديم منذ حوالى عام ٥٠٠ ق.م، كما أصبحت اللغة التى يستعملها سكان منطقة الهلال الخصيب – وكذا الانباط – كما أنها سوف تصبح لغة المسيح وشعبه فيما بعد.

فعندما بدأ الانباط يعملون بالتجارة، ولم يعودوا نقلة لمتاجر غيرهم مقابل أجر معلوم اكتشفوا حاجتهم الماسة إلى الكتابة، وكانت اللغة السائدة فى كل أنواع المعاملات والسفارات فى بلاد الشرق الأدنى حينئذ هى الارامية، فكتبوا بها، وظلوا يستعملون لغتهم العربية فى حياتهم اليومية فيما بينهم، وقد كان اختيارهم للأرامية ضرورة حضارية ووسيلة عملية للتفاهم مع من حولهم ممن يستعملونها فى مكاتباتهم، وظلت هى لغة الكتابة بعد أن سقطت دولتهم لمدة مائتى سنة.

ويتبين من أقدم الأخبار الواردة فى كتابات المؤرخين اليونان والرومان أن النبط كانوا فى بادئ أمرهم اعرابا ورعاة ماشية، وفى ذلك يقول ديودور الصقلى:

«لقد آلوا على أنفسهم ألا يبذروا حبا، ولا يغرسوا شجراً يؤتى ثمرا، ولا يعاقروا خمرا، ولا يشيدوا بيتاً، ومن فعل ذلك كان عقابه الموت وهم يلتزمون بهذه المبادئ لأنهم يعتقدون أن من تملك شيئاً استمرأ ما ملك وعز عليه التخلى عنه واضطر من أجل ذلك أن ينصاع لما يفرضه عليه ذوو القوة والجبروت».

ومع ذلك فإنهم – فيما يبدو – لم يقنعوا بتربية الأبل والماشية ولم يقتصروا على حياة الرعى، بل كانوا قد تميزوا عن كثير من البدو، بالإقبال على حياة التجارة شراء وبيعاً، وعلى القيام بدور الوسطاء فى دنيا البيع والشراء حتى عرفوا بالثراء[١]، وهذا ما يؤكده قول ديودور الصقلى:

«ثمة قبائل عربية كثيرة تتخذ الصحراء مراعى لقطعانها، ولكن الانباط يفوقون الجميع بثرائهم».

أما أقدم ما وصلنا من أخبار عن الانباط فهو ما ذكره (ديودور الصقلى) من أن «انتيجونوس» الذى خلف الاسكندر فى سورية قد جرد حملة على النبط قوامها أربعة آلاف جندى من المشاة ليجبرهم على التحالف معه وتأييد مصالحه، وكان ذلك فى عام ٣١٢ ق.م، وسار قائد هؤلاء الجنود وباغت الصخرة (أم البيارة) فى منتصف الليل، فقتل من حاول المقاومة وأسر خلقاً منهم، وترك الجرحى، واستولى على ما وقعت عليه يده من البخور والتوابل

---

(١) جواد على، المرجع السابق، ص ١٠.

والفضة، ثم أمر قواته بالاسراع بالرجوع، فلما قطعت مسافة، أضناها التعب، واضطرت إلى الاستراحة فى معسكر اقامته، وفيما كان الجنود ينعمون بنومهم، هاجّمهم النبط وأعملوا فيهم السيوف، فلم ينج من رجال الحملة الا خمسون فارسا هربوا بسلام، وما أن يمضى وقت طويل حتى يرسل اليهم انتيجونوس ولده «ديمتريوس» على رأس حملة قوامها أربعة آلاف من الفرسان ومثلهم من المشاة. ويبدو أن الانباط إنما كانوا يتوقعون الخيانة من «انتيجونوس»، ومن ثم فقد كانوا فى حيطة من أمرهم، فأمنوا أموالهم فى مواضع حصينة لا تصل إليها أيدى الطغاة الطامعين، ثم تفرقوا فى الصحراء وهكذا ما أن وصل «ديمتريوس» إلى الصخرة (أم البيارة) حتى هاجمها بعنف وشراسة، إلا أن محاولته هذه لم يكتب لها نصيب من النجاح، ومن ثم فقد عاد بخفى حنين، قانعا بما قدمه إليه الانباط من هدايا(١).

ومن المعروف أن البطالمة قد طمعوا فى دولة الانباط بسبب موقعها كمحطة تجارية هامة، وبسبب خيراتها الوفيرة، ومن ثم فقد اهتموا بالسيطرة على البحر الأحمر من أجل تأمين تجارتهم فى بونت والهند. فلقد كانت سفن الهند تفرغ بضائعها فى بلاد اليمن ومن هناك كانت تنقل شمالاً بطريق البحر الأحمر أو بالطريق البرى إلى أيلة ثم إلى بتراء، وفى عهد بطليموس الثانى (٢٨٣ – ٢٤٦ ق.م) ونتيجة لتحرش الانباط بسفن البطالمة ومهاجمة سفنهم المتجهة إلى مصر وأخذ ما فيها – قام بإنشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية، وقد ألحقت هذه القوة خسائر فادحة بأسطول النبط، وأدت سياسة بطليموس الرامية إلى السيطرة على البحر الأحمر، واعادة فتح القناة القديمة التى كانت تصل النيل بالبحر الأحمر – إلى الحاق خسائر فادحة بالنسبة للأنباط الذين كانوا يحصلون على أرباح باهظة من تجارة القوافل التى كانت

---

(١) نفس المرجع السابق: ص ١٩ – ٢٠.

تمر ببلادهم، فأخذوا يشـنون الغارة تلو الغارة على السفن الذاهبة أو الآتية من مصر(١).

وفيما يتصل بملوك الانباط، فيختلف المؤرخون حول ترتيبهم، ويزيد من صعوبة هذا الأمر وجود العديد من الفجوات التى لا يوجد ما يملأها، ومن أهم هؤلاء الملوك:

الحارث الأول:

هو أول ملوك الانبـاط، عرف اسمه، وهو إسم كـثير الشيـوع فى أسماء الأعلام، ولما كان هو أول من عرف اسمه دعى «الأول» تمييـزا له عن كل من جاء بعده ممن اسمه «الحارث». ولكنه ليس من الضرورى أن يكون أول ملك نبطى.

وكان الحارث الأول معاصراً لمؤسسى الاسرة المكابية (أسرة حاكمة يهودية)، فلقد ورد ذكره فى سفر المكابيين الذى أطلق عليه «اريتاس» وذلك عندما حدث نزاع بين اليهود عام ١٦٩ ق.م حول من يتولى الكهانة العليا، وفر أحد المتنازعين إلى الحارثة، ولكنه طرده ربما لوجود اتفاق ما بين الحارث والاسرة المكابية.

ولم يصلنا أى شئ آخر بخصوص الحارث الأول، وإن كان هناك من الباحثين من يرى أن النقش الذى عثر عليه فى الخلصة يخصه، وقد جاء فى هذا النقش «هذا هو الموضع الذى أقامه عبد نثيرو لحياة حارثة ملك النبط (نبطو)». ويتجه أصحاب هذا الرأى أن هذا النقش لا يتجاوز فى تاريخه عام ١٥٠ ق.م(٢).

الحارث الثانى:

وجاء بعد الحارث الأول الملك زيدال وذلك فى حوالى عام ١٤٦ ق.م،

---

(1) Strabo, III, p. 402.

(١) عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٢٣٠، فيليب حتى: المرجع السابق، ص ٢٦٧ - ٢٦٩.

ثم تلاه على العرش الملك الحارث الثانى الذى حكم حوالى عام ١١٠ ق.م، ودام حكمه حتى حوالى عام ٩٦ ق.م، وقد نعته المؤرخ يوسفوس بلقب «ملك»، مما يدل على أن هذا اللقب صار لقباً رسمياً لحكام النبط فى ذلك العهد.

وفيما يتصل بالأحوال التاريخية خلال هذه المرحلة يذكر المؤرخ يوسفوس فى كتابه «آثار اليهود» عن بداية تضارب المصالح بين الاسرة المكابية والانباط، وكانت الدولة السلوقية حينئذ قد أخذت تدخل مرحلة ضعف وتقهقر مما أغرى ملك المكابيين بانتهاز الفرصة للتوسع وجعل هدفه مدينة غزة التى استغاث أهلها بالملك الحارث الثانى المجاور لهم، إلا أنه خيب آمالهم فلم يقدم يد العون لهم رغم وعده لهم بذلك مما مكن المكابيين من الاستيلاء على غزة، ولم يتركوها إلا وجود حرب أهلية عندهم.

وأشار يوسفوس أيضاً إلى أن الملك الحارث الثانى قد انتهز فرصة ضعف الأوضاع فى مصر وبلاد الشام، فهاجم بجنوده بعض هذه الأراضى، وغنم منها غنائم كثيرة، فكون بذلك لنفسه وللعرب صيتاً بعيداً.

وفى زمن الحارث الثانى، صدرت نقود نبطية، ولعله أول ملك نبطى يفعل ذلك، إذ لم تصلنا نقود لملك قبله. وتحمل النقود المنسوبة إليه حرف "A" وهو الحرف الأول من اسمه "Arethas". وقد وجدت حديثاً كمية غير قليلة من العملة البرونزية وفيها نماذج تحمل حرف (ح) بالآرامية اشارة إلى حارثة.

ولقد انتهى حكم الحارث الثانى عام ٩٥ ق.م، وخلفه على العرش النبطى إبنه عبادة الأول(١).

---

(١) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٢٥.

- Hastings, J., Encyclopaedia of Religion and Ethics, Edinburgh, 9, p. 121.

عبادة الأول:

ورد نقش سجله رجل يدعى أصلح بن أصلح من هل البتراء على عرفة للعبادة فى الصخر فى الممر الضيق المؤدى إلى البتراء وجاء فيه: «هذه هى القاعة التى أقامها أصلح بن أصلح لذى الشرى اله منبتو لحياة عبادة ملك النبط فى أول سنة من سنى حكمه». وقد أرخ هذا النقش بعام ٩٥ ق.م. وفى هذا اشارة أكيدة لتاريخ اعتلائه العرش.

ولقد استمر فى عهده النزاع بين الانباط والمكابيين فى عهد ملكهم اسكندر جينوس، لأن اطماع جينوس التوسعية امتدت إلى جلعاد وموآب، واستطاع التغلب على عرب هاتين المنطقتين، ولذلك تصدى له عبادة فى معركة عند جدارة (أم قيس) إلى الشرق من بحيرة طبرية، واضطرته «هجانة» الانباط إلى الوقوع فى واد عميق، وكاد يفقد حياته، واضطر جينوس إلى التخلى عن طموحه والتفرغ لضغوط أخرى بزغت فى مكان آخر، فرد إلى ملك العرب ما كان استولى عليه من موآب وجلعاد وما فيها من معاقل فى مقابل أن يمتنع عبادة عن مساعدة خصومه[1].

رب ايل الأول:

هو ابن الحارث الثانى وأخو عبادة الأول، حكم فى الفترة من ٨٨ – ٨٧ ق.م، لم يذكره يوسفوس بالإسم، ولذلك اضطربت المصادر بشأنه، ونسبت الاحداث التى تمت فى عهده إلى عهد أخيه عبادة، غير أن المؤرخ أسطفانس البيزنطى ذكره لدى حديثه عن الحملة الثانية التى قام بها انطيوخس الثانى عشر ضد العرب، وكانت هذه المعركة فى أواخر عام ٨٨ ق.م، أم أوائل التى بعدها. وقد أحرز الانباط فى هذه المعركة نصراً مؤزراً، وقتل انطيوخس وفر جيشه وهلك معظمه جوعاً.

الحارث الثالث:

هو ابن حارثة الثانى أيضاً وأخوه عبادة الأول ورب ايل الأول، وهو يعد

---

(١) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٢٦.

من أشهر الملوك المتقدمين من النبط، ويرى بعض الباحثين أنه حكم من عام ٨٧ حتى عام ٦٢ ق.م، وقد قطف ثمار الانتصار الذى حققه سلفه ضد انطيوخس، إذ خلا جواره المباشر من تدخل السلوقيين مؤقتاً واستطاع أن يمضى قدماً فى السياسة النبطية التوسعية. وقد اقترن عهده بفتوحات واسعة بدأت باستيلائه على دمشق، وعلى سهل البقاع، فى حوالى عام ٨٥ ق.م، وذلك بناء على دعوة تلقاها من سكان المدينة العريقة – وكانت عاصمة السلوقيين وقتذاك – لانقاذهم من هجوم «الايتوريين» الذين كانوا يطمعون فى الاستيلاء عليها، وأدخلها فى جملة أملاكه، ولقبه أهلها (محب اليونان وحاميهم) لأنه أنقذهم من غزو الاعراب لهم[١].

وهكذا أصبح (للحارث الثالث) مملكة واسعة الاطراف، عمل على تدعيمها ببناء جيش قوى، فبعد أن كان جيش النبط فى بادئ الأمر مجرد جماعات غزو غير منظمة تهاجم عدوها وتباغته على طريقة الاعراب ثم تتراجع، حاول الحارث ادخال الكثير من الاصلاحات عليه، واستعان بعدد كبير من اليونان فى تدريب جيشه، وتكوين وحدات نظامية مدربة، استعان بها فى تقوية مركزه حتى صار من أقوى ملوك النبط الذين حكموا حتى أيامه، ومن ثم فقد بدأ الحارث يتدخل فى شئون مملكة يهوذا المتداعية، فغزا أرض يهوذا، وفى معركة واحدة وقعت عند موضع (أويدا) أنهار الجيش اليهودى وتشتت شمله ولم يبق أمام ملكهم إلا طلب الصلح، وعاد النبط منتصرين إلى ديارهم وكذلك عمل (الحارث الثالث) على مجابهة الرومان ولكنهم تغلبوا عليه، ويرجع ذلك إلى حيازة الرومان لجيوش منظمة مدربة.

ودعت الظروف السياسية الحارث مرة أخرى للتدخل فى شئون مملكة يهوذا[٢] ابان الخلاف الذى دب بين ولدى «اسكندر جنيوس» (أرسطوبولس وهركانوس)، وانقسام اليهود إلى فريقين، الصدقيون ويؤيدون «أرسطوبولس»

(١) جواد على: نفس المرجع، ص ٢٩ – ٣٠.

(2) Josephus, The Jewish War, p. 302.

والفريسيون ويؤديدون «هركانوس» الذى فر إلى البتراء، لعله يجد الحمى عند الحارث، فضلاً عن إعادة التاج إليه وتثبيت ملكه، على أن يعيد للحارث فى مقابل ذلك، المدن الاثنى عشر التى كان قد أخذها أبوه من العرب. ويقبل الحارث آملاً فى أن يوسع أملاكه على حساب يهوذا، إن لم يقدر له ان يوجه إليه الضربة القاضية. وهكذا يوجه الحارث جيشاً قوامه خمسون ألف رجل لمهاجمة «ارسطوبولس» الذى سرعان ما يفر إلى القدس بعد هزيمة منكرة، فيتابعه الحارث إلى المدينة المقدسة، ويكاد يستولى عليها، لولا قيام الرومان بالهجوم على دمشق، ثم ارسال حملة عسكرية إلى القدس نفسها للتدخل فى النزاع القائم بها وقتذاك، ولمنع الانباط من الاستيلاء عليها. وأدرك الحارث أن جيشه لا يستطيع الوقوف أمام جيوش الرومان المدربة، المنظمة والمسلحة تسليحاً جيداً حديثاً بالنسبة إلى أسلحة النبط، ففك الحصار وتراجع، إلا أن «ارسطوبولس» الذى نجح فى اكتساب ثقة قائد الحملة الرومانية سرعان ما تعقب الانباط وهم فى طريق عودتهم، فانتصر على الحارث وقتل ستة آلاف من أتباعه.

وتعقدت الأمور مرة ثانية بين الرومان والانباط، فهدد الرومان النبط بالزحف عليهم وتخريب بلادهم، ووجد الحارث أنه من المستحيل عليه الثبات أمامهم، وتم عقد الصلح بين الطرفين على أن يدفع الحارث جزية للرومان. واعتبر «بومبى» حاكم الرومان أن ذلك إنما هو خضوع من الانباط للرومان، ومن ثم فقد وضع صورة الحارث فى موكب نصره، كما أمر القائد الرومانى أن تضرب النقود وعليها صورة الحارث راكعاً على ركبتيه إلى جانب جمل وهو يقدم غصناً فى خضوع إلى القائد الرومانى، تعبيراً عن استسلامه. أما الانباط فلعلهم وجدوا أن دفع بعض الاموال لا يخدش وجه سيادتهم واستقلالهم الذاتى، خصوصاً وأن استيلاء الرومان على كل سورية قد وضح لهم مدى قدرتهم على المبادرة بالتحدى. وكانت هذه الاحداث هى خاتمة حياة الحارث الثالث الذى وافته المنية فى عام ٦٢ ق.م[١].

(١) جواد على: المرجع السابق، ص ٣٣.

الملك عبادة الثاني:

وحكم بعد (الحارث الثالث) ابنه الملك (عبادة الثانى) الذى حكم فى الفترة من ٦٢ – ٤٧ ق.م على رأى، وفى الفترة من ٦٢ – ٦٠ ق.م على رأى آخر. ولدينا من عهده نقد من الفضة ضرب بأمره فى السنة الثانية أو الثالثة من حكمه وهو من فئة الـ (دراخما) وقد صور عليه وجه الملك حليقاً، وشعر رأسه قصيراً(١).

مالك الأول:

حكم الملك (مالك الأول) بعد (عبادة الثانى) وفى عهده شارك النبط يوليوس قيصر فى حصاره لمدينة الاسكندرية عام ٤٧ ق.م، فأمدوه بقوة من جيوشهم. ثم حدث بعد ذلك أن تدهورت العلاقات بين الرومان والنبط، وربما يرجع ذلك إلى امتناع الانباط عن دفع الجزية للرومان، أو لأن النبط قد وقفوا إلى جانب الفرس عندما أرادوا الاستيلاء على فلسطين. وأيا كان السبب، فإن الروم وبعد انتصارهم على الفرس، بدأوا يتجهون نحو النبط وأجبروهم على دفع جزية كبيرة، ثم زاد الموقف تعقيداً عندما منح (مارك انطونيو) وهو الذى عهد إليه الرومان بتولى أمور الشرق، جزءاً كبيراً من فينيقيا وسوريا، فضلاً عن بلاد الانباط، إلى «كليوباترا» ملكة مصر.

وهكذا أصبحت (كليوباترا) صاحبة الحق فى جزية الرومان من الانباط، غير أن النبط قد امتنعوا عن دفع الجزية لملكة مصر، ومن ثم فقد طلبت كليوباترا من مارك انطونيو الاسراع فى تأديب الانباط. وفى نفس الوقت دفعت كليوباترا بملك اليهود (هيرودوس) لمحاربة الانباط، وكانت تهدف من وراء ذلك اضعاف مركز كل من ملك اليهود والانباط حتى تتمكن منهما، وتصبح سيدة بلاد العرب. وبادر هيرودس بمحاربة النبط، فالتقى بهم عند (اللد) وانتصر عليهم، ثم التحم بهم فى (قنا) فى البقاع، وكاد يتغلب عليهم،

---

(١) جرجى زيدان: المرجع السابق، ص ٨٨، وكذا السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٢٣٤.

إلا أن موازين النصر سرعان ما تغيرت إلى جانب النبط، فقتلوا عدداً كبير منهم وأسروا آخرين، وفر «هيرودوس» إلى القدس[1].

وفي القدس أخذ (هيرودوس) يحرض قومه على الانتقام من العرب، والأخذ بالثأر، ولاسيما أن الانباط أخذوا في الهجوم على مدنه، فنشبت سلسلة من الحروب بين الطرفين، كلفت كل منهما خسائر كبيرة. ويدعى المؤرخ (يوسفوس) أن النصر كان في الخاتمة في جانب اليهود، واضطر النبط بعد ذلك إلى دفع الجزية إلى (هيرودوس) وعقدوا صلحاً معه، لم يخالفه الانباط بعد ذلك. وليس هنالك شك في أن قوة هيرودوس لم تكن هي في الحقيقة التي جعلت الانباط يقبلون بمصالحة اليهود أو دفع الجزية لهم، إنما كانت قوة الرومان وراء تلك الانتصارات التي حققها هيرودوس نتيجة ما تقدمه له من مساعدات عسكرية فعالة[2].

عبادة الثالث (٣٠ - ٩ق.م).

يصفه كل من يوسفوس واسترابو بالكسل وتراخي الهمة، وبأنه لم يكن يعير الشئون العامة، فضلاً عن الشئون العسكرية أي اهتمام. وفي نفس الوقت فقد اسهبوا في مقارنته بوزيره الشاب النشط «صالح» أو «سليوس» Syllaaeus. وبذلك تضاءلت شخصية عبادة الثاني بجوار وزيره صالح، وتصدرت الاحداث شخصية الوزير صالح الذي كان يلقب في النقوش «أخا الملك» أي اليد اليمنى للملك.

وعلى الرغم من ضآلة الدور الذي ينسب إلى عبادة فهناك نقش يستشف منه أنه قد أله في عهد خليفته، وليس لهذا التأليه من سبب إلا إذا كان خليفته الذي قام بهذا العمل كان يهدف من وراء ذلك إلى جعل هذا التأليه سنة متبعة، وبذلك يضفي في نفوس أهل المملكة هيبة جديدة لملك الانباط

---

(١) فيليب حتى: المرجع السابق، ص ٣١١ – ٣١٢، وكذا محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٥١٤ – ٥١٥.

(٢) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٣٧.

ليكتسب لنفسه تلك المكانة بعد موته أيضاً، وقد يكون من أسباب ذلك أيضاً إضفاء نوع من التقديس والاحترام على شخص عبادة بسبب قوة وزيره صالح الذى كان أشبه بالوصى عليه.

ومن أهم الاحداث التى حدثت فى عهد هذا الملك الحملة الرومانية على بلاد العرب الجنوبية عام ٢٥ – ٢٤ ق.م، وكانت تهدف إلى الإفادة من مصادر الثروة السبأية، ونظرا لمرور هذه الحملة فى أراضى تحت سيطرة الانباط أو موالية لهم، وأن دليل الحملة كان الوزير صالح، فقد ارتبطت هذه الحملة بالانباط، وقد فشلت الحملة فى تحقيق أهدافها فشلاً ذريعاً، وحاول استرابو أن يضع كل مسئولية الفشل على عاتق الوزير صالح واتهمه بالمكر والخداع وأنه قد غرر بالجيش، إلا أنه قد بالغ كثيراً فى القاء التهم على الوزير صالح فى محاولاته المستميتة فى تبرير فشل الحملة.

ومن الناحية الداخلية، فقد أصدر عبادة الثانى نوعين من النقد أولهما صدر فى أوائل حكمه ويسمى النقد البطلمى، وقد صور على أحد وجهيه رأس عبادة وعلى الثانى رسم صقر، وثانيهما يسمى النقد اليونانى وقد صدر بين السنة العاشرة والعشرين من حكمه، وقد صور على أحد وجهيه رأس الملك وعلى الوجه الثانى صورة رأس الملك والملكة، وكتب على جميع النقود عبارة «عبادة الملك، ملك الانباط»(١).

الحارث الرابع (٩ ق.م - ٤٠ م).

ورد إسمه فى عدد من الكتابات النبطية، وقد حمل لقب «رحم عم» أى المحب لامته، وقد قام هذا الملك بتزويد القائد الرومانى (واروس) بقوة من المشاة والفرسان حين زحف على يهوذا، وقد فعل ذلك انتقاماً من اليهود وتقرباً إلى الرومان، ثم حدث بعد ذلك أن اصطدم النبط باليهود وذلك نتيجة قيام هيرودوس بطلاق ابنة الحارث الرابع، وكان قد تزوجها منذ حين، وبسبب اختلافهما ايضاً على حدود المنطقة.

---

(١) فيليب حتى: المرجع السابق، ص ٤٢٣.

وانتهت الحروب بين الطرفين بانتصار الحارث على خصمه انتصاراً كبيراً فى جلعاد وتشتيت شمل جيوشه، فاستنجد هيرودوس بسيده وحاميه قيصر الروم، الذى غضب وكتب إلى عامله فى سورية يحثه على السير لمحاربة الحارث والقبض عليه حيا وارساله مكبلاً بالسلاسل إلى روما، أو يبعث برأسه إليه أن قتله. وبينما كان العامل يهم بالزحف على مملكة النبط جاءه الاخبار بوفاة القيصر فتوقف عن الحرب، وساء موقف هيرودوس ونحاه الرومان عن عرشه(١).

ويستدل من رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثة أن دمشق كانت تتبع الحارث ملك الانباط، وقد كان بولس فى دمشق حوالى عام ٤٠م وهى آخر سنة فى حكم حارثة، وفى ذلك يقول: «كان الحكم بدمشق تحت امرة ارتاس (الحارث) الملك»، ويدل ذلك على عودة دمشق إلى الدولة النبطية وربما كان ذلك حوالى عام ٣٧م ابان الحرب التى استعر أوارها بين الحارث وهيرودوس، وربما بقيت تحت سيادة الانباط فى مقابل مبلغ يدفعونه للرومان(٢).

ويتميز عهد الحارث الرابع بحركة عمرانية واسعة تركزت حول القسم الجنوبى من المملكة، فتحولت المنشأة النبطية فى مدائن صالح (الحجر) الى مدينة كبيرة، وظهر ذلك أيضاً فى المقابر المنحوتة فى الصخر والتى تضاهى فى فخامتها المقابر المنحوتة فى الصخور فى البتراء نفسها، ويحمل أكثرها نقوشاً تشير إلى أنها قد شيدت فى النصف الأول من القرن الأول الميلادى، ويحتل أقدمها نقشاً يشير إلى السنة الأولى بعد الميلاد، ومن الجدير بالملاحظة أن معظم هذه المقابر كان خاصاً بالضباط العسكريين من ذوى الرتب المختلفة، وربما يشير ذلك إلى أن هذه المنطقة (مدائن صالح) قد

(1) Josephus, Antiquities of The Jeus, V, 18, 1.

(١) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٤٤.

جعلها الحارث منطقة عسكرية لحصانتها، وأن تكون كدرع أمان للدولة النبطية فى المستقبل من أطماع الرومان.

ويضاف إلى ذلك، أن الانباط كانوا قد خسروا كثيراً من توسعهم التجارى بعد أن أصبح البحر الأحمر مجالاً لنشاط السفن الرومانية، ومعنى ذلك أنهم لم يخسروا التجارة البحرية وحسب، بل تضاءلت حصتهم من التجارة البرية، وأخذ طريق البتراء - غزة تكاد تصبح مهجورة وعلى ذلك، فقد كان هذا الاتجاه نحو الجنوب كمحاولة لانعاش الوضع التجارى وتعويض الخسائر، ودلت النقوش التى اكتشفت فى الجوف عند الطرف الجنوبى لهذا الوادى على كثرة الرتب العسكرية، ويدل هذا ايضاً على أن الحارث كان يحاول تقوية هذه المنطقة ليتم لتجارته الوصول من خلالها إلى بصرى، دون حاجة إلى المرور بالمنطقة الواقعة شرق الاردن التى قد تفكر روما ذات يوم فى ضمها إلى الولاية السورية.

ولعل التخوف من المنافسة الخارجية فى النشاط التجارى هو الذى دفع الحارث إلى الاهتمام بالزراعة، ويتضح ذلك فى زيادة حركة الاعمار فى مدن النقب مثل عبدة وكرنب ونصتان، وكان الرى هو العامل الرئيسى والضرورى لهذا الاعمار، ولقد كشف عن بعض الآثار التى تشير إلى وجود نظام متقدم لحفظ مياه المطر وتسييرها إلى الأراضى الصالحة للزراعة، ولم يقتصر الاهتمام بالأعمار على المناطق الجنوبية، بل امتد كذلك إلى المناطق الشمالية، فرأينا آثاره فى بصرى شمالاً وهى تسيطر على الطرق الداخلية من وادى سرحان، ابتداء من الجوف وباتجاه دمشق.

وحظيت البتراء بنصيب كبير من العمران فى عهد الحارث، فقد شيد فى عهده أكبر أثرين من آثار تلك المدينة وهو المسرح المحفور فى الصخر، والمعبد القائم فى وسط المدينة والذى يعرف اليوم باسم قصر البنت[1].

---

(١) فيليب حتى: المرجع السابق، ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

ولقد خلد الحارث أيام حكمه بتوالى الاصدرات النقدية، حتى لا تكاد سنة من سنوات حكمه تمضى دون اصدار نقد جديد، ولقد سجل على بعض القطع النقدية بعض الاحداث التى تمت فى عهده ومنها تخليده للحركة المعمارية التى أجراها فى مدائن صالح، ومنها كذلك اصداره فى العام العشرين من حكمه نقداً تذكاريا لزواجه من شقيلة التى أصبحت ملكة بعد وفاة زوجة سابقة له، كما حملت بعض النقود أسماء بعض أبنائه وبناته، ويلاحظ أن معظم النقود التى أصدرها قد كتب عليها (الحارث ملك النبط، محب أمته).

ومن ناحية أخرى، فلقد عثر على العديد من النقوش التذكارية التى أقامها أفراد من الشعب النبطى لملكهم الحارث، وقد أرخت هذه النقوش بسنوات حكمه، وكتب فيها «محب أمته» ويشير انتشار هذه النقوش فى أماكن متعددة حتى وصل بعضها إلى ايطاليا إلى إتساع الآفاق التى كان يؤمها الانباط وعلى امتداد تأثيرهم التجارى والحضارى إلى مناطق بعيدة[١].

ومن هذه النقوش التذكارية نقشاً يتميز بقيمته التاريخية وقد عثر عليه فى موقع مادبا وجاء فيه «هذا هو القبر ومعه الهرمان المبنيان فوقه الذى أقامه عبد عبودت من أجل اتايبل السترييج (حاكم المقاطعة) والده، ومن أجل أتايبل رئيس معسكرى لحيطو وعبرتا فى مقر حكمهما الذى شغله فترتين أى ستة وثلاثين عاما فى مجموعهما، فى أيام الحارث ملك الانباط، «محب أمته». ولقد تم إنشاء ذلك الضريح فى السنة السادسة والاربعين من حكم الحارث أى عام ٣٧م. ويلاحظ أن لحيطو هى لهيت التى ذكرت فى سفر اشعيا، وأما عبرتا فتعنى المخاضة أو المعبر ولعلها هى المخاضة الموجودة على نهر عرنون فى الطريق إلى الكرك.

---

(١) جواد على: المرجع السابق الجزء الثالث، ص ٥٢.

مالك الثاني (٤٠ - ٧٠م):

هو ابن الحارث الرابع، ويلاحظ أن البقايا الاثرية والتاريخية المتبقية من عهده قليلة وإن كان مرجحاً أنه قد تابع سياسة أبيه في الاهتمام باعمار المناطق الجنوبية من الدولة، ولقد توقف اصدار النقد في السنوات الست الاخيرة من أيامه، وفي الوقت نفسه استأنفت دمشق اصدار نقدها مما دعى الباحثين إلى الاعتقاد بأن الانباط قد فقدوا دمشق في عهده، ولقد جاء بعده على العرش النبطي ابنه رب ايل الثاني(١).

رب إيل الثاني (٧٠ - ١٠١ م):

كان صغيراً حين تولى العرش ولهذا عينت أمة وصية عليه، وهي تظهر على النقود التي أصدرت في سنوات حكمه الأولى، وبعد أن تزوج أصبحت زوجته «جميلة» هي التي تصور على ما يصدره من نقود.

وكانت فترة حكم رب ايل قليلة الاحداث ولهذا لم تثر انتباه مؤرخي الدولة الرومانية. وهنالك مجموعة من المخربشات تشير إلى قيام ثورة في بداية حكمه، ومما يلفت النظر أن رب إيل كان يقضي أكثر وقته في بصرى وتلك كانت بداية غروب مجد البتراء السياسية وأن بقيت بمجدها التجاري.

ولقد اتخذ رب ايل لقبا لافتا للنظر وقد الحقه باسمه حيثما ذكر وهو «واهب الحياة والخلاص لامته»(٢).

مالك الثالث (١٠١ - ١٠٦م):

آخر ملك نعرفه من ملوك الانباط هو مالك الثالث، وفي عهده قضى تراجان قيصر الروم على استقلال مملكة الانباط وجعلها تحت حكم حاكم سوريا، وذلك في عام ١٠٦م وأطلق عليها اسم. (المقاطعة العربية) ونقل مقر

---

(١) جواد علي: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٤١.

(2) Hastings, J., ERE, 9, p. 121.

جواد علي: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٤٨، فيليب حتي: المرجع السابق، ص ٤٢٤.

الحكم من البتراء إلى بصرى، فتضاءل بذلك شأن العاصمة القديمة وصارت مجرد موضع قليل الشأن، وكانت بصرى حتى ذلك الوقت موقعاً غير ذى أهمية، فأمر الامبراطور تراجان باعادة تأسيسها، ويشهد بذلك لقبها الرسمى المنقوش على عملتها وهو «بصرى الجديدة التراجانية». وحين أصبحت بصرى العاصمة بدأ بذلك تقويم جديد اسمه تقويم الولاية، وأصبحت بصرى قاعدة الفيلق الرومانى الثالث ووضعت الحاميات الرومانية على طول الطرق الرئيسية التى تكون ما يمسى بالحد الغربى، وكانت الطريق الجديدة التى بناها تراجان تصل بين سوريا والبحر الأحمر[1].

النشاط الاقتصادى:

من أهم أوجه النشاط الاقتصادى عند الانباط النشاط التجارى، وقد أوضحنا فيما سبق الجهود التى بذلها ملوك الانباط فى سبيل توسيع رقعة نشاطهم التجارى، ولقد كان النشاط التجارى من الأسباب التى أدت إلى بروز مظاهر كثيرة فى الحياة النبطية وفى مقدمتها العناية بتربية الجمال وتوفير المؤونة بها والتزويد بكل الأدوات التى تساعد على تجهيز البضائع وترتيبها وتصديفها وبناء السفن والتدريب على ركوب البحر وتهيأت كل ما تطلبه الموانى من معدات، وتخصيص أماكن للتفريغ والتخزين، وأدى النشاط التجارى كذلك إلى حركة صناعية وتعدينية وزراعية ورعوية، فلم يكتف الانباط باستقبال السلع الخارجية وتسويقها.

ويصف استرابو بعض جوانب من ثروتهم الحيوانية وسلعهم المحلية والمستوردة فيقول:

«والضأن لديهم ذات صوف ابيض، وثيران كبيرة، ولكن بلادهم لا تنتج خيولاً، وتقوم الجمال بتلبية خدماتهم مقام الخيل.. وبعض الحاجيات مستوردة من بلاد أخرى. إلا أن حاجيات أخرى ليست كذلك وخاصة ما

---

(١) فيليب حتى: نفس المرجع السابق، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

كان منها نتاجاً محلياً كالذهب والفضة ومعظم العطور، فأما النحاس والحديد والثياب الارجوانية والميعة والزعفران، والأدوات المزينة بالنقوش الفاخرة والرسوم والمصنوعات المقولبة فلا تصنع فى بلادهم».

ومن المواد الهامة التى كانوا يتاجرون بها القار، وكانوا يستخرجونه من البحر الميت، وللقار فوائد متعددة منها استخدامه فى تقوية المواد والأدوات، أو أن يتخذ كعنصر فى التغرية، كما استخدمه المصريون فى تلوين المعادن وكذلك فى التحنيط.

وكانت التجارة الخارجية هى عماد ثورة الانباط وكانت تعتمد على السلع القادمة من جنوب بلاد العرب، إذ كانت تلك السلع تباع بأثمان عالية وفى مقدمتها البخور الذى كان يمثل مادة ضرورية فى حياة الناس وعبادتهم، كما كان هو والمر يستعملان فى تركيب العقاقير، وكان المر وحده يستخدم فى صناعة مواد التجميل والعطور وفى شئون الدفن.

ولا ينازع هاتين السلعتين من السلع المحلية سوى البلسم والقار ولقد تحدثنا عن أهمية القار، أما البلسم فكان يستخدم فى الأمور الطبية، ولقد أشار اليه ديودور فقال: «فى أحد الوديان ينمو النبات المسمى بالبلسم وهو يعطى دخل كبير، إذ لا يوجد فى أى مكان آخر من العالم المعمور، واستعماله كعقار مهم جداً لدى الاطباء». وبجانبهما يرجح كذلك أن صناعة الخزف كانت تدخل فى نطاق التجارة الخارجية.

وقد مارس الانباط النشاط الصناعى ومنه سك العملة من البرونز والفضة، كما صنعوا بعض التماثيل الصغيرة والحلى والاسلحة وكذلك الاوانى المعدنية المستخدمة فى الادوات المنزلية، كما ظهرت صناعات أخرى مثل النسيج وصناعة الاحذية والادوات الموسيقية.

وقامت الزراعة بدور كبير فى نشاط الانباط الاقتصادى، وتدل السدود التى أقاموها والقنوات والمجارى التى شقوها وخزانات المياه التى شيدوها

على اهتمامهم بالنشاط الزراعي. ويرجح أنهم مارسوا زراعة شتى أنواع الحبوب وأشجار الفواكه وبخاصة العنب، وتشير رسومهم إلى أهمية العنب والرمان كعنصر زخرفي، وهكذا بلغ الانباط مستوى اقتصادياً رفيعاً بالتضافر بين أنواع النشاط الاقتصادى المتعددة من تجارة وصناعة وزراعة[1].

نظام الحكم:

أما عن تنظيم الدولة وكيفيتها عند النبط، فمن الواضح أن الملك كان بالطبع رئيس الدولة، وكان الحكم متوارثاً داخل الاسرة الملكية، وحسب المعلومات المتاحة لنا حالياً فإن الحكم الملكى لم يخرج عن أسرة واحدة. وهناك ما يستشف منه أن الاسرة المالكة كانت حسنة التماسك، ولم يكتف بذلك بل أصبغت على ملكها صفة الالوهية لتبعد عنها كل مدعى طامع، وأحاطت الحاكم من تلك الاسرة بروابط الاخوة، وفى ذلك بالإضافة إلى معنى المشاركة فى المشورة وبعض المسئولية رغبة فى اضفاء نوع من وحدة الحكم، فزوجة الملك أخت له وصورتها تظهر مع صورته على النقود، ووزير الملك أخ له وكليهما بهذه الاخوة يشاركه المسئولية أو جانباً منها، ولم تكن هذه أخوة بالدم ولكنها اشارة إلى عمق المشاركة.

ويبدو مرجحاً أن الوزير كان مسئولاً عن السفارات فى الخارج، واجراء المفاوضات وعقد الاتفاقيات وما شابه ذلك.

وكانت البلاد مقسمة إلى ولايات لكل ولاية حاكم يسمى فى النقوش سترتج، وتدرجت الوظائف الادارية فى الدولة سواء كانت سياسية أو دينية أو قضائية.

الحياة الاجتماعية:

كانت العائلة هى الوحدة المهمة فى المجتمع النبطى، وكانت شديدة

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ١٤١.

كان منها نتاجاً محلياً كالذهب والفضة ومعظم العطور، فأما النحاس والحديد والثياب الارجوانية والميعة والزعفران، والأدوات المزينة بالنقوش الفاخرة والرسوم والمصنوعات المقولبة فلا تصنع فى بلادهم.

ومن المواد الهامة التى كانوا يتاجرون بها القار، وكانوا يستخرجونه من البحر الميت، وللقار فوائد متعددة منها استخدامه فى تقوية المواد والأدوات، أو أن يتخذ كعنصر فى التخرية، كما استخدمه المصريون فى تلوين المعادن وكذلك فى التحنيط.

وكانت التجارة الخارجية هى عماد ثورة الانباط وكانت تعتمد على السلع القادمة من جنوب بلاد العرب، إذ كانت تلك السلع تباع بأثمان عالية وفى مقدمتها البخور الذى كان يمثل مادة ضرورية فى حياة الناس وعباداتهم، كما كان هو والمر يستعملان فى تركيب العقاقير، وكان المر وحده يستخدم فى صناعة مواد التجميل والعطور وفى شئون الدفن.

ولا ينازع هاتين السلعتين من السلع المحلية سوى البلسم والقار ولقد تحدثنا عن أهمية القار، أما البلسم فكان يستخدم فى الأمور الطبية، ولقد أشار اليه ديودور فقال: «فى أحد الوديان ينمو النبات المسمى بالبلسم وهو يعطى دخل كبير، إذ لا يوجد فى أى مكان آخر من العالم المعمور، واستعماله كعقار مهم جداً لدى الاطباء». ويجانبهما يرجح كذلك أن صناعة الخزف كانت تدخل فى نطاق التجارة الخارجية.

وقد مارس الانباط النشاط الصناعى ومنه سك العملة من البرونز والفضة، كما صنعوا بعض التماثيل الصغيرة والحلى والاسلحة وكذلك الاوانى المعدنية المستخدمة فى الادوات المنزلية، كما ظهرت صناعات أخرى مثل النسيج وصناعة الاحذية والادوات الموسيقية.

وقامت الزراعة بدور كبير فى نشاط الانباط الاقتصادى، وتدل السدود التى أقاموها والقنوات والمجارى التى شقوها وخزانات المياه التى شيدوها

الحكم من البتراء إلى بصرى، فتضاءل بذلك شأن العاصمة القديمة وصارت مجرد موضع قليل الشأن، وكانت بصرى حتى ذلك الوقت موقعاً غير ذى أهمية، فأمر الامبراطور تراجان باعادة تأسيسها، ويشهد بذلك لقبها الرسمى المنقوش على عملتها وهو «بصرى الجديدة التراجانية». وحين أصبحت بصرى العاصمة بدأ بذلك تقويم جديد اسمه تقويم الولاية، وأصبحت بصرى قاعدة الفيلق الرومانى الثالث ووضعت الحاميات الرومانية على طول الطرق الرئيسية التى تكون ما يمسى بالحد الغربى، وكانت الطريق الجديدة التى بناها تراجان تصل بين سوريا والبحر الأحمر[1].

النشاط الاقتصادي:

من أهم أوجه النشاط الاقتصادى عند الانباط النشاط التجارى، وقد أوضحنا فيما سبق الجهود التى بذلها ملوك الانباط فى سبيل توسيع رقعة نشاطهم التجارى، ولقد كان النشاط التجارى من الأسباب التى أدت إلى بروز مظاهر كثيرة فى الحياة النبطية وفى مقدمتها العناية بتربية الجمال وتوفير المؤونة بها والتزويد بكل الأدوات التى تساعد على تجهيز البضائع وترتيبها وتصنيفها وبناء السفن والتدريب على ركوب البحر وتهيأت كل ما تطلبه الموانى من معدات، وتخصيص أماكن للتفريغ والتخزين، وأدى النشاط التجارى كذلك إلى حركة صناعية وتعدينية وزراعية ورعوية، فلم يكتف الانباط باستقبال السلع الخارجية وتسويقها.

ويصف استرابو بعض جوانب من ثروتهم الحيوانية وسلعهم المحلية والمستوردة فيقول:

«والضأن لديهم ذات صوف ابيض، وثيران كبيرة، ولكن بلادهم لا تنتج خيولاً، وتقوم الجمال بتلبية خدماتهم مقام الخيل.. وبعض الحاجيات مستوردة من بلاد أخرى. إلا أن حاجيات أخرى ليست كذلك وخاصة ما

---

(١) فيليب حتى: نفس المرجع السابق، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.



كان منها نتاجاً محلياً كالذهب والفضة ومعظم العطور، فأما النحاس والحديد والثياب الارجوانية والميعة والزعفران، والأدوات المزينة بالنقوش الفاخرة والرسوم والمصنوعات المقولبة فلا تصنع فى بلادهم».

ومن المواد الهامة التى كانوا يتاجرون بها القار، وكانوا يستخرجونه من البحر الميت، وللقار فوائد متعددة منها استخدامه فى تقوية المواد والأدوات، أو أن يتخذ كعنصر فى التغرية، كما استخدمه المصريون فى تلوين المعادن وكذلك فى التحنيط.

وكانت التجارة الخارجية هى عماد ثورة الانباط وكانت تعتمد على السلع القادمة من جنوب بلاد العرب، إذ كانت تلك السلع تباع بأثمان عالية وفى مقدمتها البخور الذى كان يمثل مادة ضرورية فى حياة الناس وعبادتهم، كما كان هو والمر يستعملان فى تركيب العقاقير، وكان المر وحده يستخدم فى صناعة مواد التجميل والعطور وفى شئون الدفن.

ولا ينازع هاتين السلعتين من السلع المحلية سوى البلسم والقار ولقد تحدثنا عن أهمية القار، أما البلسم فكان يستخدم فى الأمور الطبية، ولقد أشار اليه ديودور فقال: «فى أحد الوديان ينمو النبات المسمى بالبلسم وهو يعطى دخل كبير، إذ لا يوجد فى أى مكان آخر من العالم المعمور، واستعماله كعقار مهم جداً لدى الاطباء». وبجانبهما يرجح كذلك أن صناعة الخزف كانت تدخل فى نطاق التجارة الخارجية.

وقد مارس الانباط النشاط الصناعى ومنه سك العملة من البرونز والفضة، كما صنعوا بعض التماثيل الصغيرة والحلى والاسلحة وكذلك الاوانى المعدنية المستخدمة فى الادوات المنزلية، كما ظهرت صناعات أخرى مثل النسيج وصناعة الاحذية والادوات الموسيقية.

وقامت الزراعة بدور كبير فى نشاط الانباط الاقتصادى، وتدل السدود التى أقاموها والقنوات والمجارى التى شقوها وخزانات المياه التى شيدوها

على اهتمامهم بالنشاط الزراعى. ويرجح أنهم مارسوا زراعة شتى أنواع الحبوب وأشجار الفواكه وبخاصة العنب، وتشير رسومهم إلى أهمية العنب والرمان كعنصر زخرفى، وهكذا بلغ الانباط مستوى اقتصادياً رفيعاً بالتضافر بين أنواع النشاط الاقتصادى المتعددة من تجارة وصناعة وزراعة(١).

نظام الحكم:

أما عن تنظيم الدولة وكيفيتها عند النبط، فمن الواضح أن الملك كان بالطبع رئيس الدولة، وكان الحكم متوارثاً داخل الاسرة الملكية، وحسب المعلومات المتاحة لنا حالياً فإن الحكم الملكى لم يخرج عن أسرة واحدة. وهناك ما يستشف منه أن الاسرة المالكة كانت حسنة التماسك، ولم يكتف بذلك بل أصبغت على ملكها صفة الالوهية لتبعد عنها كل مدعى طامع، وأحاطت الحاكم من تلك الاسرة بروابط الاخوة، وفى ذلك بالإضافة إلى معنى المشاركة فى المشورة وبعض المسئولية رغبة فى اضفاء نوع من وحدة الحكم، فزوجة الملك أخت له وصورتها تظهر مع صورته على النقود، ووزير الملك أخ له وكليهما بهذه الاخوة يشاركه المسئولية أو جانباً منها، ولم تكن هذه أخوة بالدم ولكنها اشارة إلى عمق المشاركة.

ويبدو مرجحاً أن الوزير كان مسئولاً عن السفارات فى الخارج، واجراء المفاوضات وعقد الاتفاقيات وما شابه ذلك.

وكانت البلاد مقسمة إلى ولايات لكل ولاية حاكم يسمى فى النقوش سترتج، وتدرجت الوظائف الادارية فى الدولة سواء كانت سياسية أو دينية أو قضائية.

الحياة الاجتماعية:

كانت العائلة هى الوحدة المهمة فى المجتمع النبطى، وكانت شديدة

---

(١) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ١٤١.



التماسك وتقوم على روابط قوية بين افرادها والتزاوج فيما بينهم، ويرى الباحثون أن المرأة النبطية كانت تتمتع بمنزلة مرموقة فى المجتمع، وانها كانت تعامل باحترام وأنها كانت مصونة الحقوق، ويستدلون على ذلك بمكانة ربة الخصب السامية بين الارباب، وأنها كانت تتفوق على قرينها زيوس، وكذلك بوجود صورة الملكة الى جانب صورة الملك على العملة النبطية ومعها لقبها، كما كان للمرأة النبطية الحق فى الوراثة والتملك والتصرف فى أملاكها(١).

الفكر الديني:

كان لانتقال الانباط من حياة بدوية أو شبه بدوية إلى حياة مستقرة العامل الأول فى تطور فكرهم الدينى، فقد كان الاستقرار يعنى خلق أوضاع جديدة لابد أن تؤثر فى كثير من المفاهيم الدينية التى صاحبت حياة البدواة، إذ كان أول ما يعنيه الاستقرار ظهور الحاجة إلى وجود معبد بما يتضمنه من تطور معمارى، كما أثرت الحياة الزراعية المستقرة على تطور فكرهم الدينى كذلك.

ومن النواحى المؤثرة فى هذا التطور اتصال الانباط بالحضارات الاخرى المجاورة لهم أو التى كانت لهم بها صلات سياسية أو تجارية.

ومن المرجح أن الانباط قد حملوا معهم من مواطنهم الأولى أرباباً معينة هى اللات والعزى ومناة وذو الشرى وهذه المعبودات تتناسب وعيشة البداوة.

وكانت اللات وهى تمثل فى الارجح الشمس، وهى عندهم أما للأرباب، وقد أقيمت لها معابد كثيرة فى المواقع النبطية، ولكن يلاحظ أن اسمها قليل الورود فى نقوش البتراء حيث كانت ربة بصرى وصلخد حيث كان عبادها المخلصون من بنى روحو.

ولا تحتل العزى ومناة دوراً بارزاً بين الارباب النبطية وخاصة بالنسبة

(١) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٥٢.

لذى الشرى الرب الأكبر الذى يحمل طبيعة بعض الآلهة السامية فى دور مبكر فأصبح يناظر كل من بعل وهدد، ثم أصبح فيما بعد صنوا لزيوس، وكان فى البدء يعبد على شكل حجر مربع أو مستطيل، وكانت مكانته كبيرة فى البتراء، ونظراً لكونه إلهاً شمسياً فقد كانت أنصابه ورموزه موجهة نحو المشرق.

وكان تقديم القرابين من أهم الشعائر لدى الانباط مثلهم فى ذلك مثل الشعوب السامية، وكان ذلك بالضحايا الحيوانية التى يسفح دمها على مذبح أو على رأس النصب، وليس لدى الانباط ما يشير إلى وجود التضحية البشرية. وتجدر الإشارة أن القرابين المقدمة فى المعابد لم تكن تحرق كلها بل كان معظمها يأكله موظفى المعبد والعباد فى غرفة خاصة بالولائم المقدمة حيث يجتمع الكهان والحجاج إلى المعبد فى المواسم والاعياد الدينية حيث يجلسون فى هذه الغرب ويأكلون هذه الوجبة التى يطلق عليها «الوجبة التعبدية»، وكانت لها أهميتها فى العبادات لدى الانباط، لأنها تعنى المشاركة بين الإله وعباده.

وقد تم الكشف عن معابد نبطية أهمها معبد خربة التنور ومعبد وادى رم ومعبد ذيبان، وتشترك جميع المعابد فى عناصر رئيسية هى المذبح ووجود تماثيل للأرباب أو صور لهم، وأنها تتجه نحو الشرق.

وكان هناك جهاز دينى يقوم بالاشراف على العبادة فى المعابد وتنظيم الأعياد المرتبطة بالفصول واعداد الجنائز وطقوس الدفن، وكان على رأس هذا الجهاز الكاهن.

الفن النبطى:

تميز الفن المعمارى النبطى بقدرته على التأثر بالفنون المعمارية للحضارات المجاورة له، ففيه المظاهر المصرية والايرانية واليونانية، ولكن فى صورته العامة يأخذ الطابع النبطى، ويتجلى بشكل واضح فى القبور المحفورة فى الصخر وفى المعابد.



وفيما يتصل بالمقابر فكان الصانع يبدأ بنحتها فى أعلى الهضبة فيجعل سطحها أملس ثم ينحت الواجهة ثم يتم العمل فى الاجزاء الداخلية لها، وكانت الاعمدة فى الغالب عارية من الزخرفة فى تيجانها، وأن كانت فى بعض الاحيان تزين برؤوس بشرية، وكانت الرموز المصاحبة لهذه الاضرحة تكاد لا تتغير فهى الصقر والقناع الآدمى، أما داخل غرفة الدفن فتكاد تكون الزخرفة معدومة.

ويختلف الفن المعمارى فى المعابد عنه فى القبور من حيث أن المعابد لا تنحت أحياناً فى الصخر بل تبنى بالحجارة.

وفيما يتصل بالعمارة المدنية فمن أهمها المعبد الرئيسى فى البتراء وقد تمثلت فيه قدرة المعمارى النبطى على اتقان النحت والبناء بالحجر.

وبرع الفنان النبطى فى نحت التماثيل ومنها الأدمية الصغيرة المفردة والتماثيل الأدمية النصفية وتماثيل الحيوانات كالجمال والقرود وغيرها.

وبالإضافة إلى صناعة التماثيل فقد وجدت العديد من الرسوم سواء كانت رسوم جدارية أو رسوم على الخزف.



الفصل الثالث عشر
تدمر



تدمـــــــر

تقع مدينة تدمر على مبعدة ١٠٠ كيلو متراً من حمص، ١٥٠ كيلو متراً إلى الشمال الشرقى من دمشق، فى منتصف المسافة تقريباً بين دمشق والفرات، ومن ثم فقد كانت موقعاً هاماً على الطريق التجارى بين العراق والشام، بل كانت نقطة التقاء التجارة القادمة من أسواق العراق، وما يتصل بها من أسواق فى ايران والهند والخليج والعربية الشرقية، وبين تلك التى على البحر المتوسط، وبخاصة فى الشام ومصر، فضلاً عن اتصالها بالعربية الغربية وبأسواقها الغنية بأموال أفريقية، والعربية الجنوبية والهند. وهكذا أصبحت (تدمر) ملتقى جميع القوافل، وبخاصة فيما بين القرن الأول قبل الميلاد، وعام ٢٧٣م، ومن ثم فقد وجد فى نقوشها عبارة (زعيم القافلة) و (زعيم السوق) باعتبار أن المشار إليه من زعماء المواطنين(١).

والاسم اليونانى للمدينة هو (بالميرا Palmyra) وهو مشتق من لفظة Palma اللاتينية ومعناها (نخل)، ويرى بعض الباحثين أن الاسكندر الأكبر لما تغلب عليها أطلق عليها Palmyra أى مدينة النخل، وذلك لما يكتنفها من غابات النخل العظيمة، فعرفت عند اليونان واللاتين منذ ذلك الحين بهذا الاسم. بينما ذهب فريق آخر إلى أن Palmyra هى ترجمة لكلمة (تمار) (تامار) (تمر) Tamar العبرانية ومعناها (نخلة)، وهى فى الأصل اسم موضع فى الجنوب الشرقى من يهوذا ورد ذكره فى (سفر حزقيال). ويرى علماء التوراة أنه الموضع الذى بناه سليمان والمذكور فى (أخبار الأيام الأول)، ويرى البعض أن الرأى السابق خاطئاً، لأن اسم المدينة يرجع ظهوره للمرة الأولى إلى أيام الملك الآشورى (تجلات بلاسر الأول (١١١٦ – ١٠٩٠

---

(1) Cooke, G. A., Palmyra, in Encyclopaedia Biblica, 17 (1964), p. ٢٧٤، ٢٧٩,

ق.م) أى قبل مولد سليمان نفسه، وبفترة تسبق مادون فى التوراة بشأنها، بأكثر من سبعة قرون. وربما تكون الشهرة التى اكتسبتها مدينة تدمر فى أيام كتبة أسفار (أخبار الأيام) هى التى حملتهم على اضافتها إلى أعمال سليمان كدليل على شهرته ومدى بلوغ ملكه فى أيامه.

وذهب المؤرخ اليهودى (يوسفوس فلافيوس) إلى أن النبى سليمان قد شيد مدينة تدمر. ويعد المؤرخ (بلينوس) أول كاتب كلاسيكى تعرض لمدينة تدمر، فذكر أنها مدينة شهيرة ولها موقع ممتاز، وأرضها خصبة وبها ينابيع وعيون، وقد عزلتها الطبيعة عن العالم ببادية واسعة الأطراف(١).

وأهم المصادر التى يعتمد عليها المؤرخ فى دراسته تاريخ هذه المدينة مجموعات الكتابات التدمرية التى درسها المستشرقون وترجموها إلى لغاتهم، وهى الارامية واليونانية ثم اللاتينية والعبرانية، ونشرت فى كتب خاصة، كذلك هناك مؤلفات المؤرخين اليونان والرومان ومن بينهم بلينيوس، ثم هناك كتابات أخرى ذات قيمة ثانوية ذكرت تدمر عرضاً لوجود مناسبة دعت إلى ذلك مثل سجلات المجامع الكنيسية والتلمود.

وأهل تدمر كانوا عرباً - شأنهم فى ذلك شزن الانباط فى البتراء - بدليل وجود بعض المصطلحات والكلمات العربية الأصيلة فى كتاباتهم. كما أن أسماء الأصنام عنده م عربية، والأمر كذلك بالنسبة إلى أسماء الأعلام، ومن ثم فقد رأى بعض العلماء انهم من القبائل العربية التى أخذت تستولى على المناطق الخصبة فى شرق الأردن، عقب انهيار الدولة البابلية الحديثة، وسقوط بابل تحت السيادة الفارسية فى عام ٥٣٩ ق.م، ثم أخذت تستعمل الارامية - وهى لغة الكتابة والثقافة فى غرب الفرات وقتذاك - لغة لها. أما الثقافة التدمرية، فكانت مزيجاً من الثقافات العربية والارامية واليونانية

---

(١) أنظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٥٣٤ - ٥٣٥، حصن ظاظا: الساميين ولغاتهم، الإسكندرية، ١٩٧١، ص ١١٥.





واللاتينية، ذلك لأن تدمر قد نمت فى ظل حضارة الاراميين واتخذت لغتهم، فضلاً عن المبادئ الأساسية فى تفكيرهم الثقافى والدينى، هذا فى الوقت الذى أخذت فيه الكثير عن اليونان والرومان(١).

وكان أهل تدمر خليطاً من تجار ومزارعين، أما أطرافها فكانوا أعراباً ورعاة. وكان فى تدمر جاليات يونانية ورومانية، أقامت فيها وفضلت السكنى بها، كما كانت هناك جاليات يهودية نزحت إليها ربما قبل سقوط القدس فى أيدى الرومان، ثم عمل هؤلاء اليهود بالتجارة وربما نشطوا فى تهويد بعض السكان.

هذا وقد بدأت تدمر فى الازدهار والقوة منذ النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد، وذلك بسبب الأهمية التجارية والدبلوماسية لموقعها بين امبراطوريتى الفرس والروم المتنافستين، وقد حاول «مارك انطونيو» عام ٤١ ق.م الاستيلاء على خزائن المدينة ففشل، وأن أصابها منه ضرر كبير، غير أن مدينة مهمة كتدمر لها ثروة ومال وليس لها جيش قوى ضخم ولا مجال لتكوين هذا الجيش فيها، لا يمكن أن تبقى فى مأمن ومنجاة من مطامع الطامعين ولو كانت فى بقعة منعزلة وفى بادية بعيدة. ومن ثم فقد طمع فيها أهل العراق، وطمع فيها الفرس، وطمع فيها اليونان والرومان والبيزنطيون. وكان أول طامع فيها وصل خبره إلينا من فاتحين الأقوياء هو الملك (تجلات بلاسر الأول) تلاه جملة غزاة ورثوا الحكم والملك فى الشرق الأدنى. وقد صارت تدمر فى جملة الأراضى التى أخضعها الاسكندر الأكبر لحكمه، ولما انقسمت دولته بعد وفاته صارت تدمر من نصيب السلوقيين على ما يظهر. وقد حاولت تدمر أن تقف موقف الحياد بين الفرس والروم، وتمكنت من ذلك أمداً، إذ كان من مصلحة الدولتين المتنافستين وجود محل منعزل محايد، لكى يتمكن تجار الدولتين من الاتجار و التسوق فيه.

---

(١) سبتينو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، ترجمه وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٠٣.

وقد قام أحد القادة السلوقيين ببناء حصن ليضم إليه الجنود المقدونيين في مدينة (تدمر)، وكان ذلك في عام ٢٨٠ ق.م، ولعل هذا الحصن هو واحد من سلسلة حصون أقامها السلوقيون في المواضع الهامة ذات المكانة الخطيرة من الوجهة السيادة والعسكرية والتجارية لحماية مصالحهم فيها. هذا وقد اعترفت تدمر بنوع من السياسة عليها للرومان، منذ أوائل العصور المسيحية، ودليلنا على ذلك المراسم الامبراطورية التي ترجع إلى عهد (تيبيروس) ١٤ - ٣٧م، التي تتعلق بالرسوم الجمركية، وقد عثر في تدمر على قوائم ترجع إلى عام ١٧م وتبين بعض الرسوم على البضائع وأثمانها باليونانية والتدمرية. هذا ويبدو أن تدمر قد أصبحت على أيام «فسباسيان» تحت الاشراف الروماني، وإن كان هذا لا يعني الخضوع لروما، أو أن الاشراف على الشئون المدنية بالمدينة كان بأيدي الرومان، وانما كان هناك اشراف روماني عام على المدينة، بدليل أن الروم قد سمحوا للمدينة بحق الاحتفاظ بحامياتها في خارج تدمر.

هذا وقد قام الامبراطور (هدريانوس) (١١٧ - ١٣٨م)[1] بزيارة تدمر، وبذل عناية كبيرة بها، حتى قيل فيه أنه مؤسس المدينة الثاني، فاعتنى بها عناية خاصة بحماية الطرق البرية، التي تصلها بنهر (الفرات) الذي كان شرياناً مهماً من شرايين التجارة العالمية في ذلك العهد، وسعى إلى تحسين صلاته بالفرس والمحافظة على الأمن في البادية، لتتمكن القوافل من المرور منها بأمن وسلام.

وهناك من الآراء ما يذهب إلى أن تدمر قد منحت درجة مستعمرة رومانية عليا، فاكتسبت بذلك حق الامتلاك التام والاعفاء من الخراج، والحرية الكاملة في إدارة سياسة المدينة. وأن هذه المنحة كأنه في عهد الامبراطور هدريانوس، بينما يرى آخرون أنها كانت في عهد (سبتمتوس

(١) فيليب حتى: المرجع السابق، ص ٤٣٥.



سيفيروس) (١٩٣ - ٢١١م). وقد أفادت تدمر من سياسة هدريانوس التى كانت تميل إلى السلم وتجلب الحرب، فوسعت تجارتها وزادت فى عدد قوافلها، وحصلت على ثروة طائلة، وتعد الفترة من عام ١٣٠ وحتى ٢٧٠م هى أزهى سنوات المدينة، فإلى هذه الأيام ترجع معظم النصب والآثار العظيمة التى مازالت آثارها قائمة حتى ذلك اليوم. وقد تأثرت تدمر بأصول اليونان والرومان فى إدارة الحكم، فكان للمدينة مجلس شيوخ له سلطة سن القوانين والتشريع، وله رئيس وكاتب وأعضاء، ويشرف على السلطة التنفيذية شيخان وديوان يتألف من عشرة حكام، أما السلطة القضائية فينظر فيها بعض الوكلاء وغيرهم من العمال.

اسرة اذينـــة.

كان لتجدد الحروب بين الفرس والروم بعد تأسيس دولة الساسانيين فى فارس عام ٢٢٦م أثره فى ارتفاع شأن أسرة عريقة فى تدمر وزعيمها الذى يدعى أذينة، فقد استفادت هذه الأسرة من هذه الحروب وتمكنت من الحصول على مركز عال لدى الرومان، وزعيم هذه الأسرة هو (أذينة) وجده الكبير كان يدعى (ناصر) (نصرو) والد «وهب اللات» (وهبلات) وأن هذا الأخير انما وهو والد «خيران» أو «أذينة». وقد تولى رجال هذه الأسرة رئاسة تدمر وزعامتها، واستطاعت بفضل تأييدها للرومان وتقربها إليهم أن تكتسب ود القياصرة وعطفهم عليها والانعام على أفرادها بالألقاب والأوسمة وبالمال فى بعض الأحيان، وبالقوة والمعونة فى أحيان أخرى. ولم يتعرض الرومان لحكم أفرادها بل تركوهم يديرون شئونها وفق السياسة الرومانية(١).

ويعد (نصور) أقدم اسم وصل إلينا من أسماء هذه الأسرة التى حكمت تدمر، وإن كنا لا نعرف عنه شيئاً ما. أما (أذينة) فقد ورد اسمه فى كتابة يرجع الباحثون زمان كتابتها إلى حوالى سنة ٢٣٥م، وقد لقب فيها بلقب

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٥٤١ - ٥٤٢.

(سقلطيق)، وكان يحمل لقب عضو فى مجلس الشيوخ الرومانى، ثم لقب بلقب ملك فى حوالى عام ٢٥٠م وجمع الناس عليه، فأدرك الرومان ما وراء هذه الدعوة من خطر على مصالحهم، فأوعز القيصر إلى قائده «روفينوس» باغتياله، فقتل وتخلص الرومان منه.

وتولى بعده حكم تدمر ولده «خيران» وفى عهده أخذت تدمر دورها فى القضايا الدولية، وما أن قامت الدولة الساسانية فى عام ٢٢٦م تحت زعامة «أردشير بن بابك بن ساسان» (٢٢٦ – ٢٤١م) حتى بدأ الشرق يضطرب بالصراع بين الروم والفرس. وكان على التدمريين أن يختاروا الانضمام إلى احدى القوتين الكبيرتين، فآثروا الانضمام إلى الروم.

وتولى بعد (خيران) هذا، الملك أذينة، وكان له ثأر عند الرومان منذ أن قتل قائدهم «روفينوس» أباه (أذينة الأول) وعدم موافقة الامبراطور فاليران على أن يأخذ بثأر أبيه من (روفينوس)، ومن ثم فإنه ما أن علم بهزيمة الروم فى عام ٢٦٠ على أيدى الساسانيين، حتى أسرع بالاتصال بالفرس، مقدماً لهم الهدايا، وعارضاً عليهم صداقته، إلا أن الامبراطور الفارسى، الذى كان يحسن فى ذلك الوقت أنه ملك الشرق والغرب جميعاً، احتقر العرض التدمرى، وأمر بالقاء الهدايا فى النهر، وتوعد (أذينة) بسوء المصير جزاء وفاقاً على جرأته فى مخاطبة ملك الملوك، وهو لا يعدو أن يكون شيخاً لمدينة صغيرة[1].

وعندما علم (أذينة) بموقف الملك الفارسى منه، قرر الأخذ بثأره من هذا الملك المتغطرس، فجمع القبائل بظاهر تدمر جعلها تحت أمرة ابنه (هروديس)، وضم إليها فرسان تدمر بقيادة (ذبدا) كبير قواده، والقواسة ورماة السهام تحت قيادة «زباى»، وحشد معهم بعض الكتائب الرومانية،

---

(١) أرثر كريستنس: ايران فى عهد الساسانيين، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢١٠.

وسار على رأس هذا الجيش قاصداً المدائن للإنتقام من الملك الفارسى ولانقاذ (فالريان) الامبراطور الرومانى الذى كان قد وقع فى الأسر على أثر الهزيمة المخجلة التى لحقت بالروم على أيدى الفرس. وفى أثناء زحف أذينة على المدائن وصلته أنباء تغلب القائد الرومانى (كاليستوس) على الفرس وتشتت شملهم وهربهم، فغير اتجاهه وأسرع إليهم لملاقاتهم، وقد أدركهم قبل تمكنهم من عبور نهر الفرات، فالتحم بهم وتغلب عليهم، وولى (سابور) مع فلول جيشه مذعوراً تاركاً أمواله وحرمه غنيمة فى أيدى التدمريين.

وكتب (أذينة) بعد ذلك إلى الامبراطور الرومانى يخبره بهزيمة الفرس وباخلاصه للامبراطورية، فأنعم عليه القيصر الرومى بدرجة قائد عام على جميع عساكر الشرق. وتمكن (أذينة) بعد ذلك من فتح نصيبين وحران واستقبل هو وجنوده استقبالاً عظيماً، ثم سار هو وجنوده إلى طيسفون عام ٢٦٤م، فخاف (سابور) وأمر بجمع كل ما عنده من قوا ت للدفاع عن عاصمته، وأحكم (أذينة) الحصار حولها، وكاد الامبراطور الفارسى أن يستسلم، لولا أن المؤامرات الرومية قد لعبت دوراً خطيراً فى افساد نجاح أذينة. ذلك أن القائد الرومانى «مكريانوس» – الذى كان سبباً فى هزيمة الروم ووقوع فالريان فى الأسر – قد أعلن الثورة على «جاليدو» ونصب نفسه امبراطوراً على القسم الشرقى من الامبراطورية الرومانية (آسيا الصغرى والشام ومصر)، ومن ثم فقد اضطر (أذينة) إلى رفع الحصار عن الفرس، وأن يعود لاخماد هذه الفتنة الجديدة، إلا أنه ما أن بدأ يعد العدة لمواجهة «مكريانوس» حتى علم بقتله، ثم اتجه إلى حمص للقضاء على ولده «كيائوس»، وبعد أن شدد الحصار على المدينة، قتل «كاليستوس» سيده (كيائوس)، ورمى برأسه من فوق السور تحت قدمى (أذينة) وفتح الأبواب والتمس الأمان منه. وبذلك انتهت ثورة القائد «مكريانوس»، غير أن «كاليستوس) سرعان ما عاد إلى الثورة من جديد، ومن ثم فقد أمر (أذينة) بعضاً من رجاله باغتيال (كاليستوس)، وعاد الهدوء إلى هذه المنطقة الهامة

من الامبراطورية بفضل جهود (أذينة)، ومن ثم فقد أغدق عليه القيصر الرومى بلقب «امبراطور على جميع أنحاء الشرق»، أى على الشام والجزيرة وآسيا الصغرى عدا أجزاء صغيرة منها، وضربت نقود باسمه صور عليها (أذينة) ووراءه بعض أسرى الفرس، وأصبح تحت امرته جميع القوات الرومانية المعسكرة فى الشرق. اختار (أذينة) لنفسه لقباً آخر حبيباً إلى نفوذ الشرقيين هو لقب (ملك الملوك)[1].

وقام (أذينة) باصلاحات أثبتت أنه لم يكن قائداً قديراً فقط، بل كان إلى جانب ذلك رجل إدارة وسياسة وتسامح أيضاً، فمنع تعصب الوثنيين على النصارى واضطهادهم لهم، ومنح كل طائفة حريتها فى ممارسة شعائرها الدينية، وأعطى النصارى الحق فى بناء الكنائس، وتعقب اللصوص وقطاع الطرق من الجنود الهاربين الذين قاموا بالاعتداء على الآمنين ومهاجمة القوافل والمدن والقرى.

وفى عام ٢٦٥م، اتجه (أذينة) إلى محاربة الفرس من جديد، فاتجه إلى (طيسفون) وضرب الحصار عليها، واضطر (سابور) إلى أن يظهر استعداده لعقد محالفة مع (أذينة)، إلا أن الأخير طلب فك أسر «فاليران»، وهو شرط فى نظر الفرس جد عظيم، ومن ثم فقد أوقفت المفاوضات بين الطرفين[2] ولكن لسوء حظ (أذينة) تغير الموقف لمصلحة الفرس، إذ عبر «القوط» البحر الأسود، منتهزين فرصة غياب أذينة وابتعاده عن آسيا الصغرى وبلاد الشام ونزلوا بميناء هرقلية، واتجهوا نحو «قبادوقيا»، ومن ثم فإن (أذينة) اضطر إلى رفع الحصار عن مدينة الفرس، والعودة لقتال الغزاة الجدد، إلا أن القوط سرعان ما علموا بعودة (أذينة)، فعادوا إلى ميناء هرقلية،

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٥٤٣ – ٥٤٥. جواد على: المرجع السابق، ص ٩٦ – ٩٧.

(٢) جواد على: نفس المرجع السابق، ص ٩٨.

ثم أبحروا منها عائدين إلى بلادهم. فقرر (أذينة) الرجوع إلى العراق لفتح (طيسفون) وبينما كان فى حمص لاراحة جنوده، انتهز (معنى) ابن أخيه (خيران) هذه الفرصة، فقتل هو وعصابته عمه (أذينة) وابن عمه (هيرودس) لاغتصاب عمه منه ملكه الذى ورثه عن أبيه، ونادى بنفسه ملكاً على المملكة التى كونها (أذينة) ولكنه ما كاد يتربع على العرش حتى انتقمت منه سيوف حمص عام (٢٦٦ – ٢٦٧م)(١).

انتقل الملك بعد مقتل (أذينة) و (معن) إلى (وهبلت) أو (وهب اللات) ابن (أذينة) من زوجته (الزباء) ويعرف فى اليونانية بـ (تيئودورس)، وكان قاصراً، لذلك تولت الوصاية عليه أمه (الزباء) فعلمته اللاتينية والفروسية وهيأته ليكون ملكاً كقياصرة الرومان أو أكاسرة الفرس، ومنذ أن تولت الملك بدأت تعمل على تكوين دولة عربية قوية تحت زعامتها، وبخاصة أنها أدركت بفطنتها السياسة أن أعداء تدمر، انما هم الرومان، والذين لا يفكرون إلا فى مصلحة روما فحسب. ومن ثم فقد بدأت تتقرب إلى العناصر العربية المستوطنة فى المدن، فضلاً عن الأعراب الذين كانت ترى أنهم عمادها فى القتال وسندها فى الحروب.

وكان بداية النزاع بين الزباء والرومان، يوم أرسل «جاليدو» بجيش لاحتلال تدمر والقضاء على الزباء قبل أن يستفحل خطرها، متظاهراً بأنه يريد محاربة الفرس. إلا أن الملكة العربية سرعان ما اكتشفت السر، ومن ثم فقد دارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس، كتب النصر فيها للزباء، وحاقت الهزيمة بالروم(٢)، وفى نفس الوقت، خافت الملكة أن يستغل الفرس الفرصة فيوجهوا إليها ضربة قد تكون غير مستعدة لها، ومن ثم فقد أنشأت حصناً على الفرات، دعته (زنوبيا) نسبة إليها.

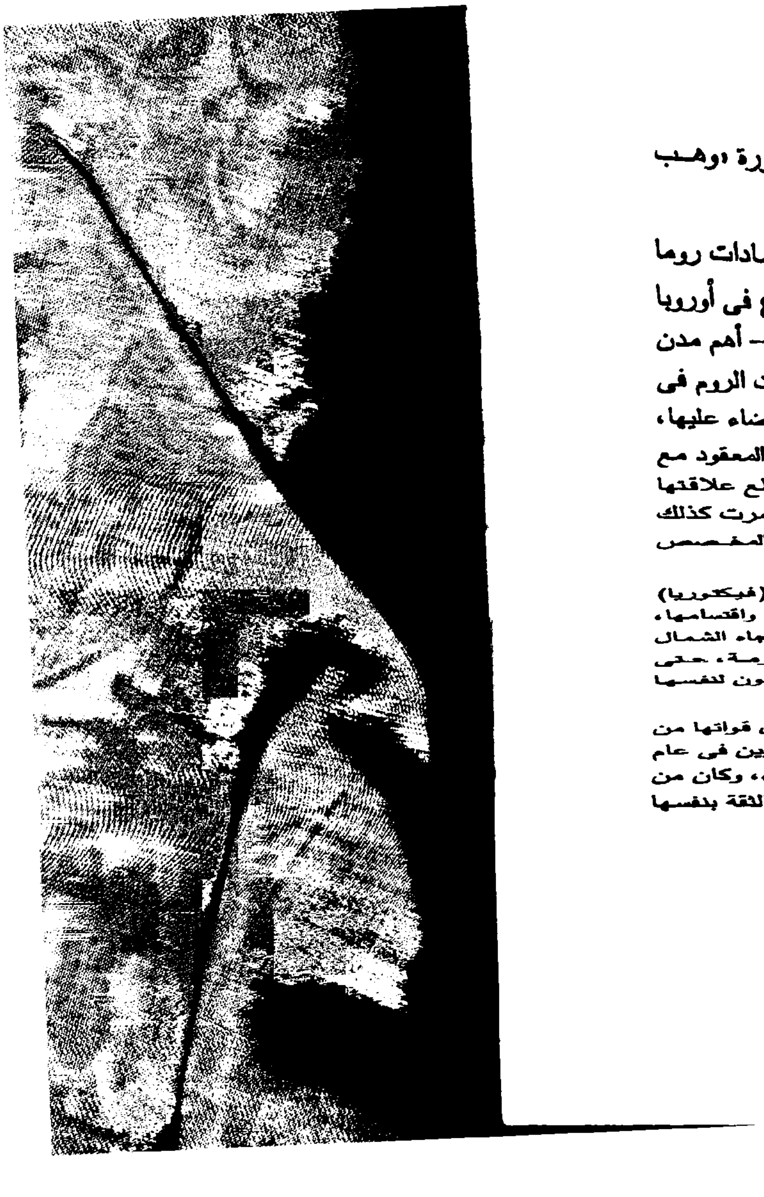
---

(١) فيليب حتى، المرجع السابق، ص ٤٣٨.

(2) Gibbon, E., The Decline and Fall of the Roman Empire, London, 1950, p.-263.

ووجهت (الزباء) نظرها بعد ذلك نحو مصر، ووضعت الخطط للاستيلاء عليها، بعد أن مهدت لنفسها الدعوى فيها باعلانها أنها مصرية، وأنها من نسل الملكة (كليوباترا)، فلها اذن فيها ما يسمح لها بالتدخل في شئونها. وأخذت تترقب الفرص وتتحين الأسباب، فلما قتل القيصر (غاليانس) عام ٢٦٨م، وانتقل الحكم إلى (اوريليوس فلوديوس) ٢٦٨ - ٢٧٠م، وفى نفس الوقت كان الألمان والقوط قد بدأوا يهاجمون القسم الغربى من الامبراطورية الرومانية، مما دفع (بروبوس) الحاكم الرومانى فى مصر، إلى أن يخرج بأسطول الإسكندرية لمطاردة القوط، وهنا بدأ الزعماء المصريون وعلى رأسهم تيماجنيس وفرموس - يحرضون الزباء على فتح مصر، بل ويقدمون لها العون المادى للمساعدة على هذا الفتح، وأمرت الملكة قائدها (زبدا) بالاتجاه إلى مصر، وكان على رأس جيش قوامه سبعون ألف رجل، وهناك دارت معركة رهيبة بين الفريقين انتهت بانتصار (زبدا) قائد تدمر الذى قرر العودة إلى تدمر تاركاً فى مصر حامية صغيرة من خمسة آلاف رجل بزعامة (تيما جينيس) الذى عين نائباً عن الملكة على مصر، لما سمع (بروبوس) بهجوم التدمريين وتغلبهم على الرومان، أسرع عائداً إلى مصر، فألف جيشاً من المصريين الموالين للرومان وزحف على الإسكندرية، وأخذ يتعقب التدمريين، وأعمل فيهم السيف، فلما سمعت الزباء بذلك، أمرت قائدها بالعودة ثانية إلى مصر، فجرت معارك بين الطرفين انتهت بانتصار التدمريين على (بروبوس) عند (بابلون) أى (الفسطاط) وكتب النصر لجيش الملكة فى مصر. وانتهى الأمر باتفاق بين الزباء والرومان على أن يكون حكم مصر مشتركاً بينهما، فوافقت روما على بقاء جيوش تدمر فى مصر، مع اعتراف تدمر بسياسة الرومان عليها.

وقد عثر على عملات تدمرية نقشت فى الإسكندرية فى عامى ٢٧٠،



٢٧١م وعلى وجهها صورة القيصر (اورليان) بجانب صورة «وهب اللات» (ابن الزباء) مما يدل على الحكم المزدوج بينهما(١).

ولم يدم هذا الاتفاق بين الرومان والملكة طويلاً، فقد ضغط سادات روما على الامبراطور بأن ينقذ الامبراطورية مما حاق بها من تصدع فى أوروبا والشرق، ولاسيما أن فتح الزباء لمصر والاستيلاء على الإسكندرية - أهم مدن الامبراطورية الرومانية قاطبة بعد روما - كان ضربة أصابت الروم فى الصميم. وعندما علمت الملكة بعزم الامبراطور الرومانى على القضاء عليها، قررت القيام بعمل سريع قبل مباغتة القيصر لها، فألغت الاتفاق المعقود مع الرومان ومحو صورة القيصر الرومانى من النقود لتبرهن على قطع علاقتها بالقيصر وعدم اعترافها بالسيادة الاسمية الرومانية على مصر، وأمرت كذلك بضرب صورة (وهب اللات) وحده مع اللقب الامبراطورى المخصص لقياصرة روما، وفى ذلك تحدى صريح واعلان العداء لروما.

وهناك رواية تذهب إلى أن (الزباء) قد تفاوضت مع الملكة (فيكتوريا) حاملة اقليم الغال، لتوحيد الخطط فى مهاجمة القيصرية الرومانية واقتسامها، وبدأت جيوشها تتوغل فى آسيا الصغرى، وأقامت الحاميات باتجاه الشمال الغربى حتى (أنقرة) وظلت جيوشها تتقدم دونما أدنى مقاومة، حتى (خلقدونية) مقابل بيزنطة. وهكذا استطاعت ملكة البادية أن تكون لنفسها ولابنها امبراطورية انتزعتها من الرومان(٢).

غير أن تنفيذ هذه الخطة، دعا الزباء إلى أن تسحب كثيراً من قواتها من مصر، وانتهز اورليان الفرصة، ونجح قائده فى أن يلحق بالتدمريين فى عام ٢٧١م، هزيمة كانت نتيجتها خروج مصر من امبراطورية الزباء، وكان من أخطر النتائج التى تمخضت عن فقد مصر، أن الزباء بدأت تفقد الثقة بنفسها

(١) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ١١٤ - ١١٥.

(٢) فيليب حتى: المرجع السابق، ص ٤٤٠.

وبجيشها، كما شجعت أهل (خلقدونية) بآسيا الصغرى على صد هجوم التدمريين، أملاً فى نجدة قريبة تأتى من القيصر الرومانى، وهذا ماحدث بالفعل، إذ سرعان ما قدمت الجيوش الرومانية بقيادة القيصر نفسه، فعبرت البسفور، وطردت التدمريين من (بثينية) ثم اتجهت إلى (غلاطية) فـ (قبادوقيا) حتى بلغت (أنقرة). وهكذا استطاع اورليان فى عام ٢٧٢م، أن يخضع الحاميات التدمرية فى آسيا الصغرى، وأن يتابع مسيرته حتى سورية(١).

وحاولت جيوش الزباء أن توقف تقدم جيوش الرومان، فى الوقت الذى أشاع فيه الرومان بين الناس بأن هناك تنبؤات الهية بسقوط تدمر، لاقناعهم أنه من العبث مقاومة القيصر وجنوده، وأنه من الخير ترك المقاومة والاستسلام. وقد أثرت هذه الشائعات فى عقول الكثيرين، فقضت على معنويات التدمريين الوثنيين الذين يدينون بهذه الخرافات ويؤمنون بها، ومع ذلك فقد استعدت الملكة لملاقاة (اورليانوس) عند مدينة (انطاكية) وكانت هى على رأس الجيش، أما القيادة فكانت لقائدها (زبدا)، وتحقق النصر للملكة (الزباء) وجيوشها فى بادئ الأمر وشتتوا شمل الجيش الرومانى إلا أن القيصر قد أمر جنوده بالرجوع إلى مسافات بعيدة، ليوهم التدمريين أنه قد فر، فإذا ساروا فى أثرهم وابتعدوا عن قواعدهم باغتهم بالهجوم، فلا يتمكن فرسان تدمر من هزيمتهم لثقل أسلحة الفرسان ومعداتهم وبطء خيلهم بالقياس إلى خيل الرومان، وهذا ما حدث، فقد خدع التدمريون وظنوا رجوعهم هزيمة، فتعقبوهم إلى مسافات بعيدة، وفجأة انقلبت الكتائب الرومانية على التدمريين، وأطبقوا عليهم وأعملوا فيهم السيوف، وانهزموا هزيمة منكرة إلى مدينة (انطاكية).

وقررت الملكة سرعة الارتحال عن انطاكية لأسباب عديدة، منها أن القوم هناك كانوا يميلون إلى جانب الرومان بعواطفهم، فهناك جاليات يونانية

---

(١) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ١١٧.



ذات نفوذ فى المدينة تفضل حكم الرومان على حكم الشرقيين، وهناك كره النصارى للزباء بسبب موقفها من الأسقف (بوليس السميساطى) الذى عزله مجمع انطاكية، ولكنها لم تنفذ قرار العزل، وهناك كراهية اليهود للتدمريين[1].

وتلى ذلك تعقب القيصر للملكة حتى وصل إلى حمص، وهناك تقابل الفريقان للمرة الثانية وكان النصر للتدمريين فى الجولة الأولى، ثم هزيمة لهم فى الجولة الثانية، مما اضطرها إلى ترك حمص والاحتماء بتدمر نفسها، ودخل (اورليان) حمص وتوجه بالشكر إلى اله الشمس، وتعهد بتوسيع معبده وتجميله.

وأدرك القيصر أن النصر الحقيقى لن يتم إلا بالقبض على (الزباء) وفتح تدمر، لذلك قرر الزحف إليها بأقصى سرعة قبل أن تتمكن الملكة من تحصين مدينتها ومن الاتصال بالفرس وبالقبائل العربية فى البادية فيصعب عندئذ الاستيلاء عليها، فسار مسرعاً حتى بلغ المدينة وألقى الحصار على تدمر، غير أن المدينة قاومت بشدة، وعرض أورليان على الزباء التسليم بشروط معتدلة، غير أن الملكة رفضت العرض بإباء وشمم مذكرة اياه بأنها تفضل مصير كيلوباترا على عار الاستسلام له، وأنها سوف تلقنه درساً قاسياً على جرأته فى الكتابة إليها، طالباً منها الاستسلام، عندما يحين الوقت، ويأتى إليها أعوانها من الفرس والعرب والأرمن.

ومن الجدير بالذكر أن الملكة لم تجد عوناً من كل هؤلاء، فقد كانوا هم أنفسهم فى شغل شاغل عنها، ومن ثم فقد قررت ترك عاصمتها للأقدار، والتسلل منها ليلاً للوصول بنفسها إلى الفرس لعلهم يرسلون لها نجدة تغير الموقف، ولما علم اورليان بنبأ هرب الملكة أرسل رجاله فى أثرها وأمرهم بالقبض عليها مهما كلفهم الأمر، ونجح هؤلاء الرجال فى القبض عليها وأعادوها إلى (اورليان) وهكذا لم يعد أمام تدمر سوى الاستسلام، ومن ثم فد

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٥٥٦.

فتحت أبوابها فى أوائل عام ٢٧٣م لقيصر روما، فدخلها اورليانوس دخول الفاتحين، وأقام حاكماً رومانياً عليها مع عدد من الرماة. وهكذا عادت تدمر إلى حظيرة الامبراطورية الرومانية، بعد أن شقت عصا الطاعة منذ أسر فالريان عام ٢٦٠م(١).

وأخذت الزباء إلى حمص، وهناك عقد مجلس لمحاكمة الملكة العربية العظيمة ورجال بلاطها، وتذهب بعض الروايات إلى أن الزباء قد تنصلت من مسئوليتها عما حدث، فضلاً عن اعترافها بأنها لم تكن إلا الاحتقار لأمثال جالينوس وكلوديوس، ولكنها تعترف لاورليانوس وحده بأنه ملك فاتح، إلا أن كثير من المؤرخين ينكرون هذه الرواية التى لا تتفق وما كانت عليه الزباء من سمو الأخلاق والشجاعة، وأياً ما كان نصيب هذه الرواية من الخطأ أو الصواب فإن اورليانوس قد أمر باعدام بعض رجال الزباء، وإن كان قد أبقى عليها هى وابنها (وهبلات) بغية الحاقهما بموكب النصر الذى سوف يقيمه عند دخوله روما، عاصمة الامبراطورية الرومانية(٢).

وفى أثناء رحيله إلى روما جاءته الأنباء بقيام ثورة عاتية فى تدمر، وأخرى فى مصر، وهنا لم يتردد أورليانوس فى أن يولى وجهه شطر سوريا، وقضى على ثورة التدمريين، وانهال عليهم بالتنكيل، ولم ينج من عقابه الرهيب أحداً من الشيوخ أو النساء أو الأطفال، وبذلك فقدت المدينة كل عظمتها القديمة، وأخذ اورليانوس حملة السهام والأقواس فى تدمر ليعملوا فى خدمة الجيش الرومانى فى أفريقية.

أما الملكة الزباء فقد انتهى الأمر بها بأن تقبع فى بيت خصص لها فى «تيبور» بايطاليا مع أولادها وأن تعتزل السياسة والشرق، أما تدمر فقد ذهب كل مجدها ولم تعد سوى قرية صغيرة وقلعة من قلاع الحدود فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م)، وفى حوالى القرن الخامس الميلادى كانت تدمر

---

(1) Gibbon, E., op. cit., p. 267.

(٢) جواد على: المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ١٢٤.



مقاطعة تابعة لولاية فينيقية، وعين فيها ثيودوسيوس (٤٠٨ - ٤٥٠م)، فرقة من الجنود لحراستها وحمايتها من هجمات رجال البادية. وفى العام الأول من حكم (جستنيان) ٥٢٧ - ٥٦٥م أصبحت تدمر على خط الحدود الخارجية للامبراطورية ومن ثم فقد أمر الامبراطور بتقوية حاميتها واصلاح ما تهدم من مبانيها، فضلاً عن تحصين قلاعها وأسوارها وتحسين موارد مياهها، ثم اتخاذها مقراً لحاكم ولاية فينيقية، ومع ذلك، فإن تدمر بدأت تفقد أهميتها شيئاً فشيئاً، ورغم الإشارة إليها كمركز أسقفى فى الصحراء، فإن الصحراء قد تغلبت عليها يوم فقد سكانها السيطرة على هذه الصحراء، وظلت كذلك حتى فتحها (خالد بن الوليد) صلحاً فى عام ٦٣٤م، على أيام الخليفة أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - غير أنها لم ولن تعد كما كانت أيام الزباء.

وأخيراً فإنه يوجد فى تدمر فى الزمن الحاضر، ثروة تاريخية مطمورة تحت الأنقاض ستفيدنا ولا شك فائدة كبيرة فى تدوين تاريخ المدينة وتاريخ صلاتها بالخارج، ومن المواضع العديدة التى ذكرها (بطليموس) فى مقاطعة تدمر (بالميرا)، وهى تدمر العاصمة، ثم (الرصافة) وهى مدينة قديمة ورد خبرها فى النصوص المسمارية فى نص يعود إلى عام ٤٨٠ ق.م وقد اشتهرت بوجود ضريح القديس (سرجيوس) بها وهو مقدس عند الغساسنة(١).

(١) عن آثار تدمر، أنظر:
السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ١٩٠ - ١٩٢.



الفصل الرابع عشر

الغساسنة

الغساسنة

قامت على أطراف الصحراء فى القرنين الخامس والسادس الميلادى دولتان جديدتان، ازدهرت احداهما حول دمشق وعرفت بدولة الغساسنة، أما الأخرى فقد ازدهرت فى الحيرة بالقرب من ضفاف الفرات وعرفت بدولة اللخميين، وكانت هاتان الدولتان تابعتين لامبراطورية بيزنطة وفارس - وكانتا بمثابة مركزى حراسة لهما على حدود الصحراء. وقد عرف ملوك الغساسنة ببنى جفنة أيضاً، وقد نقلت كلمة «غسان» فى زعم الاخباريين من اسم ماء يقال له «غسان» ببلاد «عك» بزبيد وربيع، نزل عليه آل غسان، وأصلهم من الازد، بعد خروجهم من اليمن قبيل حادث سيل العرم أو بعده، فلما أقاموا عليه وشربوا منه، أخذوا أسمهم منه، فسموا «غسان»، وعرف نسلهم بالغساسنة، أما سبب تسميتهم بآل جفنة فلانتسابهم إلى جد أعلى يدعونه «جفنة بن عمرو فريقياء بن عامر» على رأى، أو إلى «جفنة» قبيلة من غسان من اليمن.

وتاريخ دولة الغساسنة هذه غامض لقلة المصادر، ولامتزاج الحقائق فيه بالاساطير، ولضياع معظم آثار بنى غسان، ومن ثم فلا تتفق المصادر العربية مع اليونانية الا فى القدر اليسير، بل أن المؤرخين العرب أنفسهم انما يختلفون فى عدد الملوك وسنى حكمهم واسمائهم، وربما يرجع ذلك الاختلاف إلى اختلاط أخبار آل غسان بالقبائل العربية التى سبقتهم إلى سوريا، واقتصار مؤرخى العرب على الناحية الأدبية من تاريخ الغساسنة واهمال تاريخهم السياسى، اضف إلى ذلك هذا التشابه فى الأسماء بين حارث ومنذر ونعمان، وإختلاط ذلك أيضاً بالتشابه والتقارب مع اسماء ملوك المناذرة(١).

ويزعم الاخباريون أن الذى قاد الغساسنة فى خروجهم من اليمن، هو

(١) محمد بيومى مهران، المرجع السابق، ص ٥٦٢ - ٥٦٣.

عمرو المعروف بـ «فريقيا» وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة، وقد نزح معه من اليمن قومه من الازد ، فنزل المدينة ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر، ومنهم الاوس والخزرج، ونزل مكة رهط حارثة بن عمرو بن عامر، وهم خزاعة، ونزل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام وهم الغساسنة، وقد استوطنوا أرض حوران حيث كان هناك قوم يعرفون «بالضجاعمة» من قبائل بنى سليح بن حلوان من قضاعة، قد استقروا هناك ورضخوا لحكم الرومان ودانوا بالنصرانية من قبل مجئ الغساسنة.

وقد استقر الغساسنة أيضاً فى نواحى الجنوب الشرقى من دمشق على مقربة من الطرف الشمالى لطريق النقل الهام الذى كان يربط بين «مأرب» فى الجنوب ودمشق فى الشمال(١). وما أن يمضى حين من الدهر على هجرة الغساسنة إلى الشام حتى تبدأ الخلافات بينهم وبين الضجاعمة، وقد بدأ هذا الخلاف عندما فرضت سليح (وهم من الضجاعمة) جباية سنوية قدرت بدينار على كل رجل، وكان من الطبيعى أن تؤدى جباية هذه الضريبة من غسان، الذين (كانوا لا يعرفون الجباية)، إلى صدام بينهم وبين عرب بنى سليح، ثم بينهم وبين الروم الذين فرضوا حمايتهم وسيادتهم على بنى سليح.

وتم اللقاء الأول بين الغساسنة - الذى قتلوا الجابى السليحى - وبين عساكر الروم الذين يظن أنهم كانوا من سليح، فى موضع عرفه العرب بوادى الكسوة، نظراً لسلبهم كسوة عسكر الروم الذين قتلوا فى المعركة وهكذا عرف الروم قوة بنى غسان، فصالحوهم (على أن تعطى غسان الذمة، والدخول والخروج من البلد والمرعى والنصرة ضد العدو، والمواصاة والعدل).

وهكذا ثبت الغساسنة أقدامهم فى أرض الشام إلى جانب السليحيين، وكان من الطبيعى أن ينتهى الأمر بانتزاعهم السيادة على كل البلاد من

---

(١) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين): التنبيه والاشراف ، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٥٨.



الضجاعمة رؤساء سليح، بعد عدد من الوقائع بين غسان وبين الروم وسليح «الذين كانت اجسامهم مع قيصر وقلوبهم مع غسان، منها : يوم بالعة الذى انهزمت فيه الروم، ومنها اللقاء الذى تم بمرج الظباء وهو يوم حليمة الذى وقفت فيه قبائل العرب، من سليح وكناية وجذام الى جانب الروم حتى وافقت غسان على الصلح نظير دفع الجزية. وكانت المطالبة بها هذه المرة بالقرب من باب دمشق الذى عرف لذلك السبب بـ (باب الجابية)، وهذا يعنى تقدم الغساسنة نحو قلب بلاد الشام، مما أدى الى الحرب من جديد. ووقفت سليح الى جانب الروم، بينما اتت المعونة الى الغسانيين من بنى عمومتهم فى يثرب، وانتهى الأمر بانتصار غسان حتى اضطر قيصر الى صلحهم على أن لغسان ملك الشام، وان لملكهم طعمة على الروم، وان ينصره فى الحرب.

والجدير بالذكر ان العاصمة السياسية للغساسنة يبدو أنها كانت فى البدء مخيما متنقلا، ثم استقرت بعد ذلك فى «الجابية» فى منطقة الجولان جنوب غربى دمشق، كما كانت فى بعض الوقت فى «جلق» فى جنوب حوران(١).

أما عن ملوك الغساسنة فتذكر رواية (وهب بن منبه) أن أول من ملك من الغساسنة هو (عمرو بن جفنة) الذى حقق الانتصارات التى سبق ذكرها على الروم، وربما حدث ذلك فى أواخر القرن الخامس الميلادى، أو قبل ذلك بقليل. ويعد (الحارث الاكبر / ٥٢٨ - ٥٦٩م) أول أمير نعرف من أمره شيئاً واضحاً يذكر من أمراء آل جفنة، وهو فى نظر (نولدكه) (ارتياس) الذى ذكره المؤرخ السريانى (ملالا) على أنه كان عاملا للروم(٢).

وهناك ما يشير الى نشوب حرب بين الحارث والمنذر الثالث أمير الحيرة، ربما بسبب العداوة التى انتقلت اليهم من العداوة التى كانت بين الفرس والروم، وربما لأن أمير الحيرة أدعى أن القبائل العربية النازلة فيما

(١) عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .
(٢) تيودور نولدكه : امراء غسان من آل جفنة ، ترجمة قسطنطين زريق وبندلى جوزى ، بيروت، ١٩٣٣، ص ٩

بين دمشق وتدمر، أنما تخضع لسلطانه، فنازعه الأمير الغساني هذا السلطان. وأيا ما كان السبب، فإن الرجلين اشتبكا في ابريل من عام ٥٢٨ في حرب كتب النصر فيها للحارث الغساني، ومن ثم فقد منحه (جستنيان) قيصر الروم، لقب ملك ـ وهو لقب لم يمنحه الروم لواحد من عمالهم في سورية من قبل ـ كما بسط سلطانه على قبائل عربية متعددة، بغية أن يجعل منه خصما قويا لأمير الحيرة.

وان كان (نولدكه) يشك في منح القيصر الرومي الحارث لقب ملك، ذلك لأن هذا اللقب كان خاصا بقياصرة الروم ولا يمنح لغيرهم، ويرجح ان يكون (جستنيان) قد منحه لقب (بطريق) ولقب (سيد القبيلة) (فيلارخوس).

ولقب البطريق من القاب الشرف الفخمة عند الروم ولصاحبه امتيازات ومنزلة في الدولة، ولذلك فلم يكن يمنح الا لعدد قليل من الخاصة(١). والجدير بالذكر ان نص (أبرهة) الذي ورد فيه ذكر اسم (الحارث بن جبلة) لم يورد لقب ملك مقترنا باسم الحارث، ويدل ذلك على أن (أبرهة) قد اتبع الاصول الدبلوماسية المقررة عند البيزنطيين، وان لقب ملك لم يكن لقبا رسميا للحارث وكان ذلك عام ٥٤٢م.

هذا وقد اشترك (الحارث بن جبلة) في المعركة التي نشبت بين الفرس والروم في ١٩ ابريل عام ٥٣١م، وانتهت بهزيمة الروم. وقد آثار تصرف الحارث في هذه الحرب شك الروم في اخلاصة لهم، والحذر منه، اذ ما كاد هذا الأمير يعبر نهر دجلة مع قائد الروم (بليزاريوس) حتى عاد فرجع الى مواضعه بعد أن سلك طريقا آخر غير الطريق الذي اتبعه معظم الجيش دون أن يقوم بعمل يذكر في هذه الحرب، مما جعل الروم يشكون في صداقته لهم، ويراقبون حركاته، خوفا من انقلابه عليهم(٢).

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ١٠ ـ ١٢ .

(٢) جرجي زيدان : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

وفى عام ٥٤٤م تجدد النزاع ثانية بين الحارث والمنذر أمير الحيرة، وينتهى القتال بهزيمة الأمير الغسانى، وأسر أحد أولاده، الذى قدمه المنذر قربانا للألهة العزى، وفى عام ٥٤٥م يسود السلام بين الفرس والروم، ولكن الأمر كان جد مختلف بالنسبة لحلفائها من المناذرة والغساسنة، اذ سرعان ما يتجدد القتال بينهما، وهناك، وعلى مقربة من «قنسرين» تنشب بين المنذر والحارث معركة رهيبة فى عام ٥٥٤م، انتهت بقتل المنذر نفسه، وكذلك ابن الحارث الذى يدعى «جبلة». ويرى (نولدكه)(١) أن هذه المعركة هى معركة يوم حليمة وذلك لأن حليمة بنت الحارث كانت تحرض الرجال على القتال، أو لأن اباها قد أعلن أنه سوف يزوجها لمن يقتل المنذر، أو لأنها كانت قد اقبلت على مائة من المحاربين تطيب اجسامهم وتلبسهم الاكفان والدرع، وهناك آراء أخرى تذهب الى أن (حليمة) هذا، كان اسم مكان وليس اسما لامرأة.

وعلى أى حال، فهناك ما يشير الى أن الحارث قد اعتنق النصرانية على المذهب (المونوفيزى) القائل بوجود طبيعة واحدة للمسيح، ومن ثم فقد سعى لدى الامبراطورة «ثيودورة» زوج الامبراطور جستنيان، لتعيين (يعقوب البرادعى) ورفيقه (ثيودورس) أسقفين للمقاطعات السورية العربية، فنجح فى مسعاه هذا فى عام (٥٤٢ ـ ٥٤٣م) وبذلك وطد هذا المذهب فى بلاده. وكان لجهود الحارث ومسعاه فى حماية هذا المذهب، فضل كبير فى انتشاره وبقائه بين السريان والعرب فى الشام.

وقد زار الحارث القسطنطينية فى عام (٥٦٣م) فاستقبل استقبالا حافلا وأثر تأثيراً عميقا فى نفوس أهل العاصمة وفى رجال القصر والحاشية. وتذهب بعض الروايات الى أن الغاية التى من أجلها ذهب الحارث الى القسطنطينية هى مفاوضة رجال الحكم فيمن سيخلفه على عرشه بعد وفاته من أولاده، وفى السياسة التى يجب سلوكها تجاه أمير الحيرة(٢). هذا وقد

---

(١) تيودور نولدكه : المرجع السابق، ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ص ٣٠٩.

وصلت دولة الغساسنة فى عهده ذروة اتساعها، فقد كانت تمتد من قرب البتراء الى الرصافة شمالى تدمر، وتشمل البلقاء والصفا وحران، واصبحت بصرى العاصمة الدينية فى المنطقة، فضلا عن شهرتها كمركز تجارى هام.

وجاء بعد الحارث ابنه المنذر (٥٦٩ ـ ٥٨١م) أو (٥٧٠ ـ ٥٨٢م) وقد عرف بـ Alamundaros عند اليونان والسريان، وقد استهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة قابوس، والظاهر ان عرب الحيرة كانوا هم البادئين بها، فانتصر عليهم فى يوم ٢٠ مايو ٥٧٠م فى معركة عين أباغ.

وحدث فى عهد هذا الأمير ان ساءت العلاقات بين الغساسنة وبين قيصر الروم الامبراطور جستنيان الثانى (٥٦٥ ـ ٥٧٨م)، وربما كان ذلك بسبب الخلافات المذهبية بين الفريقين، وتعصب المنذر الغسانى للمذهب المونوفيزى، بل أن هناك من يذهب الى أن المنذر قد عقد مجمعا كنسيا أعلن فيه هرطقة القائلين بالتثليث، وعلى رأسهم الامبراطور نفسه، وربما لأن سياسة المنذر كانت هى السبب فى استيلاء الفرس على (Rhomaye) وأحس المنذر بأن القيصر يدبر له مؤامرة، وأنه أمر عامله البطريق (مرقيانوس) بأن يحتال عليه لقتله، فتمرد على الروم، وغادر أرضهم الى البادية، فانتهز عرب الحيرة هذه الفرصة المؤاتية فأمعنوا فى غزو بلاد الشام، وايقاع الرعب فى نفوس سكان القرى المجاورة لهذه الحدود مما حمل الروم على مراسلة المنذر والتودد اليه لاسترضائه، حتى اذا ما تلطف الجو ارسلوا اليه البطريق (يوسطنيانوس) ليجتمع به فى مدينة الرصافة عند قبر القديس (سرجيوس) لاقناعه بترك موقفه والموافقة على العودة الى محله، وعند القبر المقدس عقد الصلح بينهما فى صيف عام ٥٧٨م، فعاد المنذر الى أرضه، ليقوم بالدفاع عن حدود الشام.

هذا وقد قام المنذر بزيارة القسطنطينية فى عام ٥٨٠م مصطحبا اثنين من أبنائه، وقد استقبل هناك بكل احترام وتبجيل وأنعم عليه الامبراطور

تيبيريوس الثانى (٥٧٨ - ٥٨٢م)، بلقب (Rex) وبالتاج وهو لقب كان له شأن كبير فى امبراطورية الروم، وقد أغدق القيصر عليه بالهدايا الثمينة النفيسة مما لم ينعم به أى ملك عربى من قبل، كما أنعم على ولديه بدرجات عكسرية. هذا وقد اطلق مؤرخو الروم على المنذر لقب «المنذر ملك العرب»(١).

وقد قام المنذر بتجديد بناء كنيسة الرصافة، كما بنى صهاريج لايصال الماء الى الرصافة مدينة القديس (سرجيوس) ذى المكانة العظيمة عند عرب الشام، كذلك فقد طلب المنذر وهو فى القسطنطينية من البيزنطيين مساعدته فى بناء قصر يكون أعظم قصر غسانى بنى حتى أيامه، وذلك بأن يرسلوا اليه أحسن المعماريين والبنائين الحاذقين، فلبى البيزنطيون طلبه فأمدوه بما يحتاج اليه من معماريين ومن مواد بناء. ومن أبنيته الخربة المعروفة اليوم بناء يعرف باسم البرج، وقد عثر على اسمه مدونا على حجارة من ذلك البناء.

على ان العلاقات بين المنذر والروم، سرعان ما بدأت تسوء من جديد، وربما كان السبب هذه المرة فشل المحاولة التى قام بها الروم لغزو الفرس، بسبب هدم الجسر المنصوب على الفرات، واتهام المنذر بذلك، وزاد الطين بلة ان المنذر اراد استرضاء الروم فأغار على الحيرة واحرقها بالنار، ثم عاد محملا بالغنائم الكثيرة، غير أن هذا النجاح الساحق الذى حققه المنذر على اللخميين لم يمح ريبة الروم فى ولائه لهم، وانما اعتبروه تحديا لهم، ورغبة منه فى الخروج على طاعتهم، ومن ثم فقد انتهزوا فرصة افتتاحه لكنيسة فى حوارين، وقبضوا عليه وارسلوه الى العاصمة البيزنطية، مع احدى نسائه وبعض بناته وأولاده، حيث بقى هناك الي أن تولى «موريس» (٥٨٢ - ٦٠٢م) العرش، فأمر بنفيه الى صقلية فى عام ٥٨٢م فضلا عن قطع المعونة السنوية عن آل جفنة(٢).

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ٢١٠ .

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٤٤٩.

أثار عمل الروم هذا ثائرة ابناء المنذر، فتركوا ديارهم، وتحصنوا بالبادية، وأخذوا يهاجمون منها حدود الروم ملحقين بها أذى شديدا، فاضطر القيصر على اثره أن يوعز الى القائد (ماكنوس) بتجهيز حملة من ابناء المنذر الحق بها أحد اخوة المنذر، وكان قد أعد ليتولى مقام أخيه، غير أنه توفى بعد أيام.

ولما كان من الصعب على الروم مهاجمة أبناء المنذر فى البادية، عمد القائد الى المكيدة، فأرسل الى النعمان كبير ابناء المنذر أنه يريد مقابلته للاتفاق معه على وضع شروط للصلح، وقد ظن الأمير أن القائد صادق فيما دعا اليه فذهب لمقابلته، فقبض عليه الروم، وارسلوه الى العاصمة حيث حجروا عليه فيها، وهكذا تصدع ملك الغساسنة، وانقسم امراؤهم شيعا وأحزابا تركت بعضها ديارها فهاجرت الى العراق وتشتت الباقون، ولم يبق لهم شأنا يذكر، ولم يشر الكتبة السريان أو البيزنطيون الى ملك الغساسنة بعد هذا الحادث.

وقد عقب هذا التصدع حدوث اضطراب فى الأمن وفوضى بين القبائل التى اخذت تتنافس فيما بينها للحصول على الرئاسة والسيادة، مما حمل البيزانطيين على التفكير فى اختيار رئيس قوى من سادات القبائل المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائل واعادة الأمن الى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة، ولكن دون جدود، حتى استطاع الفرس على أيام «كسرى أبرويز» (٥٩٠ ـ ٦٢٨م) غزو سوريا، فاستولوا على انطاكية ودمشق وبيت المقدس وخلقدونية، ثم فتحوا مصر فى عام ٦١٩م، وان كان فيما يبدو أن هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م) حين نجح فى استعادة سوريا عام ٦٢٩م، ربما استعمل الغساسنة مرة زخرى، بدليل أنهم قد حاربوا المسلمين مراراً فى جانب الروم، وان خالد بن الوليد قد أوقع بهم فى «مرج السفر» جنوب دمشق عام ٦٣٤م.

وأيا ما كان الأمر، فأن الروايات العربية تنظر الى «جبلة بن الايهم» على أنه آخر الغساسنة وأنه قد حارب المسلمين فى جانب الروم فى موقعة اليرموك عام ٦٣٦م(١).

---

(١) جواد على : المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ٤٢٧ .



الفصل الخامس عشر

مملكة كندة

مملكة كندة

كندة هى قبيلة قحطانية تنسب الى ثور بن عفير بن عدى بن الحارث ابن مرة، وينتهى نسبه الى كهلان بن سبأ، وقد عرفت عند الاخباريين بـ (كندة الملوك)، لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بنى عدنان، ولأنهم ملكوا أولادهم على القبائل.

وكانوا يعتزون بنسبهم الى كندة، وكندة هى (كدت) وهى القبيلة التى ورد ذكرها فى نص أبرهة، وفى نصوص عديدة قبل هذا العهد، اذ ورد ذكرها فى احدى النصوص التى تنسب الى واحد من ملوك سبأ وذى ريدان، ويرجع الى النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد، وقد جاء فى هذا النص أنه فى عهد الملك «شعر اوتر» انضمت كندة والتى يحكمها «ربيعة» من آل ثور، والذى كان ملكا على قحطان أيضا، الى صفوف اعداء ملك سبأ وذى ريدان، وكانت كندة مستقلة وعلى رأسها ملك، فى أيام «الشرح يحصب» ملك سبأ، وكان ملكها اذ ذاك من المناهضين المعادين للملك «الشرح يحصب» واشترك فى الحلف الكبير الذى تألف ضد مملكة (سبأ وذى ريدان)، وقد منيت (كندة) بهزيمة على يد جيش سبأ ووقع ملكها فى الاسر وكان يدعى (مالك)، وفقدت كندة بعد هذا العهد استقلالها فى وقت لا نستطيع تحديده لعدم ورود شئ عنه فى النصوص، وصارت خاضعة لحكم دولة سبأ وذى ريدان(١).

وأول من ذكر اسم كندة من المؤلفين الكلاسيكيين هو (نونوسوس) وقد دعاها باسم (Kindynoi) أى كندة، وذكرا أنها وقبيلة (مادينوى) كانتا من اشهر القبائل العربية عددا ومكانة، يحكمها رجل واحد اسمه (قيس)، وتعتبر كتابات الاخباريين من أهم المصادر التى يعتمد عليها المؤرخ فى دراسة مملكة كندة، ويأتى فى مقدمة هؤلاء الاخباريين ابن الكلبى وله مؤلف خصصه لتاريخ كندة، سماه: (كتاب ملوك كندة)، وله مؤلفات أخرى لها علاقة بهذه القبيلة، وأبو عبيدة والاصمعى وغيرهم.

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ٣١٦ ـ ٣١٧ .



مملكـــة كنــــدة

كندة هى قبيلة قحطانية تنسب الى ثور بن عفير بن عدى بن الحارث ابن مرة، وينتهى نسبه الى كهلان بن سبأ، وقد عرفت عند الاخباريين بـ (كندة الملوك)، لأن الملك كـان لهم على بادية الحـجـاز من بنى عـدنان، ولأنهم ملكوا أولادهم على القبائل.

وكانوا يعتزون بنسبهم الى كندة، وكندة هى (كدت) وهى القبيلة التى ورد ذكرها فى نص أبرهة، وفى نصـوص عـديدة قبل هذا العـهـد، اذ ورد ذكرها فى احدى النصوص التى تنسب الى واحد من ملوك سبأ وذى ريدان، ويرجع الى النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد، وقد جاء فى هذا النص أنه فى عهد الملك «شعر اوتر» انضمت كندة والتى يحكمها «ربيعة» من آل ثور، والذى كان ملكا على قحطان أيضا، الى صفوف اعداء ملك سبأ وذى ريدان، وكانت كندة مستقلة وعلى رأسها ملك، فى أيام «الشرح يحصب» ملك سبأ، وكان ملكها اذ ذاك من المناهضين المعادين للملك «الشرح يحصب» واشترك فى الحلف الكبير الذى تألف ضد مملكة (سبأ وذى ريدان)، وقد منيت (كندة) بهزيمة على يد جيش سبأ ووقع ملكها فى الاسر وكان يدعى (مالك)، وفقدت كندة بعد هذا العهد استقلالها فى وقت لا نستطيع تحديده لعدم ورود شئ عنه فى النصوص، وصارت خاضعة لحكم دولة سبأ وذى ريدان(١).

وأول من ذكر اسم كندة من المؤلفين الكلاسيكيين هو (نونوسوس) وقد دعاها باسم (Kindynoi) أى كندة، وذكرا أنها وقبيلة (ماديئوى) كانتا من اشهر القبائل العربية عددا ومكانة، يحكمها رجل واحد اسمه (قيس)، وتعتبر كتابات الاخباريين من أهم المصادر التى يعتمد عليها المؤرخ فى دراسة مملكة كندة، ويأتى فى مقدمة هؤلاء الاخباريين ابن الكلبى وله مؤلف خصصه لتاريخ كندة، سماه: (كتاب ملوك كندة)، وله مؤلفات أخرى لها علاقة بهذه القبيلة، وأبو عبيدة والاصمعى وغيرهم.

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ٣١٦ـ ٣١٧ .

ويذكر الاخباريون أن مواطن كندة الاصلية كانت بجبال اليمن مما يلى حضرموت، وان جماعات من كندة قد غادرت مواطنها فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى، واتجهت شمالا حتى نزلت فى مكان دعى فيما بعد «غمر كندة» أو «غمر ذى كندة» - وهى أرض لبنى جنادة بن معد فى نجد، وتقع وراء «وجرة» على مسيرة يومين من مكة. على أن الاخباريين انما يختلفون فى أسباب هجرة الكنديين الى الشمال، فذهب فريق الى أن السبب انما كان حربا استحر أوارها بين حضرموت وكندة، ثم طال أمدها حتى كادت أن تقضى على الكنديين، ومن ثم فقد اضطروا الى النزوح الى الشمال، فرارا بأنفسهم من الفناء(١).

ويرى آخرون أن السبب انما كان لأن «حسان بن تبع» كان آخا لحجر آكل المرار من أمه، وأن حسان كان قد دوخ بلاد العرب وسار فى الحجاز (ربما حوالى عام ٤٨٠م)، وعندما اراد العودة الى اليمن ولى أخاه حجرا على معد بن عدنان كلها، فنجح فى ولايته، واحسن السيرة فى رعيته حتى لم يرضوا به وبآله بديلا، على أن (ابن خلدون) انما يذهب الى أن التبابعة انما كانوا يصاهرون «بنى معاديه بن عذرة» الذين كانوا يملكون فى «دمون»، وأنهم كانوا يولونهم على بنى معد بن عدنان فى الحجاز، وان أول من ولى منهم انما كان حجر آكل المرار وان الذى ولاه، انما هو تبع ابن كرب الذى كسا الكعبة، وهناك رواية رابعة تذهب الى أن سفهاء بكر قد غلبوا عقلاءها، وان القوى منهم قد أكل الضعيف، فنظر العقلاء فى أمرهم، ثم استقر رأيهم آخر الآمر، ان يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى، فنهاهم العرب، وعلموا أن هذا لا يتسقيم بأن يكون الملك منهم، لأنه يطيعه قومه ويخالفه آخرون، ومن ثم فقد ساروا الى بعض تبابعة اليمن، وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا منهم أن يملكوا عليهم ملكا، فكان ذلك الملك هو حجر آكل المرار.

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٦٠١ - ٦٠٢.

وعلى أى حال، فربما كانت هذه الروايات جميعا، انما تمثل مرحلتين من تاريخ كندة، الأولى تمثل الهجرة من اليمن الى نجد، والثانية تمثل مرحلة استقرار الكنديين فى مواطنهم الجديدة، وكيف كونوا لهم امارة فى نجد، ومن ثم فيمكن القول ان هذه المرحلة الثانية انما تمثل التاريخ الحقيقى لكندة.

ولعل الهدف من اقامة دولة كندة، ان التبابعة لجأوا الى ذلك كوسيلة للسيطرة على الطرق التجارية الشمالية التى كانت ترتادها قوافل اليمن التجارية، حتى يأمنوا اعتداء قبائل البدو الشمالية عليها، وبخاصة أن الدول الكبرى القائمة على تخوم الصحراء، انما كانت وقتذاك تحاول أن تؤلف القبائل لتحمى حدودها من غزواتها، وتمدها بالجند، وتسير معها فى الحروب متحالفة على اعدائها، فاذا كان ذلك صحيحا، فأن تولية حجر آكل المرار تكون سياسة يمنية حكيمة، فقد كانت عصبة حجر يمنية، وكان هو من أسرة تولت الملك فى بلادها الأولى، ثم ان هذه الاسرة كانت قد استقرت فى الشمال منذ فترة عرفت فيها اتجاه العصبيات وفهمت العقلية الشمالية، وهكذا يكون ملوك حمير قد حققوا من اقامة دولة كندة، ما حققه الروم من اقامة دولة الغساسنة، والفرس من اقامة دولة اللخميين، وتصبح كندة لتبابعة اليمن، ما كان اللخميون للفرس والغساسنة للروم(١).

ويرى بعض المؤرخين ان حجر بن عمرو (٤٨٠ - ٥٢٨م) يعد أول ملوك كندة، وربما كان ذلك بناء على ما رأوه تقليداً شرعياً بالولاية من قبل ملك العرب الأكبر، حسان بن تبع الحميرى، هذا الى جانب أن حجرا يمكن أن يعتبر أول شخصية تاريخية فى قائمة ملوك كندة يمكن الاطمئنان اليها. هذا وقد تمكن حجر بن عمرو ان ينتزع جانبا من الأرض التى كانت تحت سيطرة المناذرة، ثم نزل فى مكان يدعى «بطن عاقل» - جنوب وادى الرمة على الطريق بين مكة والبصرة. وهكذا تسرب النفوذ لاجنبى الى مكان

(١) سبتينو موسكاتى: المرجع السابق، ص ٣٥٦، عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، بيروت، ١٩٦٤، ص ٨٣.

جديد فى شبه الجزيرة العربية، وهو نفوذ رومى مناهض لنفوذ الفرس فى الحيرة ومغلف بسياسة يمنية ظاهرة.

وان كان هناك من يخالف هذا الاتجاه اعتمادا على أن الروايات العربية ذهبت الى أن الذى أقام حجرا ملكا على كندة، إنما هم الحميريون وليس الروم أو الاحباش، كما ان اليمن لم تكن وقتذاك تسير فى فلك النفوذ الرومى أو الحبشى، فضلا عن ان ملوك كندة انما عملوا بعد ذلك عند الفرس، وليس عند الروم أو الاحباش، وان تحالفوا مع الروم حينا من الدهر.

وكان للحجر آكل المرار وقائع مع الغسانيين، فيقال ان الحارث الغسانى أغار عليه واستولى على أمواله، ولكنه نجح فى استنقاذها منه، وتوفى حجر آكل المرار فى (بطن عاقل) فى وقت لا نستطيع تحديده على وجه اليقين، وان اتجه البعض الى تحديده بالعقد الاخير من القرن الخامس الميلادى(١).

وخلف (حجر آكل المرار) ولده المعروف بالمقصور (عمرو بن حجر)، ربما لأنه اقتصر على ملك ابيه، وربما لان (ربيعة) قد اضطرته الى ذلك، وأنه لم يحمل لقب (ملك) وانما اكتفى بلقب (سيد كندة)، وان اليمامة أنما كانت من نصيب اخيه معاوية، ويبدو أن «عمرا بن حجر» كان على علاقة طيبة بملوك اليمن، ومن ثم فقد تزوج بنتا لحسان ابن تبع اسعد الاكبر، كما كانت كذلك باللخميين، ولهذا فقد تزوج «الاسود ابن المنذر» ملك الحيرة من (أم الملك) ابنة عمرو المقصور، فولدت له (النعمان بن الاسود)(٢).

هذا وقد اختلفت الآراء حول علاقة (عمرو المقصور) بالغساسنة، فذهب البعض الى أنها كانت علاقة عدائية، وان عمرا كان فى احايين كثيرة يشن الغارة عليهم، بينما ذهب فريق آخر الى أن العلاقات كانت طيبة، وان عمرا قد تزوج من (هند الهنود) بنت (ظالم بن وهب)، وكانت اختها (ماريا) زوجه للحارث الغسانى الأكبر.

---

(١) جواد على: المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٢٥ .

(٢) محمد بيومى مهران: المرجع السابق ، ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨ .

هذا وقد قامت (ربيعة) بثورة على (عمرو المقصور) منتهزة فرصة الضعف في آل كندة على أيامه، وكان قد ظهر من بنى تغلب فى نفس الوقت رجل قوى هو (وائل بن ربيعة) تمكن من انتزاع جميع قبائل ربيعة التى كانت تحت سيطرة ال كندة، ثم التقى مع عمرو فى معركة على مقربة من جبل القنان، انتهت بقتل عمرو وتحرير قبائل ربيعة من سيطرة ال كندة الى حين(١).

وجاء بعد عمرو ولده الحارث، وقد اختلف المؤرخون حول تحديد فترة حكمه فذهب البعض الى أنها كانت من عام ٤٩٥ ـ ٥٢٨م، وذهب آخرون أنها كانت من عام ٤٩٥ ـ ٥٢٤م، وعلى أى حال فلقد كان الحارث أقوى ملوك كندة وأعظمهم شخصية، وعلى عهد الحارث وصلت كندة الى أوج ازدهارها، فقد نجح فى استعادة سلطانه على قبائل ربيعة فى نجد، وبنى أسد وبنى كنانة وبنى بكر.

وقد بدأ الحارث بغزو فلسطين عام ٤٩٧م، إلا أن الحاكم الرومانى قد الحق بجيشه هزيمة منكرة، ولكن حدث بعد ذلك أن بدأت قبائل البلغار والصقالبة تتغلغل فى تخوم الامبراطورية البيزنطية الشمالية، ثم سرعان ما تعود الحرب بين الروم والفرس من جديد عام ٥٠٢م، وهكذا رأى الامبراطور الرومانى أن يقلل من اعدائه، فعقد مع الحارث معاهدة تنص على أن يترك آل كندة مهاجمة الشام، وان يتعاونوا مع الروم على قتال الفرس والمناذرة.

أما فيما يتعلق بالفرس، فقد انتشرت الاضطرابات على أيام قباذ (٤٨٨ ـ ٥٣١م) وقد قام هذا الملك بدعوة (المنذر بن ماء السماء) الى المزدلية وهى مبادئ تدعو الى نوع من الاشتراكية فى الأموال والنساء، فأبى، وأسرها قباذ فى نفسه، وعندما عرض دعوته هذه على الحارث الكندى اسرع باجابته اليها، ومن ثم فقد عزل المنذر عن عرش الحيرة، وأقام مكانه الحارث

(١) عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٨٧ ـ ٨٨.

الكندى، وعندما استشعر الحارث الكندى ضعف الملك الفارسى، بدأ يخطط لنفوذ أوسع فى العراق على حساب الفرس، وهكذا أمر رجاله بأن يشنوا الغارة على السواد، ويعلم قباذ بالأمر، فيكون جوابه على ذلك أعطاء الحارث الكندى بعض المناطق التى تقع فى مجاورات الحيرة، إلا أن الحارث كان أكثر طموحاً، فكتب الى «تبع» ملك اليمن ان يجمع الجنود ويأتى اليه، واستجاب تبع للحارث واقبل بجنوده وسار بهم حتى نزل بالحيرة، ثم وجه ابن اخيه «شمر ذى الجناح» الى قباذ فحاربه وانتصر عليه، أما التقاء الحارث بقباذ فكان عند قنطرة الفيوم، وهى موضع لا يبعد كثيرا عن «هيث» وهى بلدة على الفرات(١).

هذا وقد اختلف المؤرخون فى مقر الحكم الذى اختاره الحارث الكندى فى العراق، فبينما يذهب فريق الى أنه فى الحيرة، يرى آخرون أنه فى «الانبار» وتقع على مبعدة اربعين ميلا الى الشمال الغربى من بغداد(٢).

وأيا ما كان الأمر، فأن ملك الحارث لم يستمر طويلا فى العراق، فعندما اعتلى عرش الفرس (كسرى انو شروان) ٥٣١ - ٥٨٩م، قام بطرد الحارث الكندى، واعاد المنذر الثالث الى عرش الحيرة، وقام هذا الاخير يتتبع الحارث الكندى واهله، حتى أسر اثنى عشر اميرا من بنى حجر بن عمرو، ثم قتلهم وكان من بينهم الحارث. ولا شك ان ذلك المصير التعس الذى لقيه الرجل، ومن أسر من أهل بيته، أنما كان ضربة فى الصميم وجهت الى دولة كندة، وسرعان مادب الشقاق فيها، فانحلت عراها بعد أن قتل ابناء الحارث واحدا بعد الآخر(٣).

ولم يكتف المنذر اللخمى بذلك بل عمل على تشتيت شمل ابنائه

---

(١) جواد على: المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٣٤ وما بعدها .
(٢) ياقوت الحموت: المرجع السابق ، الجزء الأول، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .
(٣) محمد بيومى مهران: المرجع السابق ، ص ٦١٥ - ٦١٦.

والتفريق بينهم حتى نشبت بين اثنين منهم وهما (سلمة) و (شرحبيل) الحرب التى عرفت بين العرب (بيوم الكلاب الأول) واعلن فيها كل من الاخوين عن جائزة مقدارها مائة من الابل لمن يأتيه برأس اخيه، وكان يوما عصيبا اشتدت فيه الحرب حتى آخر النهار، وانتهى بقتل شرحبيل(١). وتفرق الابناء جميعهم.

وقد أثرت كل هذه الاحداث على دولة كندة، فعملت على اضعاف ملوكها وتضعضع نفوذهم، فكانت البداية تتمثل فى خروج بنى أسد على (حجر ابن الحارث) فامتنعوا عن دفع الاتاوة التى كان قد فرضها عليهم من قبل، ومن ثم فقد خرج عليهم حجر من تهامة، وما ان وصل الى ديار بنى أسد فى جنوب جبل طئ حتى قتل الكثير من اشرافهم، وأخذ بعضا منهم أسرى الى تهامة، مما ترك اثرا سيئا فى نفوذ القوم، فعقدوا العزم على الانتقام، ومالبثوا ان نفذوا وعيدهم، وقتلوا الرجل(٢).

وتولى مقاليد الأمر بعده ابنه (امرؤ القيس) الشاعر المشهور وكان اصغر أبنائه، وكان ابيه حجر قد طرده وأصر على ان لا يقيم معه، أنفة من قوله الشعر، على غير عادة ابناء الملوك، فضلا عن التغزل بالنساء شعراً، وهكذا اخذ امرؤ القيس يسير فى احياء العرب، ومعه اخلاط من شذاذ العرب، يشرب الخمر، ويتغزل بالنساء، وظل كذلك حتى اتاه خبر مقتل ابيه، فأقسم ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن، ولا يصيب امرأة، ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك ثأره.

ولقد بدأ أولا بضم بكر وتغلب اليه ثم بث العيون على بنى أسد، فعلم انهم لجأوا الى بنى كنانة، ومن ثم فقد بدأ هجومه على بنى كنانة - وهو يظنهم

---

(١) ابن الاثير: المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٥٤٩ - ٥٥٢.

(٢) اليعقوبى: المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٢١٧.

بنى أسد - إلا أن القوم سرعان ما أخبروه أن بنى أسد قد ساروا بالامس - فأسرع اليهم حتى اذا ما ادركهم انزل بهم هزيمة قاسية، غير أن قبيلة تغلب وبكر رفضت الاستمرار فى القتال بعد ذلك، مما اضطره أن يطوف بقبائل العرب يستنصرها على قتلة ابيه، واستجاب له بعضهم، ورفض آخرون خوفا من بنى أسد، وخوفا من اغضاب المناذرة والفرس، وقرر امرؤ القيس أن يذهب الى القسطنطينية ليستنجد بملك الروم، الذى أحسن استقباله، وان لم يقدم له المساعدة المطلوبة، فالنجدة التى طلبها امرؤ القيس كبيرة جدا، والجيش الرومى لم يكن مستعداً للقتال فى الصحراء، ثم ان الغاية التى جاء من أجلها امرؤ القيس - وهى الأخذ بثأر رجل واحد - كانت بعيدة عن سياسة الروم ومألوفهم، فضلا عن أن الامبراطورية الرومانية كانت مهددة بهجمات البرابرة، ومن ثم فالامبراطور كان فى حاجة الى الدفاع عن امبراطوريته نفسها(١).

ومع ذلك فقد أرسل الامبراطور جستنيان جيشا كثيفا مع امرؤ القيس، فبلغ ذلك بنى أسد، فأرسلوا رجلا منهم يدعى (الطماح) اتصل بجماعة من رجال القيصر وطلب منهم أن يبلغوا القيصر «ان العرب قوم غدر، ولا تأمن ان يظفر امرؤ القيس بما يريد، ثم يغزوك بمن بعثت معه». ولكن حدث بعد ذلك أن توفى امرؤ القيس وهو فى ديار الروم على اثر مهاجمة داء قديم له كان مصابا به. وعلى ذلك انقطع آخر أمل فى استعادة «بنى أكل المرار» لملكهم فى كندة.

وهكذا انتهت أول محاولة فى داخل بلاد العرب لتوطيد مجموعة من القبائل حول سلطة مركزية واحدة لها زعيم واحد، اذ سرعان ما عادت

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٦٢٠ - ٦٢٢.

٧

عشائر كندة الى الجنوب، حيث ساد منهم (قيس بن معد يكرب) ثم ابنه (الاشعث)، ثم تكونت بعد نهاية دولة بنى أكل المرار، امارة كندية فى حضرموت، فضلا عن أمارات أخرى حكمها امراء صغار، لا تتجاوز سلطة الواحدة منهم مدينة أو واديا، وأشهرها تلك التى كانت فى دومة الجندل والبحرين ونجران وغمر ذى كندة.



الفصل السادس عشر

شـرق الجزيــرة العربيــة

١- المواقع الحضارية في الكويت

أثبتت الكشوف الأثرية التى أجريت فى الكويت وجود أدلة أثرية ترجع إلى العصر الحجرى القديم الأوسط.

وتعتبر جزيرة فيلكا من أهم جزر الكويت، وكان لها دور حضارى فى شرق الجزيرة العربية خلال العصور القديمة، ويتشابه الإنتاج الحضارى الذى كشف عنه فيها مع الإنتاج الحضارى لجنوب العراق القديم، وكذلك الإنتاج الحضارى لبعض مناطق الجزيرة العربية مثل قطر والبحرين ودولة الامارات العربية.

وكان لموقع جزيرة فيلكا، وقربها من رأس الخليج العربى حيث حضارة العراق القديم، وكونها محطة استراحة فى الطريق الذى كانت تمر به العوافل التجارية فى طريقها إلى الهند وايران أثره فى تنوع التركة الأثرية التى اص بها ويظروفها^^عثر عليها، حيث كان لها إنتاجها الحضارى المميز الخ البيئية، كما ظهر التأثر بالحضارات الأخرى ذات الصلة بها فى هذا الإنتاج الحضارى.

وتضم جزيرة فيلكا العديد من الموا قع الأثرية الهامة مثل تل سعد وتل سعيد ومنطقة آثار الخضر التى يعتقد أنها تمثل الميناء القديم الذى تم عن طريقه الاتصال التجارى والحضارى مع وادى السند وكذلك مع جنوب العراق القديم والمراكز الحضارية فى منطقة الخليج العربى.

ولقد كشف فى تل سعد على العديد من المخلفات الأثرية التى ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد ومنها الأوانى الفخارية والحجرية وبعض الأدوات الحجرية والبرونزية، وبقايا المنازل السكنية التى شيدت جدرانها من الحجارة والحصى، وقد طليت بعض الجدران بالطلاء الأحمر، كما طلى بعضها بالقار، ويستدل من المخلفات الأثرية داخل غرف المنازل أن كل غرفة كانت

تستعمل لغرض معين، كما عثر على العديد من الأفران المشيدة من الحجر والمطلية بالقار، كما كشف عن بقايا معبد يحتمل أنه كان مخصصاً للمعبود انزاك كبير معبودات دلمون.

وكشف فى هذا الموقع على العديد من الأختام، وكان بعضها مستدير الشكل وبعضها الآخر أسطوانى، وتشير الأختام الاسطوانية إلى وجود تأثر حضارى بأختام جنوب العراق القديم، أما الأختام المستديرة فهى ذات وجهين ومدببة الظهر وتحمل نقوشاً تعبر عن الفكر الإنسانى والدينى فى هذه المنطقة، حيث حاول الإنسان التعبير عن قوى الخير والشر، وعملية الإخصاب فى الطبيعة، وتسجيل بعض مظاهر العبادة وبناء المعابد[1].

وكشف فى تل سعيد على العديد من المخلفات الأثرية التى ترجع إلى عهد الإسكندر المقدونى وخلفائه، ومن هذه المخلفات، القلعة اليونانية، وهيكل للمعبود المحلى ومعبد، وتشير النقوش التى عثر عليها إلى أن هذا المكان كان مركزاً ثقافياً وإدارياً للجزيرة فى العصر الهيللينى.

ودون المؤرخ اليونانى «اريان» والذى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد وصفاً دقيقاً لسير جيوش الاسكندر المقدونى فى رحلة العودة من الهند، وقد ذكر أنه عند وصول سفن الأسطول إلى رأس الخليج العربى عند جزيرة فيلكا، أمر الاسكندر قائده أن يطلق عليها اسم «ايكاروس» أسوة بجزيرة صغيرة فى بحر ايجة، وأن الاسكندر أمر بانشاء بعض القلاع فيها، كما أمر بأن تسكن من قبل بعض الجنود الذين يرغبون فى الاستقرار بها نظراً لتقدمهم فى السن[2]

---

(١) سليمان سعدون البدر: منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد، الكويت، ١٩٧٤، ص ١٠٣ - ١٠٨.

(٢) خالد سالم محمد: جزيرة فيلكا، لمحات تاريخية واجتماعية، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٦ - ١٨.

٢- دولة البحرين (دلمـون)

أوضحت الكشوف الأثرية التى أجريت فى البحرين، إلى أنها كانت مأهولة بالسكان منذ العصور الحجرية، كما يعتقد بأن الفينيقيين قد عاشوا بالبحرين قبل هجرتهم إلى الساحل السورى، ولقد كشف فى البحرين على أطلال معبد وأدوات ترجع إلى العصر البرونزى وأوانى فخارية ترجع إلى الألف السادس قبل الميلاد، كما كشف عن بقايا مدن يرجع بعضها إلى حوالى عام ٢٨٠٠ ق.م.

ولقد قامت البحرين بدور حضارى هام فى شرق الجزيرة العربية منذ العصور الحجرية، حيث كانت تتوسط الطرق البحرية التى تسير عبرها التجارة السومرية وذلك حوالى عام ٣٦٠٠ق.م.

ويعتقد الكثير من العلماء أن منطقة دلمون التى جاء ذكرها فى النصوص السومرية إنما تنطبق على البحرين، ويعتمدون فى ذلك إلى أن بعض هذه النصوص قد أشارت إلى أن الوصول إلى دلمون كان يتطلب نحو ستين ساعة ملاحة من مصب نهر الفرات، أى أن دلمون كانت تبعد نحو ٣٠٠ ميل، وهى نفس المسافة من مصب نهر الفرات إلى البحرين.

ويشير إلى ذلك أيضاً تطابق ما جاء بالأساطير السومرية من وصف لدلمون مع البحرين، وذلك من حيث توافر المياه بها وتقديس الماء واعتباره إله، وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن دلمون كانت تمتد عى طول الساحل الشرقى للجزيرة العربية من الكويت حتى مدخل الخليج عند مضيق هرمز، وأن البحرين كانت هى المركز الرئيسى أو العاصمة لهذه المنطقة(١).

ولقد ورد ذكر أرض دلمون فى نصوص ملوك العراق القديم منذ الألف

---

(١) سليمان سعدون البدر: «مملكة دلمون»، جامعة الكويت (أبحاث تاريخية مهداه من أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ إلى جامعة الكويت بمناسبة عيدها العاشر) اشراف الدكتور شاكر مصطفى، ١٩٧٨، ص ١٢٠.

الثالث قبل الميلاد، ومن أقدم الإشارات إليها ما ورد في نصوص الملك «أورنانشي» (أور – نينا) حاكم لجش حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد حيث أشارت النصوص التي تؤرخ لعهده أن سفن دلمون كانت تحضر له شحنات الخشب من الجبال(١).

وأشار الملك «سرجون الأكدي» (٢٣٣٤ – ٢٢٧٩ ق.م) في نصوصه إلى سفن دلمون مما قد يشير إلى وجود علاقات له معها أو كان له بعض الاشراف عليها(٢)، ومما جاء في ذلك :

«... سرجون ملك كيشي، انتصر في أربعة وثلاثين معركة، واستولى على (جميع) المدن، وكذلك شاطئ البحر، وجعل في رصيف ميناء أكد، الكثير من السفن من ملوخا، وسفن من ماجان، وكذلك سفناً من دلمون»(٣).

ويتضح من هذا النص، أن سرجون الأكدي بعد أن تمكن من خوض الكثير من المعارك والاستيلاء على الكثير من المدن، قد توجه إلى النواحي الاقتصادية، ومنها التبادل التجاري مع المناطق المجاورة له، ومنها المناطق الواقعة في الخليج العربي، وإن كنا نقرأ في نص آخر من نصوص الملك سرجون(٤)، أنه قد قبض على دلمون بعد أن طوق أراضي البحر ثلاث مرات، مما قد يشير إلى سيطرة الملك سرجون الأكدي على هذه المنطقة وضمها إلى دولته.

---

(1) Kramer, S. N., The Summerians, Chicago, 1970, pp. 281 - 283, 308 - 309.,
Kramer, S. N., "Dilmun, The Land of Living", in BASOR, 96 (1944).

(٢) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١٠١.

(3) Oppenheim, A. L. "Balylonian and Assyrian Historical Text, ", in ANET, p. 268.

(٤) سليمان سعدون البدر: المرجع السابق، ص ١١٢.

واستمرت العلاقات التجارية بين العراق القديم ودلمون فى عهد أسرة أور الثالثة قبل نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، حيث يشير أحد النصوص إلى إبحار أحد المراكب المحمل بالصوف والأثواب من أور إلى دلمون.

وتوجد العديد من الإشارات التى توضح استمرار ملوك لارسا وذلك فى بداية الألف الثانى قبل الميلاد فى التبادل التجارى مع دلمون، فتشير هذه النصو إلى إحضار ملوك لارسا عن طريق دلمون للذهب والنحاس والعقيق والعاج.

وتشير نصو الملك البابلى «سومو – ايلوم» (١٨٨٠ – ١٨٤٥ ق.م) إلى استيراده من دلمون العديد من المواد التجارية، ومنها خشب الميسو، والذهب، والنحاس، واللؤلؤ، واللازورد، والتماثيل المرصعة بالعاج(١).

وأشار الملك الآشورى «اسرحدون» (٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م) إلى فرضه الجزية على كانايا Qanaia ملك دلمون(٢).

وذكر الملك «اشور بانيبال» (٦٦٨ – ٦٣٣ ق.م) فى معرض حديثة عن حدود دولته، أنها تمتد من صور فى البحر الأعلى حتى دلمون فى البحر الأسفل(٣).

وبالإضافة إلى الإشارات التى وردت عن دلمون فى نصوص ملوك، العراق القديم، فلقد ورد ذكر أرض دلمون فى العديد من الأساطير الدينية العراقية القديمة، كما ارتبطت بالعديد من المعبودات فى العراق القديم، ومن هذه الإشارات ما ورد فى أسطورة انكى وننحرساج أو أسطورة الفردوس، حيث جاء فيها وصفاً لأرض دلمون، التى اعتبرتها الأسطورة أرض الفردوس والمكان الذى تمت فيه أحداث الأسطورة.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ١١٣.

(2) Oppenheim, A. L., op. cit., p. 290.

(3) Ibid., p. 297.

وتبدأ الأسطورة فى جزيرة دلمون، وقد كانت هذه الجزيرة من نصيب انكى (إله الماء العذبة فى العراق القديم) وننحرساج وذلك عندما اقتسمت الآلهة الدنيا فيما بينهم، وبعد أن يزود انكى الجزيرة بالماء العذب باقتراح من ننحرساج يتزوجها، وكان ثمرة زواجهما المعبودة ننسار التى تمثل النبات، وعلى ذلك فهذه الأسطورة تشير إلى قوة الخلق الذى ينشأ من وجود التربة والماء، وبعد ذلك تستمر الأسطورة فى عمليات الخلق.

وجاء فى بداية الأسطورة وصفاً رائعاً لأرض دلمون، جاء فيه(١):

أرض دلمون نقية

أرض دلمون نقية

أرض دلمون نظيفة

أرض دلمون نظيفة

أرض دلمون أكثر اشراقاً

فى أرض دلمون لا ينعق الغراب الأسود

ولا يصيح طير الـ «تدو» ولا يصرخ كما يصيح اليوم

ولا يفترس الأسد أحدا

والذئب لا يفترس الحمل

ولم يعرفوا الكلب المتوحش الذى يفترس الجدى

ولم يعرفوا الذى يفترس الغله

ولم توجد الأرملة

والطير فى الأعالى..

---

(1) Jacopsen, T., The Intellectual Adventure of Ancient Man, p. 157, ff.,

Oppenheim, A. L., op. cit., p. 38.

والحمامة لا تحنى رأسها

وما من أرمة يشتكى ويقول «عينى مريضة»

ولا مصدوع يقول «فى رأسى مرض الصداع

وعجوز دلمون لا تقول «أنا عجوز»

ولا يقول الشيخ «أنا شيخ طاعن فى السن»

والعذراء لا تستحم، ولا يصب الماء الرائق فى المدينة

والمنشد لا يعول بالرثاء

وفى طرف المدينة لا ينوح أو يندب»[1].

وتشير أسطورة الطوفان السومرية إلى أن الآلهة قد أنعمت على زيوسدرا بالخلود فى أرض دلمون، ومما جاء فى ذلك :

... وحينئذ، فإن زيوسدرا الملك،

الذى حافظ على الزرع

والذى صان ذرية البشرية

فى أرض العبور، فى أرض دلمون

المكان الذى تشرق منه الشمس

أسكناه هناك (ربما كان المقصود هما آنو وانليل)[2].

وتذكر أسطورة انكى ونظام الكون أن كلاً من دلمون وماجان تطلعت إلى المعبود انكى، ليصبغ عليهما خصوبته، ومما جاء فى ذلك :

(١) صمويل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، ومراجعة وتقديم أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(2) Ibid., p. 44.

أرض ماجان ودلمون

تطلعت إلى انكى

نظف هو، وطهر أرض دلمون[1].

ويتضح من هذه الإشارات العراقية لأرض دلمون أنها كانت بلاداً بحرية مارست التجارة مع مدن بلاد الرافدين، وأنه كان لدلمون سفن خاصة بها تقوم بنقل منتجاتها، وفى العصر الآشورى حاول الملوك الآشوريون فرض سيادتهم المباشرة على هذه المنطقة، حيث اعتبروها أنها تمثل أقصى حدود بلادهم.

ونظر الأدب إلى هذه المنطقة على اعتبار أنها أرض الفردوس، وأرض السلام والأمن، التى يتوافر فيها المياه العذبة الغزيرة.

وأخيراً فقد كان لدلمون صلات اقتصادية وسياسية مع بلاد الرافدين اتخذت طابعاً يتفاوت عبر العصور المختلفة حسب قوة النظام السياسى الموجود فى العراق القديم.

وتتعدد المواقع الأثرية فى البحرين، ومن هذه المواقع قلعة البحرين، باربار، عالى، ديراز، عوالى، سار، الحجر. ولقد عثر فى هذه المواقع على العديد من المخلفات الأثرية ومنها :

الأوانى الفخارية، وتتميز الأوانى التى عثر عليها بأنها مصنوعة بواسطة عجلة الفخار، كما استعملت بعض الأوانى الفخارية كتوابيت للدفن وتتميز هذه الأوانى بأنها متسعة فى الوسط وذات رقاب ضيقة، وتنتمى هذه الأوانى الفخارية إلى الفترة ما بين ٣٠٠٠ – ٢٠٠٠ ق.م. وتسمى هذه الفترة بعصر حضارة باربار، وتجدر الإشارة إلى أنه قد عثر على بعض الأوانى التى ترجع إلى العصر الكاشى فى العراق القديم.

---

(١) سليمان سعدون البدر: المرجع السابق، ص ١١٨.

الأواني الحجرية: صنعت الأوانى من العديد من الأحجار كالرخام والاستيتايت والالباستر، وكان حجر الاستيتايت من الأحجار التى استخدمت فى الطبقت الأولى فى البحرين والتى تؤرخ بحوالى ٢٨٠٠ ق.م، نظراً لعدم وجود هذا الحجر فى البحرين، فإن أهل البحرين قد جلبوه من المناطق التى يتوافر فيها وبخاصة ايران وعمان.

التماثيل: عبر الإنسان فى البحرين عن مفاهيمه الفكرية فى صناعة العديد من التماثيل وكذلك النقوش، وصنعت هذه التماثيل من الحجر الجيرى والنحاس، وشكلت هذه التماثيل على هيئات إنسانية وحيوانية.

الحلي وادوات الزينة: عثر فى المواقع الأثرية فى البحرين على بعض أدوات الزينة مثل الرقائق الذهبية والخرز المصنوع من العقيق وحجر اللازورد، وخلاخيل من البرونز، كما عثر على مساحيق التجميل والعديد من العقود الزجاجية.

العمارة: كشفت التنقيبات الأثرية عن بقايا العمارة المدنية والدينية، ففى أسفل تل قلعة البحرين تتمثل العاصمة القديمة التى ترجع إلى منتصف الألف الثالث ق.م، ويضم الجزء الشمالى من البحرين العديد من التلال الأثرية التى تضم المقابر التى شيدت منذ أقدم العصور، كما يضم تل باربار أقدم المعابد المعروفة فى البحرين.

الأختام: عثر فى البحرين على العديد من الأختام التى ترجع إلى الألف الثالث ق. م. وما بعده، والتى يشبه بعضها أختام حضارة جمدة نصر فى العراق، وحملت هذه الأختام نقوش تعبر عن العديد من المظاهر الفكرية فى البحرين خلال العصور القديمة(١).

---

(١) سليمان سعدون البدر: منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد، ص ١١٢ - ١٣٥.

٣- دولة قطـــر

تتكون شبه جزيرة قطر من هضـبة جيرية غير مستوية السطح، وهى تقع فى وسط الخليج العـربى، وهى تمتـد من السـاحل الشـرقى للجـزيرة العربية نحو ١٠٠ ميل فى الخليـج العربى، ويبلـغ عرضـهـا نحـو ٥٠ ميلاً من الشرق إلى الغرب.

وأوضحت الكشوف الأثرية التى أجريت فى قطر وجود الكثير من المواقع التى ترجع إلى العصور الحجرية، حيث عثر عند الساحل الغربى قرب رأس عويئات على شظايا مصقولة، كما عثر على كميات من الأدوات الحجرية فى العديد من المناطق، وتتمـثل هذه الأدوات فى رؤوس السهـام ذات الانصال الصغيرة والشـظايا.

وقسم الإنتـاج الحـضـارى المادى الذى كـشف عنه فى قطر إلى أربعـة مجموعات رئيسية وذلك على النحو الآتى(١):

المجموعة الأولى: وهى تمثل أقـدم الحـضـارات فى قطر، حـيث يمثل إنتاجها الحضارى إنتاج العصر الحجرى القديم من الفؤوس اليدوية والازاميل، والسكاكين والشظايا، وعثر على هذه الأدوات على طول الهضاب الصخرية وسفوح قمم الجبال.

المجموعة الثانية: وهى تمثل حضارة العصر الحجرى المتوسط، حيث تميز إنتاجها الحضارى بصناعة رؤوس السهام.

المجموعة الثالثة: يرتبط إنتاجها الحضارى بالمجموعة الثانية، من حيث أنه يرجع إلى العصر الحجرى المتوسط، ويتميز إنتاجها الحضارى بظهور المكاشط أو المحكات، وصناعـة العـديد من الأدوات الحـجـرية كـالمخـارز

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٤٣ وما بعدها.



والكرات الصوانية التى كانت تستخدم كأسلحة رمى، وكذلك صناعة رؤوس السهام ولكنها كانت رديئة التشكيل، ويلاحظ أن المواقع التى عثر فيها على هذا الإنتاج الحضارى كانت ملاصقة للساحل.

المجموعة الرابعة: ويمثل إنتاجها الحضارى الإنتاج الحضارى للعصر الحجرى الحديث، حيث ظهرت الفؤوس اليدوية، وتنوعت أشكال وأحجام رؤوس السهام والسكاكين والأزاميل ويوجد الإنتاج الحضارى لهذه المجموعة فى المساحات الرملية المنبسطة قرب الساحل.

وبالإضافة إلى هذه الآثار المادية التى تم الكشف عنها، فلقد كشف عن بعض الآثار ذات الطبيعة الفكرية والعقائدية، فلقد عثر على العديد من المقابر، ووجد فى بعضها بعض الأدوات مثل كسر أوانى حجرية ورؤوس سهام حديدية وسيوف من الحديد، ولقد شيد بعض هذه المقابر بالكتل الحجرية.

كما كشف عن العديد من النقوش التى حفرها الإنسان القطرى وذلك فوق منحدرات الصخور فى أقصى الشمال الشرقى لقطر، ومن هذه النقوش ما يمثل سفناً مختلفة الأشكال، ومنها ما يعبر عن بعض الأفكار والمعتقدات الدينية التى آمن بها، كما أن بعضها قد يشير إلى فكرة الخصوبة المقدسة لارتباطها بالمجارى المائية.

٤- دولة الإمارات العربية المتحدة

كشف فى العديد من الإمارات على العديد من المواقع الأثرية التى ترجع إلى العصور الحجرية وما يليها، ومن المواقع الأثرية التى تم عمل حفائر أثرية فيها نشير إلى كل من :

جزيرة أم النار: وكانت جزيرة صخرية يفصلها عن اليابس مضيق ضيق، إلا أن الجزيرة ربطت حالياً باليابسة.

وكشف فى هذه المنطقة عن العديد من المقابر التى تتميز بوجود أثاث جنزى بها يستطيع الباحث من خلاله تتبع العديد من أوجه المظاهر الحضارية فى هذه المنطقة، حيث تضمن هذا الأثاث الجنزى الأوانى الحجرية والأوانى الفخارية والأسلحة وأدوات الزينة.

ولقد كشف فى أم النار عن تل يضم أربعة مراحل من الاستقرار البشرى، وتوجد الطبقة الأولى فوق الأرض البكر مباشرة، وعثر فى هذه الطبقة على بعض العظام الحيوانية وكسر الفخار مما يشير إلى وجود استقرار بشرى وربما استئناس للحيوان، ويبدو أن منازل هذه المرحلة قد شيدت من مواد خفيفة كأغصان النخيل.

ويتميز فخار الطبقة الثانية بظهور نوع الزينة حيث زين بطلاء أسود على أرضية حمراء أو رمادية، أما المنازل فقد شيدت بالحجارة، وهو الأمر الذى ساد فى الطبقتين الثالثة والرابعة، مما يشير إلى استمرار النشاط الإنسانى الذى ظهر فى الطبقة الثانية دون تطور يذكر.

ويتميز فخار أم النار بأنه مصنوع بواسطة عجلة الفخار من الطين الناعم، وإن كانت بعض الأوانى قد صنعت من الطين المخلوط بالرمل وخاصة الأوانى الفخارية الكبيرة، ويتراوح ارتفاع الأوانى الصغيرة من ١٠ – ١٢ سم، وقد زينت بزينات على جزئها العلوى فقط، وأحياناً قد تمتد الزينة لتغطى الآنية كلها، وقد تمتد الزينة إلى الحواف المائلة إلى

الخارج، وتكون الزينة من خطوط سوداء على أرضية حمراء أو رمادية، وتأخذ الخطوط أشكالاً مائلة أو شبه دائرية أو مثلثة أو فى صفوف، بينما يحمل بعض الأوانى أشكالاً حيوانية. ويرجع هذا الفخار إلى الألف الثالث قبل الميلاد(١).

وعثر فى موقع أم النار على العديد من النقوش التى تعبر عن الفكر الإنسانى فى هذه المنطقة، فلقد عثر بالقرب من الباب الحجرى لأحد المقابر على كتلتين من الحجر الجيرى تحملان أشكالاً حيوانية فى نقش بارز، أمكن تمييز أشكال الثور والجمل والغزال منها، وعثر فى نفس المقبرة على نقش آخر يمثل شكلاً إنسانياً، كما عثر فى مقبرة أخرى على نقوش تمثل ثعابين ملتوية(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنه قد أجريت فى الفترة الأخيرة عملية بحث أثرى لجزر أبوظبى وذلك عام ١٩٩٢، وذلك فى جزر صير بن ياس ودلما ومروح، وقام بهذا العمل مدرسة الدراسات الآسيوية والإفريقية بجامعة لندن ومن أبوظبى، وقد أسفر هذا العمل عن الكشف عن العديد من المادة الأثرية التى ترجع إلى العصور الحجرية وحتى العصر الإسلامى.

ولقد عثر فى جزيرة مُروح على أدوات حجرية ترجع إلى العصر الحجرى القديم، مثل رؤوس السهام والمكاشط والسكاكين، كما عثر أيضاً فى هذه الجزيرة، وكذلك فى جزيرة دلما على أوانى فخارية ملونة ومزينة ترجع إلى الألف السادس قبل الميلاد، كما كشف فيهما أيضاً عن بعض أدوات الزينة، ويرتبط هذا الفخار بزينة الأوانى الفخارية التى ترجع إلى حضارة العبيد فى العراق القديم(٣).

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٦٤.

(3) Whybrow, P. J., and Others, "Late Miocene Primate Fauna, Jlora, and initial Palemomagnetic data from the Emirate of -

٥- شرق المملكة العربية السعودية

يوجد فى شرق المملكة العربية السعودية العديد من المواقع الأثرية التى كشف فيها عن العديد من البقايا الأثرية التى تساعد الباحثين فى تتبع الدور الحضارى لهذه المنطقة وصلاتها بباقى مناطق الجزيرة العربية والعالم الخارجى، ومن هذه المناطق(١):

ثــاج: تقع إلى شمال غرب الظهران بحوالى ١٥٠ ميل، ولقد كشف فى هذا الموقع عن العديد من التماثيل الطينية لحيوان الجمل وكذلك البقرة، وكذلك تماثيل إنسانية تمثل نساء راكعات، كما عثر فيه على نصين حجريين مكتوبان بالخط السبئى، وعثر فيه أيضاً على بقايا أوانى فخارية وكسر من المباخر الطينية المربعة التى كانت تستخدم لحرق البخور، كما عثر على بقايا أوانى حجرية من حجر الالباستر والاستيتايت.

تاروت: شمال الظهران، ويوجد فيها العديد من التلال الأثرية التى توجد بها مقابر، وعثر فى هذا الموقع على أدوات وأسلحة حجرية مثل رؤوس السهام والسكاكين والمكاشط، وكسر أوانى فخارية مزينة ترجع إلى عصر حضارة العبيد فى العراق القديم.

الجرعاء: (جرها) تقع على بعد نحو ١٥ ميلاً شمال شرق ميناء العقير،

Abu Dhabi, United Arab Emirates, Journal of Human Evobution, 19, 1990, pp. 583 - 588.,
Whybrow, P. J., and othess, Miocene Fossils from Abu Dhabi," Tribulus, Bulletin of the Emirates Natural History Group, 1993, 1. 1, pp. 4 - 9.

وأنظر فى ذلك:

جفرى كينج: المسح الأثرى لجزر أبوظبى، البعثة الأولى، ترجمة، فيصل يوسف، أبوظبى، ١٩٩٨م.

(١) أنظر، سليمان سعدون البدر: المرجع السابق، ص ١٣٦ - ١٤٢.



اكتسبت شهرة كبيرة فى العصر اليونانى لمركزها التجارى وتجارتها مع جنوب الجزيرة العربية وبابل والهند وأفريقيا وقد جنى أهلها من وراء هذه التجارة الكثير من الثروات، ولقد أشار سترابو إلى ذلك بقوله :

«وعن طريق تجارة البخور، أصبح تجار جرها أغنى القبائل وأصبح لديهم كمية كبيرة من المصنوعات والمواد الذهبية والفضية كالأرائك والركائز والأحواض وأوانى الشرب، كما تميزت منازلهم بالعظمة، فكانت الأبواب والجدران والأسقف تطعم بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة».

الظهران: عثر فيها على آلاف المقابر التى ترجع إلى العصر البرونزى، وتضم المقبرة تابوتاً حجرياً، وتضم المقابر الكبيرة أكثر من حجرة واحدة للدفن، وتواجه أبوابها الناحية الجنوبية الغربية، ويرى بعض الباحثين أن أصحاب هذه المقابر هم الدلمونيون الذين كانوا يحكمون البحرين والأحساء، وقد عثر فى هذه المنطقة على آثار العصر الحجرى، كما عرف أهلها صناعة اللؤلؤ .

٦- عمــان (ماجــان؟)

يعتقد أغلب الباحثون أن مملكة ماجان تقع فى شرق الجزيرة العربية وبخاصة منطقة عمان الحالية، ويرجح أن منطقة «ميجان» الحالية التى تقع على ساحل الخليج العربى عند مصب وادى شهبة هى المنطقة التى نشأت فيها مملكة ماجان القديمة.

ووصفت النصوص العراقية القديمة أرض «ماجان» بأنها «جبل النحاس حيث اشتهرت هذه المنطقة بوجود النحاس فيها، كما جلب منها العراقيون أيضاً أحجار الديوريت الأسود الذى استخدمه ملوك العراق القديم فى صناعة نصبهم وتماثيلهم.

ولقد أشار الملك سرجون الأكدى إلى قيامه بغزوها – كما سبقت الإشارة – وفى بداية عهد حفيده «نارام سين» (٢٢٩١ – ٢٢٣٥ ق.م) ثارت المناطق الخاضعة لأكد ومن بينها مملكة ماجان، مما دعا «نارام سين» إلى الذهاب إليها على رأس قواته، حيث انتصر عليها وأمسك بنفسه بملكها الذى دعته النصوص العراقية «ماندانو». ولقد أكد حقيقة هذا الانتصار العثور على بعض الأوانى المرمرية التى نقش عليها اسم ملك ماجان «ماندانو» مصحوباً بعبارة «جزية ماجان».

أما «ملوخا» التى أشارت النصوص المسمارية إلى أن أهل العراق القديم، كانوا يستوردون منها الذهب والخشب الثمين، فلم يمكن حتى الآن تحديد مكانها، وإن كان يرجح أنها كانت تقع فيما بين منطقتى دلمون وماجان أى البحرين وعمان وما يجاورهما.

ولقد أشار الملك «جوديا» حاكم أسرة لجش الثانية إلى قيامه بإحضار الأخشاب من ماجان وملوخا لبناء المعبد الرئيسى فى مدينة لجش، وكان ذلك عن طريق التجارة وليس السيطرة على هذه المناطق.

ومما يشير إلى أهمية هذه المناطق من الناحية التجارية بالنسبة للعراق

القديم، قيام الملك «أور – نامو» أول ملوك أسرة أور الثالثة والذى حكم ثمانية عشر عاماً (٢١١٣ – ٢٠٩٥ ق.م) بحفر قناة تربط بين عاصمته أور والخليج العربى، حتى يمكن للسفن الآتية من الخليج العربى أن تفرغ بضائعها مباشرة فى أور.

واستمر النشاط التجارى قائماً بين العراق وهذه المناطق فى العصر الآشورى، ويرجح أنه كان نشاطاً تجارياً فقط، وليس غزواً عسكرياً واعتمد هذا النشاط التجارى على أساس استيراد المواد الأولية التى توجد فى هذه المناطق وكذلك ما يتجمع لديها من منتجات جنوب الجزيرة العربية وبخاصة البخور وكذلك منتجات الهند وجزر المحيط الهندى.

وفى العصر الفارسى، أخذت بعض الجاليات الفينيقية تتوافد على هذه المناطق، حيث مارست نشاطها التجارى فيها وكذلك فى البحار القريبة منها، وكان للتواجد الفينيقى فى هذه المنطقة أثره الحضارى، حيث نقل الفينيقيون العديد من مظاهر حضارتهم إليها، وهو ما ظهر أثره فى الإنتاج الحضارى لهذه المناطق، وقد ازدادت أعداد الفينيقيين فى هذه المناطق خلال العصر الهيلينستى.

الباب الثاني

الحضـــــــارة

الفصل الأول

الحياة الإجتماعية

١ ـ الأســـــرة

كانت الأسرة هى الوحدة الأساسية فى نظام البدو الاجتماعى، ويبدأ النسب غالباً بالأب، وفى حالات قليلة بالأم، حيثما تتغلب شهرة الأم على الأب، والبيت هو بيت الأب، ولما كان المجتمع يتكون من مجتمع بيوت، صار النظام فيه نظاماً أبويا، السلطة العليا فيه للأب، وهو المسئول قانوناً عن العائله، ويتساوى فى ذلك مجتمع الحضر ومجتمع الباديه.

وينتسب الفرد إلى أسرته، وهو نسب أهل، وهو يقوم على الدم القريب، وينتسب إلى قبيلته، وهو يقوم على العصبيه للدم الأبعد وهو دم جد القبيله، وكان للخؤوله مكانه كبيره فى العصبه عند العرب، قد تقوى على العمومه.

ونظراً لطبيعة بلاد العرب المناخيه التى تتميز بشدة الحراره، وعدم وجود وسائل تسليه وترفيه كافية لقضاء أوقات فراغهم أتجه العرب إلى الزواج، حتى صار تعدد الزوجات من الأمور المعتاده لديهم.

وكان الهدف الأساسى من الزواج عند العرب هو النسل، ولذا فلقد كرهت المرأه العاقر واعتبرت شؤما، وكان عقم المرأة من الأسباب التى تبيح طلاقها، إذ كان الرجل غالباً يأبى البقاء مع إمرأة لا تلد، لانتفاء الفائدة منها مع إنفاقه عليها، وكان عندهم أن المرأة القبيحة الولود خير من الحسناء العاقر.

ومن أغراض الزواج الأخرى لدى سادات القبائل والأشراف كسب الألفة واجتذاب الحلفاء والنصره، فهو زواج سياسى، عمل به كثيراً فى الجاهلة وكذلك من بين أقطار العالم القديم.

وكان الرجل العقيم، لا يصل إلى قناعة عقمه إلا بعد الزواج من عدة زوجات، فإن لم يلدن منه، آمن عندئذ بعقمه، أما المرأة، فتبقى قانعة فى بيت زوجها إن أراد أن يستبقيها، لأنه من الصعب عليها الحصول على زوج آخر إن طلقت، إذا كان الرجال يفضلون الأبكار على المطلقات، وإذا طلقت المرأة العاقر، بقيت بين أهلها ومن غير زواج فى الغالب.

وكان المجتمع يسمح للرجل بالتغزل فى المرأة وإظهار حبه لها، ويأبى ذلك على المرأة، ويعتبره نوعاً من الخروج على الأذاب العامه وجلب العار لها ولأسرتها، والطابع العام فى هذا الغزل البراءة والعفه ونقاء الألفاظ المؤدبة، لا يتطرق فيه الشاعر إلى ما وراء إظهار الحب والوجد والتلهف، ولا يتجاوز حدوده فى الغزل، فإنه إذا تعرض لإمرأه معينه فأصابها بسوء قول، فإنه لن يسلم من عقاب أسرتها له، وقد يصل هذا العقاب إلى الموت.

أختيار الزوجة:

راعى العرب فى أختيار الزوجه، أن تكون من ذواتى الحسب والنسب، وأن تتميز بحسن الحديث والأشتهار بمكارم الأخلاق، وأن تكونْ ولوداً، وكانوا يؤثرون الزواج من الفتاء البكر، وكان يفضل أن تكون من نفس القبيله، وكره العرب الجمال البارع، لما قد يحدث عنه من شدة الدلال وسوء عواقب الفتنه، ولذا فإنهم كانوا يراعون حسن الصوره وجمال الجسم وتناسق الأعضاء، وكانوا يرغبون فى الزواج من النساء الشقراوات البيض البشره، وكان يعيب المرأه بذاءة اللسان والكذب والنميمة والعبوس وعدم الأمانه، وأن تكون طويله مع نحافه أو ظاهرة العيوب.

وقدم العرب البيت على الجمال، فللبيت أثر فى أخلاق المرأة وفى نجابة الأولاد، وهو أثر دائم، والجمال صورة زائلة، فكانوا يهتمون بالبيت الطيب المنجب ليكون النسل نجيبا صحيح البدنية والعقل، لذلك فضلوا أصالة البيت على جمال المرأة لما للأصاله من أثر فى الوراثه التى تنتقل من الأبوين الى الأولاد، ولقد ورد فى الحديث الشريف: «إياكم وخضراء الدمن، قيل: يارسول الله، وما خضراء الدمن: قال: «المرأة الحسناء فى منبت السوء». فللمنبت شأن كبير فى الزواج وفى أخلاق الولد، فلا قيمة للمرأة الحسناء إذا كانت من بيت سوء.

ومع أن أمر الزواج كان بيد الأبوين، إلا أن المرأه العربيه فى الجاهليه قد تمتعت بحظ وافر فى إختيار زوجها، فلم تكن تقسر على زوج لا ترغب فيه،

وكان يؤخذ رأيها فى الزواج، وكانت فى بعض الأحيان تزوج نفسها بنفسها، كما كانت تستطيع هجر زوجها والعوده إلى أهلها، إذا أساء زوجها معاملتها، وكان للأم رأى فى تزويج أبنتها، حيث لرأيها دخل كبير فى الموافقه على الأزواج. ومع هذا كله فإن ولى أمر الفتاة كان صاحب حق لا ينازع فى إجبارها على الزواج بمن يوافق عليه، وكان ابن العم مقدماً على غيره فى زواج أبنة عمه، وقد تجبر الفتاة على الزواج به إن رغبت عنه، وقد لا يتركها تتزوج من غيره إلا بإرضائه أو رضاه.

ومع وجود هذا العرف، فلقد كانت العرب تراعى فى الغالب الزواج من البعداء عن عصبة الدم، لأنهم يرون أن ذلك أنجب للولد وأبهى للخلقه وأحفظ لقوة النسل، لأن الزواج من الأهل والأقارب يضر بالمولود ويسمه بالضعف والهزال، وقد روى عنهم أن «بنات العم أصبر والغرائب أنجب» وأدرك العرب أثر العوامل الوراثيه فى الأبناء، فجاء فى أثرهم أن رجلاً قال: «لا أتزوج إمرأه حتى أنظر إلى ولدى منها، قيل له: كيف ذلك؟، قال: أنظر إلى أبيها وأمها، فأنها تجر بأحدهما».

وكان يراعى التكافؤ فى الزواج، فالأشراف لا يتزوجون إلا من طبقه متكافئه لهم، والسواد لا يتجاسرون على خطبة ابنة أحد الوجهاء، ويعير القوم السيد الشريف إن تزوج من عامة الناس، ولا سيما إذا كانت بنت رجل يعمل بأحدى الحرف اليدويه، لأنها كانت تعتبر حرف العبيد، ولم يكن من المستساغ تزويج أبنة رجل حر من عبد مملوك أو مفكوك الرقبه، كما لم يكن من الممكن تزويج الفتاه الأصيله الحره من أبن عبد أو حفيد عبد، أو من حفيد حفيد عبد، حيث أعتقد أن سمة العبوديه والصفه تلازم الاسر، وأن تحررت وحسن حالها وصارت غنيه.

وحرص العرب على أن يكون الزوج مساوياً للزوجه فى حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك، وعرف ذلك بـ «الكفاءة فى الزواج» ولهذا جاء فى

أقوالهم: «المناكح الكريمه مدارج الشرف» وجاء أيضاً «تزوجوا الأكفاء ..... وتجنبوا الحمقاء» فإن ولدها إلى أفن ما يكون» .

وأعتبر العرب أن التأثير الوراثى للمرأة فى أولادها أقوى من الرجل، ويشير إلى ذلك ما جاء فى قولهم: «عرق الخال لا ينام» ، «لئيم الخال» و «عرق الخال» و «العرق دساس» وكذلك أعتبار الخال بمنزلة الوالد، وأن عرق الخال أنزع من عرق العم، وأنهم كانوا يحتمون بأخوالهم ويلجأون اليهم أكثر من لجوؤهم إلى أعمامهم.

إلا أن هذا القول لم يكن مأخوذا به بشكل عام بين عموم العرب، فهناك من العرب من كان يقدم العم على الخال، ويرى أن العم مقام ألوالد ولما كان الأب هو الأصل فى النسب، وهو الوالى وصاحب الحق الشرعى الأول فى ولده، يكون هذا الحق فى أخوته بعد وفاته، ومن ذلك ما نجده فى أقوالهم: «عرق فيه أعمامه وأخواله» . فقدم الأعمام على الأخوال، وإن كان فيه إعتراف بأثر الأثنين فى الولد.

الخطبه ومراسم الزواج :

كان يمهد للخطبه عند أهل الفتاه وعند الأستقرار المبدئى على العريس وتحديد قيمة الصداق، كان يذهب ولى أمر الرجل أو أقرب الناس إليه إلى ولى أمر البنت ليخطبها، وكانت العاده أن يرتدى أهل الخاطب وأهل المخطوبه خير ما عندهم من ملابس وحلى، وفى حالة الموافقه على الخطوبه كان يضمخ والد الخطيبه بالعبير، وتنحر الذبائح وذلك حسب منزلة أهل الفتاه، فكانت العاده لدى العرب هو أسالة الدماء من الذبائح فى مناسباتهم المفرحه.

ويلاحظ هنا أن الزواج لابد وأن يكون برضى الطرفين وبموافقتهم، وبموافقة الوالدين أو ولى أمرهم، وكان لولى الأمر أن يجبر البنت على الزواج بمن يريده أو يوافق عليه، وفى بعض الأسر كان لا يسمح لها بإبداء رأيها فى الزواح والزوج.

وكان يجدد صداق المرأه قبل عقد القران، ويرى بعض الباحثين أن الصداق هو العوض الذى يدفعه الرجل للزوجه، أما المهر فهو العوض الذى يدفعه الرجل لأهل المرأة وإن كان يرى أخرون أن الصداق والمهر شئ واحد، وأنه كان فريضه لازمه عند العرب لصحة عقد الزواج، إذ هو عندهم علامه من علاماته، ودلاله على شرعيته، وكانوا لا يعترفون بشرعية زواج إلا إذا كان بمهر، فإذا لم يكن هناك مهر، اعتبر بغياً وسفاحاً وزنا، فهو يشير أيضاً إلى كون المرأة حره محصنه لها كامل الحقوق.

وكان الأصل فى المهر عند العرب فى الجاهليه دفعه للمرأة، غير أن والدها هو الذى يأخذه لينفق منه على ما تأخذه المرأه معها إلى بيت الزوجيه، وقد يأخذ ولى الأمر المهر لنفسه ولا يعطى منه للمرأه شيئاً ولقد نهى الأسلام عن ذلك، وقد يأخذ ولى الأمر من المهر شئ مسمى كان يسمى الحلوان أو النافجه، وكانت العرب تعير به، كما كان هناك من يعطى المهر كله لأبنته ويزيد عليه إكراماً لها، ويلاحظ أنه فى زواج الشغار لم يكن هناك مهر حقيقى، لأنه زواج مقايضه.

وكان للمرأه حق استرداد مهرها إذا فسخ الزوج عقد الزواج، أو إذا طلقها، إلا إذا كان ذلك بسبب إثبات جريمة الزنا عليها فكان يسقط حقها فى المهر، وإذا كان المهر مؤجلا كله أو بعضه، فإنه يكون ديناً عند الزوج يدفعه لها، وفى حالة وفاته يجب دفعه لامرأته من تركته، ويجوز للرجل أسترداد مهره من تركة زوجه إن ماتت فى حياته، وله حق مطالبة أهلا برد مهرها إليه فى حالة عدم وجود تركه لها.

ولم يكن للمهر حد معلوم، بل يتوقف مقداره على الأتفاق بين الطرفين، ويراعى فى ذلك الحاله الماليه للرجل فى الغالب وعلى مكانة أهل العروس، وكان هناك من العرب من كان يغالى فى مهور البنات مثل أهل كنده.

وتجدر الإشاده إلى أنه يتضح من دراسة الوثائق المعينية أن ملوك معين

كانوا يصدرون أوامرهم بالموافقه على عقود الزواج، ويتضح منها أيضاً أن المرأه المعينيه كانت مثل الرجل لها حق النظر فى أختيار زوجها.

وفى يوم العرس تقام الولائم، وهى تتناسب مع مكانة العريس وأهله، وهى من الأمور اللازمه حتى مع الفقير الضعيف الحال، وتزف العروس إلى زوجها ومعها أصدقاؤها وأهلها، وقد يقترن ذلك بضرب الدفوف والغناء، وكانت تزف العروس إلى زوجها ليلاً، وقد تزف فى النهار، وقد تزف العروس فى محفه يقال لها (المزفه)، وكان يرتدى الزوج ملابس مصبوغه بصفره، كما كانوا يصبغون أيديهم ولحاهم بالزعفران، ويكحلون عيونهم.

انواع الزواج :

عرف العرب العديد من أنواع الزواج، حيث كان من حق الرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء بغير تحديد أو حصر، ومن أنواع الزواج التى عرفها العرب.

١-زواج البعوله :

وهو الزواج المألوف بين العرب القدامى، وهو الزواج القائم على الخطبه والمهر، وعلى الإيجاب والقبول، وهو زواج منظم، رتب الحياة العائليه، وعين واجبات الوالدين والبنوه، ويكون الرجل بموجبه بعلا للمرأه فهى فى حمايته ورعايته، وللزوج فى هذا الزواج أن يتزوج ما يرغب من النساء حسب هواه، ويلاحظ أن النصوص العربيه والجنوبيه أطلقت على الزوج «بعل» وعلى الزوجه «بعلت» أو «بعلة».

٢-زواج الضيزن :

وهو المعروف بزواج المقت، وذلك نظراً لأنه كان ممقوتاً من أكثرية العرب رغم وجوده، وفيه أن المرأه حين يموت زوجها كان أكبر أبنائه يعتبر نفسه أولى بزوجة أبيه فيلقى ثوبه عليها، ومن ثم يصبح له حرية زواجها أو منعها من الزواج حتى تموت فيرث ميراثها إلا أن تفتدى نفسها منه بفدية

ترضيه، وإذا لم يكن لأكبر الأولاد رغبه فيها، تزوجها أحد أخوته بمهر جديد، ويرى بعض الباحثين أن هذا المهر ما هو إلا ترضيه للإبن الأكبر بسبب تنازله عن حقه في أمرأة أبيه إلى من له رغبه فيها من أخوته الباقين، على ألا يكون من أبنائها بالطبع، وإنما من زوجات أخر.

٣ـ زواج المتعه :

وهو زواج محدد المدة، وكان معروفاً قبل الاسلام وحتى ظهوره ومما دفع إلى هذا الزواج التنقل والأسفار والحروب، وينسب أولاد المتعه غالباً إلى أمهاتهم، وذلك بسبب أتصالهم المباشر بالأم ولأرتحال الأب عن الأم في الغالب فتنقطع الصلات بينهم وبين الأب، وإن كان هذا لا يمنع من أنتساب الأبناء إلى الأب، ومن حقهم الإرث.

٤ـ زواج الشغار :

وهو زواج لا صداق فيه، حيث يتزوج الشخص من أمرأة في مقابل أن يتزوج من تزوج منهم بأمرأة أخرى، وذهب البعض إلى أنه لا يكون إلا في الغرائب، وهو قريب من زواج البدل، وقد نهى الأسلام عن هذا النوع من الزواج.

وبالإضافة إلى هذه الأنواع التي كانت شائعه لدى العرب، وجدت بعض أنواع أخرى من الزواج، كان بغير خطبه أو مهر، ومنه زواج الظعيده وهو زواج السبايا من النساء، وكذلك زواج الأماء، وفي هذا الزواج كان من حق الزوج أن يعتق أبناءها منها وينتسبون إليه، كما كان من حقه ألا يعتقهم ويظلوا عبيداً.

وتجدر الاشارة إلى ما ذكره «سترابو» (٦٦ ق.م ـ ٢٤م)، إلى زواج الأخوه من أمرأه واحده تكون مشتركه بينهم، ويحيط الشك بتلك الروايه، ويبدو أن الأمر قد أختلط عليه، وأن المقصود هو زواج الأخ بأرملة أخيه المتوفى، وهو أمر كان محبباً لديهم يعكس النخوه العربيه، حتى يتمكن العم من تربية أولاد أخيه المتوفى ورعاية مصالحهم.

تعدد الزوجات :

عرف العرب تعدد الزوجات، وكان لهذا التعدد دوافعه، كالرغبه فى أنجاب عدد كبير من الأولاد حتى يكونوا عزوه للأهل، أو بدافع أقتصادى، وكذلك لأغراض سياسيه الهدف منها كسب ود وصداقة القبائل والمناطق القويه.

ولم يكن هناك حد لتعدد الزوجات، حتى وصل زوجات البعض إلى أكثر من عشر نساء، ولما جاء الأسلام، قرر ألا يزيد عدد الزوجات عن أربع مجتمعات، فأضطر من كان لديه أكثر من أربعه الى تطليق الزائدة.

المحرمات :

راعى العرب القدامى فى الزواج تحريم الزواج من بعض الأقارب وذلك طبقا لقاعدة علاقة الأصل بالفرع، ومن ثم فقد حرم الزواج بالأخوات والأبناء والحفده والعمات والخالات، وأبناء الأخت، فقد كانوا يحرمون كل زواج يقع من المحارم بشكل عام، إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، ومع ذلك فقد كان هذين النوعين من الزواج غير مقبولا عند العرب، فأعتبروا الأول، وهو الزواج من امرأة الأب، من فعول الضيزن، أما الجمع بين الأختين فلم يكن شائعا بينهم.

ولقم شمل التحريم حالات التبنى، ومن ثم فلا يجوز للمتبنى أن يتزوج زوج المتبنى أو أبنته.

الطـلاق :

عرف العرب الطلاق، ومن العبارات التى كانت تشير إليه عندهم قول الرجل لزوجته إذا أراد طلاقها: «حبلك على غاربك» أى خليت سبيلك، فاذهبى حيث شئت، «أنت مُخلّى كهذا البعير» و «الحقى بأهلك»، «وإذهبى فلا أمنك سريك»، «أخترت الظباء على البقرة»، «فارقتك»، «سرحتك»، وما شاكل ذلك من عبارات مثل «أنت خليه» كناية عن الطلاق.

ويلاحظ فى هذه العبارات التى تشير الى الطلاق الى أنها نابعة من صميم بيئة الجزيرة العربية، حيث تبدو آثار البداوة واضحة فيها، وكذلك الروح الأعرابية ظاهرة فيها بارزة.

وعرف العرب أنواعاً مختلفة من الطلاق، منها الطلاق الشائع وكان موجوداً عند أهل مكة عند ظهور الإسلام، وهو طلاق المرأة ثلاثا على التفرقة، فكان من حق الرجل مراجعة زوجته فى الطلاقين الأول والثانى، أما إذا وقع الطلاق الثالث، فكان يعتبر طلاقا بائنا ولا يحق للرجل استعادة زوجته الى عصمته مرة أخرى، ولقد حاول بعض الجاهلين إيجاد حل لهذا الطلاق وهو أن تتزوج المرأة بآخر على أن يطلقها بعد أقترانه بها، وحينئذ يعود إليها زوجها بعقد جديد، وكان هذا الحل مزموم فى الجاهلية، وعندما جاء الاسلام حرمه وكان يقال للرجل الذى يقوم بهذا الدور (المحلل) أو (التيس المستعار) أو (المجحش).

وهناك نوع آخر من الطلاق أطلق عليه «الظهار»، ودعى ظهاراً من تشبيه الرجل زوجته أو ما يعبر به عنها بمحرم عليه تأبيداً كالأم أو الأخت أو العمة أو ما شابه ذلك.

وكان هذا الطلاق شائعاً بين العرب فى الجاهلية، وهو من أشد أنواع الطلاق عندهم وكان غاية فى التحريم، وعندما جاء الإسلام حرم هذا النوع من الطلاق، وأوجب الكفارة على من ظاهر من امرأته.

ومن أنواع الطلاق أيضا الذى ظهر عند العرب، الطلاق الذى سموه «الإيلاء» وهو ترك الرجل لزوجته فترة من الزمن قد تطول الى أكثر من عامين لا يقترب خلالها منها، ويلاحظ أن الإسلام قد جعل فترة التrabص لا تزيد عن أربعة أشهر، إن شاء أبقاها أو تركها.

وهناك أيضا طلاق «العضل»، وهو ان يتزوج الرجل من المرأة الشريفة، ولكن لا يحدث توافق بينهما فيطلقها على ألا تتزوج من بعده إلا بموافقته

ورضاه، ولقد حرم هذا الطلاق فى الإسلام، ومن زواج العضل فى الجاهلية أيضا، هو أنه إذا مات زوج أمرأة كان أحد أقربائه أولىٰ بها إن شاء تزوجها وأن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت.

ولم يكن هناك حداً أقصى لعدد الطلقات، فكان يمكن للرجل أن يراجع زوجته الى ما لا نهاية، ولما جاء الإسلام حرم هذا العبث بمقدرات المرأة، وجعل الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

ومع أن الطلاق كان حق حقوق الرجل، يستعمله متى شاء، إلا أن بعض النسوة كان من حقهن طلب الطلاق، وذلك فى حال تغيير أحوال الزوج المادية، أو تدهور أحواله الصحيه، كما اشترطت بعض النساء أن يكون حق العصمة فى يدها، ويعد هذا من الحقوق التى تميزت بها المرأة العربية.

وكانت تستطيع المرأة أن تخلع نفسها من زوجها بالاتفاق معه على ترضية تقدمها إليه، وقد أقر الإسلام الخلع مراعاة لمصلحة المرأة، فقد تبغض زوجها وتتأذى بعشرته، ويأبى الزوج أن يخلعها نكاية فيها أو أسفاً على ما أنفق من ماله فى زواجه، على أن الإسلام حذر الزوجة أن تطلب الطلاق من غير حاجة أو خضوعاً للهوى.

ولعل قريباً من طلاق الخلع ما تدفعه زوج الأب المتوفى إلى ابنه الذى يتزوجها بعد وفاة أبيه من مال مقابل فراقه لها وتطليقه إياها.

وطريقة الإعلان عن طلاق المرأة للرجل فى الجاهلية، أن المرأة كانت تقوم بتغيير باب الخيمة، إن كان فى الشرق جعلته فى الغرب وإن كان جهة اليمن حولته قبل الشام، أما إذا كان من أهل الحضر، تركت داره والبيت الذى يسكنه، وتعود إلى بيت أهلها.

ويتصل بالطلاق موضوع «العدة» وهى الفترة التى لا يسمح فيها للمرأة بالزواج بعد طلاقها أو وفاة زوجها، ويلاحظ أن عدة المرأة المطلقة فى الجاهلية لم تكن واضحة، فهناك من ذهب إلى أن المطلقة إنما كانت تعتد فى

الجاهلية، ذهب آخرون إلى أنها لم تكن تعتد، وأن بعض النساء قد ولدن من أزواجهن الذين طلقن منهم وهن فى عصمة الآخرين، وكان المولود فى هذه الحالة ينسب إلى الرجل الأخير. أما عدة الوفاة، فقد كانت فى الجاهلية حولاً كاملاً تمضيه المرأة فى بيت صغير تلبس فيه شر ثيابها، ولا تصنع طيباً أو زينة ولا تقلم أظافرها، حتى يمر العام، فيمكنها بعده أن تلبس وتتزين كما تريد.

مكانة المرأة العربية:

بلغت مكانة المرأة عند العرب درجة تسمح لها أن تشارك فى الأحلاف التى تعقد بينهم، كذلك كانت المرأة من «المجيرات» فكانت تجرن كالرجال تماماً.

وأنتسب بعض الأفراد وكذلك الملوك والقبائل إلى أمهاتهم، كما أشترك بعضهن فى شئون الحكم والسياسه، ووصلت بعض النساء إلى تولى العرش، مثل الملكه زنوبيا وملكة سبأ فى عهد سليمان عليه السلام.

الأطفال:

كان العرب فى الجاهلية يفرحون بمولد الأطفال الذكور، حيث كانوا يعتبرون أن كثرة الذكور من المفاخر التى يفتخرون بها، وأن كثرتهم عزة ونعمة، فهم بهم يدافعون عن أنفسهم وقبائلهم، وبهم ينال المال والحق والأخذ بالثأر، فهم الحماية ورأس المال، وكان يقال للمرأة التى تنجب الذكور «منجبة» و «منجاب»، ولم تكن العرب تعد منجبة من لها أقل من ثلاث بنين أشراف، وكانت تعرف أيضاً بـ «أم البنين».

وكانت تذبح شاة عند ميلاد المولود، ويلطخ شئ من دمها برأس المولود، ويقال لهذه الذبيحة «العقيقة»، وكانت تذبح عادة فى اليوم السابع من ميلاد المولود.

وكان يستقبل المولود بدعك فمه بالتمر الممصوغ، أو الحلو مثل عسل

النحل، وكل ما لم تسمه نار من الحلو، ويشير ذلك إلى التفاؤل، فالحلو رمز السعادة والفرح.

ولقد كانت الرغبة فى الإنجاب وكثرة الأولاد من الدوافع التى دفعت الزوجة إلى تقديم الهدايا والنذور والقرابين إلى المعابد ومعبوداتها، ومن الأمثلة على ذلك، أن سيدة سبئية قدمت تمثالاً لمعبودها نذرته له ليهبها طفلاً، ويبقى حياة ولديها، مما يشير إلى رغبتها فى كثرة الذرية فلم تكتف باثنين، بل تمنت أن ترزق بأبناء أخرين.

ويوجد نص سبئى آخر يشير إلى دعاء سيدة سبئية بأن تمنح ولداً ثانياً، كما قدمت سيدة من صرواح وزوجها إلى معبودتهما أربعة تماثيل ذهبية عرفاناً بفضلها لإنجابها أربعة أطفال ولداً وثلاث بنات، ويشير ذلك إلى فرحة الأب والأم بالإناث مثل الولد الذكر، ويشير إلى هذا الأمر أيضاً نص سبئى يشير إلى تقديم سيدة قرباناً لمعبودها المقة ليطيل حياة ابنتها.

وعبر فن النقش والنحت عن أهمية الأطفال فى المجتمعات العربية، فيوجد فى متحف صنعاء كتلة حجرية نحتها الفنان على هيئة سيدة تلتحف فوق ثوبها بعباءة، وقد ضمت إلى صدرها وليدها العارى بحنان بالغ، وعثر فى قتبان على الجزء العلوى من لوحة، ظهرت فيها سيدة ممتلئة الجسم والردفين وترتدى ثوباً فضفاضاً، وهى تسند بيدها اليسرى وليدها الذى وضعته على حجرها.

وكان ينسب الأولاد إلى الآباء غالباً، إلا أن بعضهم نسب إلى أمهاتهم وربما يرجع ذلك إلى ما كان لأمهاتم من كفايات وصفات خاصة جعلت لهن صيتاً بعيداً طغى على اسم الرجال، فنسب أبناؤهم إليهن تمييزاً عن بقية الأبناء الذين يكونون للرجل من زوجات آخر، ومن هذا القبيل اشتهار (عمرو) ملك الحيرة بـ (عمرو بن هند) واشتهار (المنذر) بـ (المنذر بن ماء السماء).

وكانت تسمية الذكور غالباً يقوم بها الآباء، أما الإناث فكانت تقوم الأم بها، وتختلف التسميات في جزيرة العرب فبينما كانت في الجنوب غالباً أسماء مركبة تتصل بمعبوداتهم مثل «يدع ال بين بن رب شمس» وهو أحد رجال حضرموت، كانت في شمال الجزيرة في الغالب أسماء مفردة، والمركب منها يتصل بأصنام العرب الشماليين مثل عبد مناة وعبد العزى... وقد أطلق العرب على أولادهم بعض التسميات التي تتعلق بالجماد والحيوان ربما من قبيل الفأل أو الخوف من الحسد، وذلك مثل حجر وصخر كناية عن الشدة والصلابة، ومن الحيوان مثل جحش وحمار ربما تيمناً بطول العمر والقوة والجلد وغيرها.

ووجدت لدى الأطفال العديد من الألعاب والدمى والتماثيل التي يلهون بها، حتى إذا ما وصل إلى مرحلة البلوغ، أقيم له احتفال عند أحد الأصنام حيث يقومون بقص ضفائره ورميها أمامه، ويشير ذلك الطقس إلى دخول الفتى في مرحلة الرجولة.

وكان للأطفال ألعاب تتناسب مع أعمارهم مثل «الجماح» وهو سهيم يلعب به، والسباق وغيرها، أما البنات فكن يلعبن بالدمى الصغيرة وغيرها.

التبني :

عرف العرب في الجاهلية التبني، وكان للمتبني الحقوق الطبيعية الموروثة المعترف بها للأبناء، ويصبح فرداً في العائلة التي تبنته، له حق الانتماء والانتساب إليها، وكان يتم التبني بالاتفاق والتراضي مع والد الطفل أو ولي أمره أو سيده، وكان يتم بذلك التنازل عن كل حق له فيه، وجرت العادة إشهاد جماعة من الناس على التبني، حتى لا يحدث عليه نزاع فيما بعد، وكان يعلن ذلك في الأماكن العامة وفي المناسبات، ولا يشترط للتبني عدم وجود أولاد للمتبني، كما أنه لم يكن له حدود سنية تحده.

الميراث :

راعى العرب في الميراث درجة القرابة، أي صلة الرحم حسب درجاتها فتأتي البنوة أولاً، فالأبوة، فالأخوة، ثم العمومة، والقاعدة العامة في الميراث

عند العرب فى العصر الجاهلى هو أن يكون الإرث خاصاً بالذكور الكبار المحاربين، وتتضارب المصادر حول أحقية المرأة فى الميراث فهناك من يرى أنها لا ترث بينما يرى أخرون أنه كان لها حقاً فى الميراث، ويبدو أن هذا الاختلاف مرجعه إلى اختلاف القبائل والمناطق العربية فيما بينها فى هذا الأمر.

وتشير المصادر العربية إلى أن بعض العرب فى الجاهلية كان يجعل للإناث نصيباً فى الميراث، بحيث يكون للذكر مثل حظ الأنثيين، وهو ما اتفق فيما بعد مع الإسلام.

ويستدل من دراسة المصادر العربية القديمة أنه كان للمرأة العربية مالها الخاص بها، وكان من حقها ممارسة التجارة والتملك والتصرف فى أموالها دونما وصاية من أحد، ومن النصوص التى تشير إلى أحقية المرأة فى التملك، نص نبطى يرجع إلى عهد الملك الحارث الرابع (٩ق م - ٤٠م)، يتضح من هذا النص أنه كان للزوجة نصيباً مفروضاً محدداً فى مقبرة شادها زوجها، وأيدت نصوص نبطية أخرى أنه كان للمرأة إدراة مالية خاصة بها وكذلك كان لها ملكيتها الخاصة، ويظهر ذلك فى نص نبطى يرجع إلى العام ٢٥ من عهد الملك الحارث الرابع (ربما يقابل عام ١٦ ميلادى) يشير إلى الحق المشروع للمرأة فى تقبل هبة المقبرة هبة خالصة تتيح لها أهلية التملك والاستغلال والأداء، وأقر لها بكامل الأهلية فى إجراء شتى التصرفات القانونية عليها.

وَيستدل من نصوص أخرى اشتراك المرأة مع أخيها فى نفقات المقبرة وملكيتها، ويظهر ذلك فى نص قبر يرجع إلى عهد الحارث الرابع، ولقد أكد نص المقبرة على حق الشفعة بين أبناء الأخوين بحيث تكون لأحدهم الأولوية دائماً فى شراء نصيب الآخر.

وأيدت النصوص النبطية الإرادة المالية المستقلة للمرأة والملكية الخاصة بها، فكان من حقها تحديد أسماء المنتفعين بقبرتها، وإباحة دفن الغير فيها إن

شاءت على شرطية الحصول على إذن منها، وتمتعت المرأة بحق التجارة، ويتضح ذلك من العديد من النصوص العربية القديمة.

وكان المتبنون فى الجاهلية يرثون من تبناهم ويورثون ما ورثوه إلى أبنائهم، كما لو كانت البنوة بنوة طبيعية، وكان الحلف أيضاً من أسباب الإرث فى الجاهلية، لأن القاعدة عندهم أن حليف القوم منهم، وابن أخت القوم منهم، أما إذا مات العبد وترك إرثاً، صار من حق مالكه، وإذا مات المعتق، ورثه معتقه.

وسائل التسلية والترفيه:

كان الصيد من وسائل التسلية والترفيه عند كبار القوم وذوى اليسار منهم، كما كان يمثل غذاء طيباً للفقراء منهم، واستعانوا فى صيدهم بالصقور التى كانت تدرب تدريباً خاصاً، حتى إذا ما رأت الحيوان انقضت عليه فلا تتركه حتى يأتى الصياد ويمسك بها، واستخدمت الكلاب فى الصيد كذلك بجانب الصقور، فإذا رأت الصقور فوق الفريسة عدت خلفها لتساعد الصقر فى السيطرة على الحيوان، واستخدمت الكلاب أيضاً فى البحث عن الحيوانات المختبأة، واستخدمت الخيول فى الصيد، ولكن كان الاعتماد عليها قليلاً، حيث لم يكن يملكها إلا القليلون.

واستخدم العرب فى الجاهلية العديد من الحيل لاصطياد الحيوان، ومنها ما يعرف بـ «القرموص» وهى حفرة لها جوانب، و «العرزال» وهى أن يختبأ الصياد فوق أطراف الشجر والنخيل، و «الزوبيه» أو «الزونه» فهى الحفرة التى تحفر للأسد و «القتره» وهى حفرة يختبئ فيها الصائد عن فريسته.

أما الأدوات التى استخدمت فى الصيد، فمنها «الجرة» وهى عبارة عن قطعة من الخشب طولها حوالى زراع فى رأسها كفة وفى وسطها حبل يصاد بها الظباء، وهناك الأحبال التى يصطاد بها والشراك و «الخاطفون» وهى تشبه المنجل تشد بحبال السائد ليخطف بها صغار الحيوان، كما استخدموا

العديد من الحيل والطرق لصيد السباع والحمير الوحشية، واستعمل الشباك فى صيد الطيور وكذلك الأسماك، وإستخدموا كذلك الأفخاخ.

وعرف بلاد العرب قديما العديد من الحيوانات ومنها الأسود والفهود والضباع والذئاب والحمير الوحشية والظباء والنعام.

ومن وسائل التسلية والترفيه «سباق الخيل» وهو رياضه الأثرياء والفرسان، وكان العرب يتراهنون على سباق الخيل، وكانوا يقيمون حلبات السباق وأهتم العرب اهتماماً خاصا بالخيل، حتى أنهم جعلوا لها أنسابا كما للبشر، وألفوا الكتب فيها، كما كانوا أيضا يتسابقون بالإبل وكذلك الحمير والكلاب.

ومن وسائل التسابق عندهم أيضاً «السبق بالنصل» أى المرأماة بالسهم، فمن أصاب الهدف أكثر من غيره فاز بالسباق.

ومن وسائل التسلية والترفيه لديهم كانت «إقامة الولائم» وتعددت ولائم العرب فمنها ما كان يقام فى الأفراح عند الخطبة والزواج وعند ولاده الأطفال وعند ختانهم وعند بناء مسكن جديد وعند العثور على شئ مفقود، وعند القدوم من السفر، وكذلك عند الموت.

وكان العرب يهتمون بهذه الولائم ويجعلونها فرصة لهم للتسليه والترفيه وتناول الطعام معاً.

وكان الأحتفال بالأعياد من وسائل التسلية والترفيه لدى عامة الناس فى بلاد العرب، ومن أهم هذه الأعياد كان الحج الى مكه، وهو عيد يجتمع فيه الناس من مختلف القبائل والأماكن للتقرب الى الأصنام فى أوقات أمن وسلام حيث لا يحل فيها قتال ولا اعتداء، فكان الناس يرتدون خير ملابسهم ويتجملون فى هذه الأيام.

وعرف أهل المدينة عيدان يلهون ويستمتعون فيهما وهما عيد النيروز والمهرجان، وهما مأخوذان من الفرس، فكان الأول وهو النيروز يشير الى

بداية السنة الايرانيه الشمسية، وأما المهرجان فكان عيداً للإيرانيين يحتلفون به فى الشهر السابع وهو شهر «مهر» (مهرماه) ويدعى العيد (مهركار).

ومن الأعياد التى احتفل بها العرب أيضا عيد (يوم السبع) و (عيد السباسب) وربما كان هو عيد الشعانين عند النصارى. كما كان لليهود والنصارى فى جزيرة العرب أعيادهم التى كانوا يحتلفون بها.

وكان الغناء والموسيقى والرقص من وسائل التسلية والترفيه، وكان للشعر علاقة كبيرة بالغناء، فالغناء هو التغنى بالشعر، واختلف غناء أهل البادية عن غناء أهل الحضر. واستخدم العرب العديد من آلات الطرب، وهى آلات وتريه كالعود، وآلات نفخ كالمزمار، وآلات ضرب كالصنوج والطبل والدف.

وأيدت الأدلة الأثرية التى كشف عنها فى الجزيرة العربية ممارسة العرب قديما لهذه الوسائل من التسلية والترفيه حيث ظهر على لوحة عثر عليها من اليمن تؤرخ بالقرن الثالث أو الرابع الميلادى صور عليها شكل لسيده وقد أمسكت بيدها الة موسيقه أستقرت على ذراعها.

وعثر فى الأردن على قطعة حجرية نبطية صورة عليها سيدة تنفخ فى مزمار من قصبتين أحداهما أقصر من الأخرى، وقام فى مواجهتها شخص يرقص ويصفق بما يشبه الصاجات ويرتدى ثوباً ذا أهذاب.

كما أظهرت بعض المناظر والتماثيل النساء وهن يقمن بالرقص، ومنها وجود مناظر على كتفا مدخل من الجرانيت لمعبد رصف بمدينة هرم (الحزم) القديمة فى دولة معين، رسم فيها فتاتين من الأمام وقد رفعت كل منهما يدها الى أعلى مع الإنثناء عند المرفق، وأمسكت بينهما ما يشبه عصا ذات طرف مقوس، ووقفت فوق منصة ذات بضع درجات، وربما يشير ذلك الى قيامهما بنوع من الرقص الرمزى فى طقوس المعبد.

ومن أوضاع الرقص فى أثار الخليج، ما صورته مخربشات نقشت على صخرة فى مصفوت، ومثلت رجالا ونساء معدودين يرقصون فرادى

وجماعات مع رفع اليدين وإفساح ما بين الساقين، كما عثر على صخرة من تل برنس قرب سكاكا فى شمال شبه الجزيرة العربية ما يصور ثلاثة عشرة أو أربع عشرة سيدة، يرفعن أيديهن ويحملن أو يستظللن بشئ مسطح مجدول تتدلى منه تسعة خطوط، وهو تصوير مختصر ساذج قد يمثل رقصا أو عادة طقسيه.

ومن التماثيل التى تمثل نساء راقصات، تمثال صغير مصنوع من البرونز لسيدة تتمايل بجسدها فى تثنى الراقصة، وهو ذا أسلوب هندى وقد عثر عليه فى ظفار، ويحتمل تاريخ صناعته بالقرن الثانى قبل الميلاد، ويشير وضع الزراع اليمنى على أنها كانت تعزف على الناى.

ومن وسائل التسلية والترفيه التى لجأ إليها العرب استخدام المضحكين، فقد إستعان السادة والأشراف بالمضحكين ليدخلوا على مجالسهم الأنس والبهجة، وبجانب المضحكين كان هناك المخنثون والحمقاء الذين كانوا من مواد التسلية والترويح عن النفس.

وكان التنزه فى البساتين ومواطن الكلأ والأماكن الجميلة من البادية فى أيام الربيع حيث تكتسى ببسط الخضرة من وسائل الترويح عن النفس، فكان ملوك وأهل الحيرة يقضون أياما فى المتنزهات القريبة منهم، وكان أهل يثرب يخرجون الى العقيق متنزهم للتسلية، وذهب أهل مكة الى الطائف فى أيام الحر الشديد، للتخلص من حرقته.

ومن وسائل التسلية والترفيه التى تتطلب إعمال الفكر، ما قام به العرب فى الجاهلية، من طرح أسئلة عويصة على المستمعين ويطلب منهم حلها، كما كان إلقاء الشعر والتسابق فيه من أمور التسلية لديهم، ومن ألعاب التسلية لديهم أيضاً «النرد» و «القمار».

٢ـ المجتمع العربي القديم

يقسم بعض الباحثين المجتمع العربى الى ثلاثة أقسام.

١ـ المجتمع الرعوي :

يمثله سكان البادية الذين تقوم حياتهم على الرعى، وهم لا يرتبطون بموطن معين إلا بمقدار ما يوفره لهم من وسائل الحياة والمتمثلة فى الماء والكلأ، وهم موجودون بكثرة فى شمال بلاد العرب.

٢ـ المجتمع الزراعي :

ويمثله سكان جنوب شبه الجزيرة العربية، وأشتهر هذا الجزء بكثرة هطول الأمطار مما دعا أهله الى إقامة الكثير من السدود للأستفادة من مياه الأمطار، ولعل من أشهر هذه السدود، سد مأرب، سد رحاب، ولقد عمل سكان هذه المنطقة بالزراعة، وبالإضافة الى هذه المنطقة فقد ظهرت العديد من البوادى فى الجنوب العربى التى عمل أهلها بالزراعة وذلك فى وسط وشمال البلاد مثل يثرب والطائف، ويعتبر المجتمع الزراعى أرقى حضاريا من المجتع الرعوى، كما أنه مستقر بالأرض ومرتبط بها.

٣ـ المجتمع التجاري :

ومن ابرز أمثلته مكة المكرمة، وهو أرقى حضاريا من المجتمع الزراعى ومن ثم أيضا المجتمع الرعوى.

واختلفت هذه المجتمعات فيما بينها فى مقوماتها الحضارية واتجاهاتها الخاصة، ومن أمثلة ذلك قلة الحروب فى المجتمع التجارى والزراعى عنها فى المجتمع الرعوى، كما أختلف مصدر الثروة فيما بينها، فبينما كانت الثروة فى المجتمع الرعوى تحدد بالمواشى، فإنها فى المجتمع الزراعى تقدر بالمحاصيل والنخيل، أما فى المجتمع التجارى فإنها تحدد بالأموال والذهب.

ورغم ما فى هذا التقسيم الأقتصادى للجزيرة العربية من وجاهته، إلا

٢ـ المجتمع العربي القديم

يقسم بعض الباحثين المجتمع العربى الى ثلاثة أقسام.

١ـ المجتمع الرعوي :

يمثله سكان البادية الذين تقوم حياتهم على الرعى، وهم لا يرتبطون بموطن معين إلا بمقدار ما يوفره لهم من وسائل الحياة والمتمثلة فى الماء والكلأ، وهم موجودون بكثرة فى شمال بلاد العرب.

٢ـ المجتمع الزراعي :

ويمثله سكان جنوب شبه الجزيرة العربية، وأشتهر هذا الجزء بكثرة هطول الأمطار مما دعا أهله الى إقامة الكثير من السدود للأستفادة من مياه الأمطار، ولعل من أشهر هذه السدود، سد مأرب، سد رحاب، ولقد عمل سكان هذه المنطقة بالزراعة، وبالإضافة الى هذه المنطقة فقد ظهرت العديد من البوادى فى الجنوب العربى التى عمل أهلها بالزراعة وذلك فى وسط وشمال البلاد مثل يثرب والطائف، ويعتبر المجتمع الزراعى أرقى حضاريا من المجتع الرعوى، كما أنه مستقر بالأرض ومرتبط بها.

٣ـ المجتمع التجاري :

ومن ابرز أمثلته مكة المكرمة، وهو أرقى حضاريا من المجتمع الزراعى ومن ثم أيضا المجتمع الرعوى.

واختلفت هذه المجتمعات فيما بينها فى مقوماتها الحضارية واتجاهاتها الخاصة، ومن أمثلة ذلك قلة الحروب فى المجتمع التجارى والزراعى عنها فى المجتمع الرعوى، كما أختلف مصدر الثروة فيما بينها، فبينما كانت الثروة فى المجتمع الرعوى تحدد بالمواشى، فإنها فى المجتمع الزراعى تقدر بالمحاصيل والنخيل، أما فى المجتمع التجارى فإنها تحدد بالأموال والذهب.

ورغم ما فى هذا التقسيم الأقتصادى للجزيرة العربية من وجاهته، إلا

أنه يمكن القول بأن المجتمع العربى بشكل عام يتكون من بدو وحضر وأهل مدر، يتساوى فى هذا عرب الشمال وعرب الجنوب وسائر أنحاء الجزيرة العربية.

ويعرف العرب المستقرون بالحضر أو أهل المدر، وذلك نظراً لأن أبنيتهم كانت من المدر وهو قطع الطين الجاف، ومن هنا قيل للحضر: بنو مدراء، أى الذين يعيشون فى بيوت مشيدة من الطين اليابس، وعلى ذلك فلقد أطلق على القرية «المدرة» لأنها مبنية بالطين، وذكر أن «المدرة» القرية أو المدينة الضخمة أيضا، لأن المدن تبنى أيضاً بالمدر.

ويذكر علماء اللغة أن الحضر والحاضرة خلاف البادية والبداوة والبدو، والحضارة الإقامة فى الحضر، والحاضر والحضر هى المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار، وقد عرفوا بأهل القارية، وذلك فى مقابل أهل البادية.

ويطلق لفظة «عرب» على أهل الحضر خاصة، أما أهل البادية فعرفوا بـ «أعراب»، مع أن كلمة «العرب» قد أطلقت فى لغتنا لتشمل الأثنين معا، ويظهر أن هذا الإطلاق إنما ظهر قبيل الإسلام، أما قبل ذلك فإنها كانت تعنى أهل البادية أى الأعراب فى الأصل. أمّا الحضر فعرفوا بأسماء أماكنهم أو قبائلهم، ويشير الى ذلك الأنساب القديمة سواء كانت العربية أو العراقية، كانت إذا ذكرت الحضر، ذكرتهم بأسماءهم ولم تطلق عليهم لفظة «عرب»، أما إذا ذكرت أهل البادية، فإنها تستعمل لفظة «عرب» و «أعراب» مع أسمائهم، فكان يذكر أسم الشخص ثم يلحق به كلمة «العرب» أو «الأعرابى».

والحد الفاصل بين الحضارة والبداوة، هو طراز الحياة ونوعها، فالحضر أهل استقرار، أما الأعراب فهم يتتبعون مساقط الأمطار حيث يرعون الكلأ والعشب، ويعتمدون على الأبل بشكل رئيسى، ومن هنا إقترنت البداوه بالباديه وتربية الإبل، التى تتحمل الصبر على الجوع والعطش فى هذه

المنطقه التى توجد فى نجد وبادية الشام، أما أعراب جنوب شبه الجزيرة العربيه، فلم يكونوا أعراباً رحلاً، ولكنهم كانوا يعيشون على تربية الأبل وبعض الزراعه، وكانوا شبه مستقرين خارج القرى والمدن فى مساكن من بيوت وأكواخ وعشش من الطين، ويعتمد أهل الحضر فى حياتهم على الزراعه والتجارة والحرف اليدويه.

طبقات المجتمع العربى:

كانت الأسره هى الوحده الأساسيه فى المجتمع العربى، وفوق الأسره كانت القبيله، وتكونت القبيله من حيث النسب إلى صرحاء وحلفاء وموالى وشركاء يستلحقون بالنسب. فالصريح هو خالص النسب الذى لم يختلط نسبه بآخرين والنسب نسب أباء، وهو نسب الصرحاء الخلص من العرب المنحدرين من صلب جد القبيله، ثم نسب حلف وجوار، أى نسب أستلحاق، والغالب أن يتحول نسب الأستلحاق إلى نسب صريح حين تطول إقامة الدخيل بين من دخل بينهم.

ومن الناحيه الإجتماعية، فكانت القبيله تتكون من ثلاث طبقات:

١ـ طبقة الأحرار الصرحاء:

وهى أعلى طبقات القبيله من ناحية التنظيم الإجتماعى، لهم كل الحقوق، وعليهم أشرف الواجبات ومن بينهم يختار شيخ القبيله.

٢ـ طبقة الموالى:

وهى تلى طبقة الأحرار الصرحاء، وعليهم من الواجبات ما على الأحرار، وإن لم تكن لهم كل الحقوق ويدخل فى طبقة الموالى القبائل الضعيفه التى ترتبط بحلف مع القبائل القويه، وكذا العشائر الصغيره، ومن طبقة الموالى أيضاً الذين أكتسبوا الحريه بعد العبوديه، وكذلك الخارجين على قبائلهم وأنضموا إلى قبائل أخرى. وكان أصحاب هذه الطبقه أقل شأناً من الأحرار، ومن ثم فقلما زوج الأحرار بناتهم للموالى.

٣ـ طبقة الرقيق :

وهى الطبقه الأخيره فى التنظيم الإجتماعى، وكانت كل قبيله تضم عدداً من الرقيق يختلف بأختلاف مركز القبيله الإجتماعى والإقتصادى.

ويقسم الرواة وأصحاب الأخبار العرب من حيث القدم إلى طبقات: عرب بائدة، وعرب عاربه، وعرب مستعربه، كما يقسم العرب من حيث النسب إلى قسمين: قحطانيه: منازلهم الأولى فى اليمن، وعدنانيه منازلهم الأولى فى الحجاز، والعرب البائده هم الذين كانوا عرباً خلصاء ذوى نسب عربى خالص ـ نظرياً على الأقل ـ ويتكونون من قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وعبيل وجرهم والعماليق ومدين وغيرهم، وأما العرب الباقية ويسمون أيضاً المتعربه المستعربه فهم الذين ليسوا عرباً خلصاء، ويتكونون من بنى يعرب بن قحطان وبنى معد بن عدنان.

٣ـ طبقة الرقيق :

وهى الطبقه الأخيره فى التنظيم الإجتماعى، وكانت كل قبيله تضم عدداً من الرقيق يختلف بأختلاف مركز القبيله الإجتماعى والإقتصادى.

ويقسم الرواة وأصحاب الأخبار العرب من حيث القدم إلى طبقات: عرب بائدة، وعرب عاربه، وعرب مستعربه، كما يقسم العرب من حيث النسب إلى قسمين: قحطانيه: منازلهم الأولى فى اليمن، وعدنانيه منازلهم الأولى فى الحجاز، والعرب البائده هم الذين كانوا عرباً خلصاء ذوى نسب عربى خالص ـ نظرياً على الأقل ـ ويتكونون من قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وعبيل وجرهم والعمالين ومدين وغيرهم، وأما العرب الباقية ويسمون أيضاً المتعربه المستعربه فهم الذين ليسوا عرباً خلصاء، ويتكونون من بنى يعرب بن قحطان وبنى معد بن عدنان.

الفصل الثاني

التنظيم السياسي

تنوعت نظم الحكم فى بلاد العرب حسب تطورها السياسى، فكان هناك النظام الملكي الذى ظهر فى حكومات دول جنوب الجزيرة العربية مثل معين وقتبان وحضر موت وسبأ وأوسان، وحكومات دول شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية مثل اللحيانيين والتدمريين والمناذرة والغساسنة ومملكة كندة، أما النظام القبلى فقد ظهر فى بوادى الجزيرة العربية، وثالث هذه الأنظمة، هو نظام حكومات المدن، وقد ظهر فى مكة والمدينة المنورة، وسنتناولها فيمايلى بشئ من التفصيل:

أولا: النظام الملكي:

يتمثل هذا النظام فى حكومات دول جنوب الجزيرة العربية ، وشمالها، ولهذا النظام صلة كبيرة بحياة الأستقرار والأستيطان، ويستدل من تطور نظام الحكم فى جنوب جزيرة العرب أن هذا النظام بدأ فى أول أمره دينيا، ثم تطور إلى النظام الملكى،فنجد فى دولتى قتبان وسبأ، أن نظام الحكم بدأ دينياً، حيث أتخذ الحكام لقب «مكرب» ثم اتخذوا لقب ملك بعد ذلك.

ومن أول الملوك الذين حصلوا على لقب ملك فى قتبان هو «يدع أب ذبيان» الذى حمل فى بداية حكمه لقب «مكرب» ثم استبدله بعد ذلك بلقب «ملك» وكان ذلك فى القرن الثامن أو الخامس قبل الميلاد، أما فى دولة سبأ فتم الأنتقال من عهد المكاربة إلى عهد الملوك فى عهد «كرب إيل وتر» وذلك عند نهاية القرن السابع قبل الميلاد.

ويتميز حكم المكاربة بأنه كان حكماً دينياً ودنيوياً ويعرف الحاكم بلقب «مكرب» أى «مقرب» ولا تمدنا النصوص العربية القديمة بأسباب ودوافع تغيير نظام الحكم فى هذه المناطق ، وأن كان يرجح إحتمال تأثر هؤلاء الحكام المكاربة بالمظاهر الخارجية التى كانت موجودة عند الدول المعاصرة لهم والتى لقب حكامها بلقب «ملك»، وهى دول كبيرة، فأراد أولئك الحكام

ولقد عرف هذا المجلس فى دولة معين بـ «مزودن معين» (مزود معين) وكان الملوك مقيدين فى حالات معينة بأخذ رأيهم وكذلك كان يذكر «المزود» عند صدور التشريعات والقرارات الخطيرة فى نص القوانين والقرارات للتعبير عن موافقته عليها.

وبالاضافة إلى المزاود كان يؤخذ رأى المعبد أيضاً فى بعض المسائل، كمايتبين من بعض الكتابات أن الملوك كانوا يأخذون أيضاً برأى أصحاب الحرف والعمل، حتى لا يصدروا أمراً يظهر بعد تنفيذه أنه غير واقعى ولا عملى، أو أنه سيلقى معارضة من بعض الفئات أو الطبقات.

ومن ناحية أخرى، فأنه يلاحظ أن ملوك معين لم يكونوا ملزمين دائماً بالرجوع إلى «المزود» فى كل القرارات، بل كانت هناك بعض القرارات التى كان الملوك يصدرونها دون الرجوع إليه، وهى القرارات التى لا تمس القضايا العامة الخطيرة التى تمس مصير الشعب مثل الضرائب وغيرها.

وفى قتبان فإن «المزود» كان يتكون من رؤساء المدن والقبائل وكان هو الذى يقترح القوانين، ويعرضها على الملك لإقرارها والأمر بتنفيذها.

وكان يوجد فى قتبان مجلس آخر يأتى بعد المزود، أطلقت عليه الكتابات القتبانية إسم (طبذن)، وهو مجلس أصحاب الأملاك، وكان ينظر فى المسائل الخاصة بالأرض والضرائب التى تجبى على الزراعة وتأجير الأرض، ويتكون هذا المجلس من كبار ملاك الأرض فقط، وقد ورد ذكره من أواسط القرن الخامس قبل الميلاد.

ويوجد شبه كبير بين القوانين القتبانية والقوانين السبئية العامة والصادرة فى سبأ حتى ذهب بعض الباحثين إلى وجود ما يشبه حد الإتفاق بين قوانبن المملكتين.

وتشير قصة ملكة سبأ كما وردت فى القرآن الكريم، إلى أن الملكة كانت

تلجأ إلى إستشارة الملأمن قومها حينما تواجه بأمر تحتاج فيه إلى الرأى والمشورة، وتشير الآيات الكريمة من كتاب الله عز وجلّ (سورة النمل الأيات ٢٩ - ٣٣) إلى أن ملكة سبأ عندما تلقت رسالة سليمان عليه السلام، إنما أسرعت إلى طلب الرأى والمشورة من الملأ فى هذه الأزمة التى أتتها من حيث لا تحتسب، وفى نفس الوقت إنها تعلن لهم بوضوح إنها لن تأخذ رأياً إلا بعد مشورتهم ورضاهم وبموافقتهم.

وتشير النصوص اللحيانية إلى وجود مجلس للشورى عرف بأسم «هيجل» (جبل/ الجبل). ووصف المجلس بـ «العالى الشأن» وكان الملوك يأخذون كثيراً برأيه.

ومن ناحية أخرى فأنه لا يستدل من النصوص المختلفة من دولتى المناذرة والغساسنة على وجود مجالس إستشارية لديهم، وأما فى تدمر، فهناك من يشير إلى وجود مجلس لمدينة تدمر على غرار مجلس الشيوخ فى روما يتكون من سادات المدينة، ومن أصحاب الجاه والسلطات، وكان له سلطة تشريعية.

غير أن وجود المجالس الإستشارية لا يعنى أن نظام الحكم إنما كان نظاماً نيابياً، بمعنى أن تجتمع الناس لأنتخاب ممثليها، وإنما كانت عضوية هذه المجالس قاصرة على كبار رجال الدين وسادات القبائل وكبار الموظفين وملاك الأراضى، ومع ذلك ، فأن وجود هذه المجالس وتعددها فى جنوب بلاد العرب - ورغم أن أعضاءها من أصحاب الأرض والجاه، وإنه كان للملوك نفوذ عليهم - إنما يدل على أن الحكم إنما كان قريباً من الحكم الديموقراطى، وإن سلطات الملوك إنما كانت مقيدة ببعض القيود، فلم يكن الملك يصدر أمراً فى الأمور الخطيرة إلا بعد أخذ رأى المجالس المختصة وإستشارتها وأخذ موافقتها، وهو أمر لاشك فى إنه خير من الحكم المطلق الذى ساد كثيراً بين دول العالم القديم.

إلا إنه يلاحظ أن سلطة المزاود أخذت فى التقلص، وصار عدد من يأخذ بالمشورة والرأى من الملوك يقل، حتى إذا جاءت الأيام الأخيرة من حكومة سبأ صار الأمر للأقيال والأذواء وسادات القبائل، وظهر ذلك فى أن الأقيال قد قدموا أسماءهم في النصوص على اسم المزاود، ومنذ القرن الثالث الميلادى أختفى ذكر «المزاود» فى النصوص، وأنفرد الملوك والإقطاعيون والكبار بالحكم وأخذ الملوك بمبدأ «حكم الفرد» ومن ثم فقد فقدت بلاد العرب الجنوبية هذه الميزة الكبيرة، وهى ميزة التعبير عن الرأى والمشاركة فى الحكم وربما مما ساعد على إنزواء هذه المجالس التشريعية وتقليص دورها تدخل الجيش بصورة مستمرة فى شئون العرب الجنوبية، وأنتزاعهم الحكم بالقوة من أصحابه الشرعيين، وإنفراد حكامهم وحدهم بالحكم، وقيام حكام العرب بمقاومة الأحباش وإنفرادهم بالرأى، ففى مثل هذه الأحوال السياسية الضبابية يتقلص دور المجالس التشرعية بل وينعدم دورها.

ومنذ بداية القرن الثانى قبل الميلاد بدأ فى الظهور منصب سياسى جديد هو منصب «ولى العهد» بجانب منصب «الملك» مما قد يشير إلى ظهور نظام «الحكم المشترك»، بل أوردت بعض النصوص ما يشير إلى اشتراك أكثر من ابن مع والده ، بل إن هناك ملكا ورد أسمه ومعه حفدته يحملون لقب الملك.

وربما كان لذلك تداعيات أخرى فى جكومات بلاد العرب الجنوبية، حيث بدأ يظهر على مسرح الأحداث فى هذه المنطقة ظاهرة التناحر والتنافس بين الأسر على الملك حتى أصبحنا نرى أكثر من شخص يدعى أنه صاحب الحق فى الملك فى وقت واحد يحمل كل منهما لقب ملك.

ويلاحظ أن منصب «الملك» لم يكن قاصراً على الرجال وحدهم، بل كان هناك من النساء من تولين الملك فى بلادهم، ومن هؤلاء الملكات، ملكة سبأ التى كانت معاصرة لسليمان عليه السلام وذلك فى القرن العاشر قبل الميلاد، وأظهرت النصوص الأشورية وجود العديد من من الملكات اللأتى حكمن فى

شمال الجزيرة العربية ومن هؤلاء الملكات «زبيدة» التى كانت معاصرة للملك الأشورى «تجلات بلاسر الثالث» وربما كان مقر ملكها فى دومة الجندل، الجوف الحالية فى شمال غرب بلاد العرب، وكذلك الملكة «شمس» (سمس) التى كانت معاصرة أيضاً له، وكان يوجد ممثل له فى بلاطها، وفى عهد « سنحريب» (بداية القرن السابع قبل الميلاد)، كانت الملكة «تلخونو» يمتد ملكها من دومة الجندل وحتى حدود بابل، وقد وقفت بجانب الثوار ضد سنريب، وعندما تمكن من القضاء على الثورة إتجه إلى دومة الجندل وفرض الحصار عليها، مما أدى إلى استسلام الملكة، وقام بأسر الأميرة «تبؤه» وأخذها إلى العاصمة الأشورية تمهيداً لإعدادها لتكون ملكة على قومها تعمل بأمر أشور، وتنفذ سياسة ملوكها.

وهناك ما يفيد أن المرأه العربية شغلت منصب «الوصية» على الملك الطفل، فهناك من دولة «الأنباط» (رب إيل الثانى) والذى حكم فى القرن الأول الميلادى، قد بدأ حكمه تحت وصاية أمه «شقيلة»، وكان أخاه «أنيس» يساعد أمه فى شئون الحكم، كما كانت الزباء (زنوبيا) وصيه على ولدها فى تدمر بعد مقتل زوجها أذينة.

وفى نهاية الحديث عن النظام الملكى نشير إلى مظاهر التتويج فى بلاد العرب، فكان من عادة الملوك الإعلان عن تتويجهم، والاحتفال بيوم التتويج، وعندئذ يتلقب الملك بلقب يختاره لنفسه، وكان من عادة ملوك حضرموت الأحتفال بحمل اللقب فى حصن أنود، وقد يدعى إلى هذه الاحتفالات رجال من حكومات أخرى لمشاركة الملك وحكومته، ولا يستبعد وجود مندوبين من خارج الجزيرة العربية لحضور هذه المناسبات. ولم تصل إلينا أدلة أثرية أو نصيه يمكن الإستدلال منها عن كيفية إحتفال ملوك العرب الشمالية فى كندة وغيرها

بتتويجهم، إلا إنه يستدل من أثارهم أن عادة اتخاذ الألقاب الملكية لم تكن معروفة عندهم.

ثانيا: النظام القبلي:

يعتمد النظام القبلى على قاعدة شعبية قوامها كل أفراد القبيلة أو التجمع القبلى وذلك فى حالة وجود كيان سياسى يضم أكثر من قبيلة، وتمثل القبيلة فى البادية دويله صغيرة، إذ كان لكل قبيلة أرض تعيش عليها وتنزل بها وتعتبرها ملكاً لها، وتكون الأرض التى تحل بها القبيلة منزلاً لها ومنازل لأبنائها، وتمتد أرض القبيلة إلى المواقع التى تصل بيوتها إليها، وتعين حدود القبيلة بالظواهر الطبيعية البارزة، مثل التلال والأودية، ونظراً إلى عدم وجود حدود جغرافية بارزة تفصل بين مواطن القبائل كانت الحدود سبباً من أسباب النزاع المستمر والقتال بين القبائل.

ولكل قبيلة حق حماية أرضها، واذا أراد غريب أجتياز أرضها فلابد مذأ ن يكون فى حماية إنسان منها، أما إذا أرادت قافلة أو جماعة المرور من أرض أحد القبائل، فكان عليها أن تأخذ إذن من القبيلة يخولها المرور من أرضها والا تعرضت للمنع والقتال، لذا كان لابد للتجار من ترضية سادات القبائل للسماح لهم بالمرور، بدفع حق المرور، وهى أتاوات تعارفت القبائل على أخذها من انمارة بأرضها.

ويلاحظ إنه فى أيام الجفاف لم تكن الأوطان ثابتة، حيث ينتقل البدو من مكان إلى آخر بحثاً عن مواطن الماء والكلأ، حيث كان الماء أهم ما تملكه القبائل فى الصحراء، لذلك كان تنظيم السقى كان من أهم واجبات القبيلة، لأن الإخلال بحقوق السقى قد تؤدى فى الغالب إلى حدوث قتال ومعارك بين القبائل، ولقد كانت القاعدة أن ماء القبيلة مشاع بين أبنائها، أما المياه المحميه من السادة والرؤساء، وكذا المياه الخاصة

كالآبار التى يحفر أصحابها فتكون خاصة بهم، لا يجوز الإستقاء منها إلا بإذن.

وكان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه شيخ يختارونه من بين أحرار القبيلة، وكان يطلق عليه الرئيس أو الشيخ أو الأمير أو السيد، وكان من أشرف رجال القبيلة وأشدهم عصبية وأكثرهم مالاً، وأكبرهم سناً وأن يتصف بالكرم والحنكة والشجاعة والصدق والمقدرة على كظم الغيظ وأن يحترم الناس مهما كانت منازلهم، وأن يؤلف بينهم ويكسب محبتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن قيادة القبيلة ليست بالأمر السهل اليسير، وخاصة إذا كانت القبيلة كبيرة ذات عشائر منتشرة فى مواقع متباعدة ففى هذه الحالة كان رؤساء العشائر يستغلون فرصة إبتعادهم عن أرض الأم ويعلنون إنفصالهم عنها، وتوليهم أمرهم بأنفسهم، مما قد يؤدى إلى حدوث حرب على القبيلة العاقة، كما كان لتباعد بعض رؤساء القبائل وتحاسدهم أثره فى عدم قبولهم لتولى أحد منهم رئاسة القبيلة، فكانوا يلجأون إلى القوى الكبرى المحيطة بهم لتتولى هى رئاستهم، وظهر ذلك فى قبائل ربيعه، التى كان ملوك كندة يتولون رئاستها.

أما عن طريقة تولى الرئاسة وكذلك انتقالها من رئيس إلى آخر، فالنصوص لا تقدم شيئاً محدداً عن ذلك، فلقد جمعت بين الوراثة والاختيار، فلقد كانت وراثية مثل سائر الرئاسات عند العرب كالمكربيين والملوك والأقيال والأذواء وغيرها من الرئاسات، وعلى ذلك فكانت رئاسة القبيلة تنتقل من الأب إلى الأبن الأكبر.

وكانوا يلجأون إلى الإختيار والشورى فى حالة عدم وجود وريث للرئيس المتوفى، أو عند وجود تنافس أو تباغض بين أبناء الرئيس المتوفى من زوجات مختلفات، أو عند وجود رجال لهم من الكفاءة والشهرة ما يفوق كفاءة وشهرة أبناء الرئيس المتوفى.

ولم يكن شيخ القبيلة صاحب السلطات المطلقة فى تصريف شئونها، فلقد كان يوجد إلى جانبه مجلسان يشاركان فى تصريف أمور القبيلة، وهما مجلس أعيان القبيلة، والمجلس الأخر كان يضم كل أفراد القبيلة، وكان النقاش داخل مجلس الأعيان ديموقراطياً يتسع للرأى ونقيضه، مما كان يضطر عنده شيخ القبيلة للإستعانة برؤساء العشائر وأصحاب الشرف منهم للتأثير على الأفراد للأخذ برأيه وكافة أوامره، وبهذا كان الحكم فى القبيلة مستمداً من رأى وجهاء القبيلة وعقلائها وفرسانها.

وتمتع شيوخ القبيلة ببعض الإمتيازات ، وأهمها، حق المرباع، وهو حقه فى أخذ ربع الغنيمة من الحروب التى تخوضها القبيلة، وكان يمثل هذا الحق إمارة من إمارات الفخر والجاه والرياسه عند العرب، ومنها، الصفى وهو ما يصطفيه شيخ القبيلة لنفسه من الغنيمة سواء كانت أموالاً أو خيولاً أو أسلحة أو نساء، ومنها النشيطة وهى الغنيمة التى يحصلون عليها قبل بلوغهم المناطق التى كانوا يقصدونها، ومنها الفضول، وهو لا يمكن قسمته على عدد من الغزاة كالبعير والفرس ونحوهما.

ومن هذه الإمتيازات كذلك ما يعرف باسم «الحمى» وهى الأرض التى تحمى من الناس فلا يستطيع أحد أن يرعى فيها إلا بموافقة من حماها، أو هو موضع كلأ يحمى من الناس أن يرعوا فيه، وهى تنشأ عند الغزو، وكان يختار شيخ القبيلة لنفسه خيرة الأرض فيجعلها فى حماه، ولم يتمتع بهذا الحق إلا سادات القبائل الكبار، وأصحاب العز والجاه وكثرة العدد.

ثالثاً: حكومات المدن:

من أبرز حكومات المدن فى الجزيرة العربية، حكومتى مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وديدان العلا:

١- مكة المكرمة:

يعتبر «قصى بن كلاب» أول رئيس لمكة المكرمة وردت إلينا أخبار عنه، وذلك فى القرن الخامس الميلادى، ولقد قام قصى بالعديد من الأعمال فى مكة ومن أبرزها، أنه قام بتجميع القرشيين فى وادى مكة ، وجعل لكل بطن منهم حياً خاصاً على مقربة من الكعبة، حتى تكون منازلهم بجوار البيت الحرام، حتى يقوموا بصيانته وخدمته، كما قام بتجديد بناء الكعبة.

ومن أهم أعماله الإدارية التى نظم بها شئون الحكم والإدارة فى مكة إنه أقام دار الندوة، التى كان يدار فيها أمور المدينة جميعاً من حرب أو تجارة أو زواج، وكانت تحت رئاسته، وإما أعضاء دار الندوة، فكانوا جميعاً من ولد قصى وبعضاً من غيرهم، على شريطة أن يكون قدبلغ الأربعين من عمره، أو كان من ذوى القدرات الخاصة، وهكذا كانت دار الندوة بمثابة دار مشورة وحكومة فى آن واحد يديرها رؤساء العشائر وأصحاب الرأى والحكمة، وقد ظلت دار الندوة قائمة حتى العصر العباسى.

ونظراً لموضع مكة المكرمة الخاص ووجود البيت الحرام فيها، فقد جعل قصى الأعمال المتصلة به وزواره من الحجيج فى إلى إهتماماته، فقد جعل سدانة الكعبة وهى خدمة البيت الحرام من أهم الوظائف الهامة، وكان على المسئول على لاسقاية توفير المياه لزوار البيت الحرام، ويروى إنه قام بحفر بئر أسماها «العجول» ، ون القوم صاروا على منواله، فقاموا بحفر العديد من الآبار فى منطقة مكة المكرمة، وأنشئت فيها أماكن للسقاية، ثم أوكلت سقاية الحجاج إلى البطون القوية فى مكة، وهكذا أصبحت السقاية موضع فخر وتفاخر لمن يقومون بها.

ويتصل برعاية الحجاج أيضاً، ما قام به قصى ويعرف بأسم «الرفادة» وهو خرج كانت تدفعه قريش إلى قصى من أموالهم ليصنع منه طعاماً

للحجاج ممن لم يكونوا على ميسرة، ولقد أسندت قريش أمر ضيافة الحجاج إلى الأغنياء منهم، ورغم ما فى هذا الأمر من أعباء مالية كانت تتحملها قريش، إلا إنه من ناحية أخرى كان يعتبر عقد حلف وجوار مع القبائل العربية وهو الأمر الذى أنعكس بالإيجاب على تجارة مكة.

كما أمسك قصى فى يديه رئاسه الجيش فى الحرب، وهو ما يعرف باسم «اللواء»، ومعنى ذلك أن قصى قد جمع فى يديه جميع ما يتصل بمكة المكرمة إدارياً وإقتصادياً وإجتماعياً وعسكرياً.

ومع ذلك فإنه لا يمكن تحديد نظام الحكم فى مكة المكرمة تحديداً دقيقاً، فبينما يرى البعض إنه كان جمهورياً بالمعنى الكامل للجمهورية، نرى من واقع الأحوال إنه لم يكن سوى تنظيماً قبلياً فى جوهره، وإن بدا فى ظاهره تنظيماً جمهورياً، حيث لم يحصل الزعيم على لقب معين، كما أن العشيره كانت تتمتع بحريه كامله، بل أن كثيراً من الأفراد إنما كانوا يخرجون على رأى القبيله.

وعلى ذلك فأن الحكومه فى مكه المكرمه لم تكن ملكيه، حيث لم يكن لها ملوك، ولم تكن أيضاً جمهورية أرستقراطيه أو ديموقراطيه حسب المفهوم منهما، وإنما كانت أمور الحكم فيها تجرى كما هو متبع فى الباديه، والتطور الذى وصلت إليه مكه المكرمه هو أنه لم يكن لها سيد أو شيخ يرجع إليه فى أمور المدينه، وإنما كان لها ساده وشيوخ يجتمعون فى دار الندوه أو البيت الحرام لإدارة شئون المدينه.

٢- المدينة المنورة :

نظراً لطبيعة التنافس الشديد بين كل من الأوس والخروج فى المدينه المنوره على الرياسه والسلطات، لم يتمكن أحد منهم من فرض سلطاته على المدينه، فقامت الحروب بينهما، وإن كان للأوس مكانتهم الإقتصاديه، بينما كان الخزرج مكانتهم السياسيه.

وقد حاول عرب يثرب الخروج من هذا المأزق وحل مشكلة الحكم فى المدينه بأن يكون من الأوس أمير ومن الخزرج أمير يحكمان حكماً مشتركاً، أو على التوالى، كأن يحكم كل أمير سنه بالتناوب، غير أن هذا الحل لم يكتب له النجاح، وبقيت المشكله مستعصيه بين الطرفين حتى جاء الإسلام.

وكان للتنافس بين الطرفين أثره فى عدم وجود دار للندوه مثلما ظهر فى مكه، أو «نوادى الملأ» التى ظهرت فى العديد من المناطق فى الجزيره العربيه، حيث كان الإتفاق فيما بينهما لتكوين مثل هذه الدور من الأمور الصعبه وغير الممكنه.

٣.الطائف :

كان لسادات البطون والأحياء سلطتهم فى أحيائهم التى يعيشون فيها، أما أمر المدينه كلها فكان فى أيدى مجلس يعرف بأسم «ملأ المدينه» وكان يدار فيه شئون المدينه سواء السلميه أو الحربيه.

٤.ديدان (العلا) :

كان لمدينة ديدان وضع خاص، حيث إنها كانت تابعه لدولة معين فى الجنوب، ونظراً لوقوعها فى أقصى الشمال الغربى لبلاد العرب، فقد عين عليها ملوك معين ولاه من قبلهم أطلق عليهم لقب «كبر» أى «كبير» وكان يعهد إليه بإدارة شون المنطقه والمحافظة على الأمن فيها وجمع الضرائب وإرسالها إلى العاصمة «قرناو».

ووجد بجانب هؤلاء الولاه حاميه عسكريه وجاليه تكونت من التجار الذين مثلوا مُورداً إقتصادياً للقبائل المجاوره لهم وكذلك أهل الواحات، نظير ما يقدمونه لهم من مساعدات.

الفصل الثالث

المـوارد الاقتصـاديـة

المـوارد الاقتصادية

تنوعت الموارد الاقتصادية فى جزيرة العرب حسب مناطقها المختلفة مما كان له أثره فى تنوع حياة سكانها ونشاطهم، فكان فيها الموارد المعدنية والنباتية والزراعية والحيوانية، كما قامت طرق التجارة فيها بدور فعال فى إثراء الحياة الاقتصادية لسكان جزيرة العرب فى العصور القديمة، وسنتناول فيما بعد بشىء من التفصيل المظاهر الرئيسية للموارد الاقتصادية، ونبدأ الدراسة بالموارد المعدنية.

١ - الموارد المعدنية :

نظراً لامتداد شبه الجزيرة العربية، فقد تنوعت مظاهر السطح فيها مما أدى إلى تنوع الموارد الطبيعية الموجودة فى أرضها، ففى مناطقها الغربية المطلة على البحر الأحمر وكذلك القريبة من رأس خليج العقبة والعلا توجد خامات المعادن، وتوجد أكاسيد الحديد فى عسير و وادى الدواسر، أما الذهب فيوجد فى العديد من المناطق وكذلك النحاس والقصدير والفضة.

ومن أهم الموارد المعدنية :

الذهب :

أشار المؤرخون اليونان والرومان والجغرافيون العرب إلى أن الذهب كان يستخرج من عدة أماكن فى جزيرة العرب، وأنه كان يستخرج من بعضها خالصاً نقياً لا يعالج بالنار من الشوائب المعدنية ولا يضطر لتنقيته.

وتشير وثائق الشرق الأدنى القديم وكتابات المؤرخين اليونان والرومان إلى شهرة بلاد العرب بما فيها من كميات كثيرة من الذهب كانت تقدم كجزية أو هدايا إلى ملوك الشرق القديم، فقد أشارت التوراة إلى تقديم ملك سبأ للذهب إلى ملك العبرانيين، وأشارت النصوص الآشورية إلى ذلك أيضاً،

فتذكر نصوص الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) إلى حصوله من السبئيين على جزية تتكون من الذهب والفضة والأبل وتكرر الأمر فى نصوص الملك «سرجون الثانى» (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) الذى ذكر أنه أخذ من ملك سبأ الذهب والخيل والجمال.

وبالغ الجغرافى «سترابون» فى وصف ما يملكه السبئيون من الذهب، فقد ذكر أنهم يمتلكون كميات كبيرة من الذهب التى تصنع منها الأسرة والموائد الصغيرة والأوانى والكؤوس، كما رصعت أبواب المنازل وجدرانها بالذهب.

ولقد كشف فى موقع «مهد الذهب» على الأدوات التى استخدمها العرب القدامى فى استخراج الذهب واستخلاصه من الشوائب مثل أدوات التنظيف ومدقات ومصابيح، كما كشف عن طرقهم فى حفر العروق التى تكون الذهب.

ومن الأماكن التى كان يستخرج منها الذهب فى جزيرة العرب، وأدى تثليث على بعد حوالى ١٨٣ ميلاً من نجران، ومهد الذهب إلى الشمال من المدينة، وكذلك أرض مدين.

الفضة:

اكتشف العديد من المناجم فى الجزيرة العربية التى استخرج منها العرب فى العصور القديمة الفضة، ومن هذه المناطق التى استخرج منها الفضة، مناجم شرقى القنفذه، والمنطقة الواقعة بين وادى قيدونة ووادى بنا، كما استخرجت الفضة أيضاً من منطقة الرضواض فى اليمن.

المعادن الأخرى:

يوجد النحاس مصاحباً للذهب فى مناطق توزيعه، ومقترناً بعروق الكوارتز، وتوجد رواسب الحديد الحبيبى فى وادى فاطمة على امتداد مساحة يبلغ طولها ٨٠ كم وعرضها ٣٠كم، كما يوجد الحديد من جبل أوساس على

مسافة ٦٥ كم شمال شرق جدة، وشمال شرق مكة المكرمة، ولقد عثر على مصنوعات حديدية فى اليمن ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام، حيث استخرج العديد من العديد من مناطق تل سعده ونقم وغمران.

٢- الموارد النباتية:

تعددت المواردالنباتية فى الجزيرة العربية وكان لبعضها أهمية اقتصادية كبيرة لسكان الجزيرة العربية سواء فى حياتهم الاقتصادية أو تجارتهم الخارجية، ومن أهم هذه الموارد :

النخيل:

كان النخيل من مصادر الثروة فى جزيرة العرب، حيث كان النبات الوحيد الذى يزرع فى جميع أنحاء الجزيرة العربية وذلك فى أى مكان يوجد به ماء، وكان التمر هو وسيلة العيش الأساسية التى يعيش بها الأعرابى.

وتعتبر شجرة النخيل من أقدم الأشجار التى عرفها الساميون، نظراً لفوائدها المتعددة، فقد قدسوها، كما قدسوا ثمرها.

الكروم:

اشتهرت العديد من المناطق بزراعة الكروم كالطائف واليمن.

اشجارالأخشاب:

لم تظهر فى جزيرة العرب الأشجار الضخمة التى تستخدم فى صناعة الأخشاب نظراً لجفاف مناخها، وإن ظهرت أنواع الأشجار التى تلائم طبيعة هذا الجو الحار، ومن هذه الأشجار، شجر السدر، وهو من الأشجار المعروفة فى جزيرة العرب، وتتميز بقوة ساقها وكثافة أفرعها، وهى لا تحتاج إلى رى دائم نظراً لامتداد جذورها فى أعماق الأرض، ويستعمل ورقها فى تنظيف الجسم، ويؤكل ثمرها (النبق)، وهى توفر الظل فى قيظ الصحراء، ونظراً لفوائدها المتعددة، فقد قدسها العرب القدامى، وتقربوا إليها بالنذور. ومن هذه

الأشجار أيضاً، الأثل والأراك والعض (الذى يستخرج منه الفحم)، والسنط، وغيرها من الأشجار التى لا تزال تنمو وتعيش فى مواقع متعددة من الجزيرة، ويوجد بعضها فى الأقسام الغربية والجنوبية، حيث تنمو على المرتفعات.

البخــور:

كان البخور من المواد الثمينة ذات السعر العالى بالنسبة لتجارة ذلك الوقت، وقد اكتسبت شجرته أهمية خاصة فى العصور القديمة، حيث كان احراق البخور يشكل طقساً أساسياً من الطقوس الدينية فى العالم القديم، وذلك فى المناسبات الرسمية والحياة اليومية، فكان البخور يحرق فى المباخر حيث يتم تبخير المعابد والأصنام، كما كانت تبخر به المنازل والثياب وكذلك الضيوف.

واعتبر بخور حضرموت وظفار من أجود أنواع البخور، وقد لعب دوراً كبيراً فى تاريخ العرب القديم، فكان من أقدم السلع التى قامت عليه تجارة العرب القدماء عبر الجزيرة العربية، بل كان العامل المشترك فى تاريخ العرب القديم، حيث كانت السيطرة على تجارته وعلى الطرق التى تسير خلالها هذه التجارة المحور الأساسى فى سياسة ونشاط هذه الدول، ويرجع السبب فى ذلك إلى ما كانت تدرة تجارة البخور على من كان يسيطر عليها من ثروة طائلة، نظراً لأنه كما سبقت الإشارة كان يشكل مادة أساسية فى طقوس المعابد والمقابر عند الشعوب القديمة فى مصر والعراق والشام فى بلاد اليونان والرومان.

ولقد أدى المناخ الجاف لمنطقة حضرموت ومنطقة ظفار (تقع الآن داخل حدود دولة سلطنة عمان) بالإضافة إلى تكون السحب المنخفضة والضباب فوق سواحلها وعلى منحدرات جبالها القريبة من الساحل، وخاصة فوق جبال القراء، نمو «اللبان» الذى كان يحرق كالبخور كما استخدم كعلاج للعديد من الأمراض.

واللبان هو عصارة شجرة تنمو على المرتفعات، وتشبه شجرة الصمغ فى طبيعتها، ويجمع منها اللبان مثلما يجمع الصمغ وذلك بشق جزع الشجرة، وربط إناء أسفل الشق وتركه لمدة تصل إلى حوالى خمسة عشر يوماً، فتسيل عصارة اللبان من الشق وتتجمع فى الاناء.

٢- الموارد الزراعية:

نظراً لعدم وجود أنهار فى الجزيرة العربية دائمة الجريان، فقد انحصرت الزراعة فيها فى الأماكن التى تكثر فيها الأمطار مثل جنوب الجزيرة العربية فى منطقة اليمن، وكذلك فى المناطق التى يوجد فيها آبار وعيون مثل وادى القرى فى الحجاز والأحساء على الخليج العربى، وفى الأودية التى تكثر فيها المياه الجوفية، ومن أهم هذه الأودية، وادى الرمة، وهو يمتد من شرق المدينة المنورة فى اتجاه شمال شرقى حتى يصل إلى مدينة البصرة على شط العرب، ووادى الحمض وكان يسمى قديماً «وادى اضم»، ويبدأ من جنوب حرة خيبر ثم يتجه إلى المدينة المنورة، ثم يسير فى مرتفعات الحجاز حتى يصل إلى تهامة فيتجه إلى الشمال الغربى حتى يصب فى البحر الأحمر.

ومنها كذلك، وادى السرحان، ويمتد من عمان بالأردن وحتى قرب «الجوف» جنوباً، ووادى حنيفة وكان يسمى «فلجا» وهو يمتد بين جبال طويق غرباً وهضبة العرمة شمالاً، ويجرى موازياً له من الشمال إلى الجنوب «وادى الأيسن» حتى مدينة الرياض، حيث يمتد فى جنوبها وادى السلمى، أما وادى الدواسر فهو يتجه شرقاً عبر وديان جبل طويق، وتنتهى مياهه شرقاً عند أطراف الربع الخالى، ووادى بيشه، وهو ينبع من مرتفعات عسير الشرقية قرب مدينة أبها ثم يسير موازياً لوادى «تثليث» حتى يتصل به شمال غرب مدينة الخماسين، ووادى فاطمة، وينتهى به وادى السيل ويصب فى البحر الأحمر جنوب ميناء جده، وهو الذى يزود مكة المكرمة والمدينة المنورة بالمياه.

ويعتبر وادى نجران من الأودية الكبيرة فى الجزيرة العربية، وهو عبارة عن عدة أودية منها وادى حرض، ووادى ثور، ووادى سهام، ووادى رماع، ووادى زين، ووادى نخلة، ووادى الجوف، ووادى مأرب وغيرها.

وتسقط الأمطار الموسمية على منطقتى اليمن وعسير، وهى تكفى لتأمين زراعة الأرض بشكل منتظم، وتسقط الأمطار فى كثير من الأحيان على هيئة سيول جارفة وتتحول الأودية إلى أنهار سريعة الجريان، وهو الأمر الذى دفع الإنسان منذ أقدم عصوره فى هذه المناطق إلى إقامة السدود، وتعددت السدود فى جنوب الجزيرة العربية، والتى من أهمها من غير شك «سد مأرب»، والذى تشير الوثائق التاريخية إلى أنه كان للمكرب «سمة على ينوف» فضل كبير فى تنفيذ أكبر مشروع للرى عرفته بلاد العرب، حيث شيد سد رحب للسيطرة على مياه الأمطار والاستفادة من السيول، وهكذا بدأ المشروع الكبير والذى عرف فى التاريخ بأسم «سد مأرب» الذى تطور ونما على مر الأيام حتى أكتمل فى نهاية القرن الثالث الميلادى.

وبالإضافة إلى «سد مأرب» فقد شيد العرب العديد من السدود الأخرى فى اليمن، مثل سد قصعان وريوان (سد قتاب) وشحران وطحان وسد عاد، وسد لحج، وسد سحر، وسد ذى سهال، وسد ذى رعين، وسد نقاطة، وسد نضار، وسد المليكى، وسد الدواس، وسد سيان، وغيرها.

ومن أهم المحاصيل الزراعية فى بلاد العرب القمح والشعير والذرة التى كانت تزرع خاصة فى اليمن، وكانت تخبز، كما كان يستخرج منها شراباً يسمى «المزر» وقد نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن شربه، كما عرف العرب زراعة الحمص والعدس الذى أطلقوا عليه «العلس» و «البلس» وهو معروف فى صنعاء، كما عرفوا القثاء والعجور والثوم والبصل والبطيخ الذى سمى بـ «الخربز».

وعرف العرب العديد من المعاملات الاقتصادية المتصلة بالزراعة،

ومنها ما يعرف باسم «المحاقلة» وتسمى «نحقل» فى المسند، وهى استئجار الأرض فى مقابل الحنطة أو الذهب، أو أى شيء يقوم مقامهما.

ومنها «المزارعة» وهى الاتفاق على أن يزرع شخص أرض شخص آخر لقاء نسبة معلومة من الثمر، وعلى نمطها كان هناك «المخابرة».

٤- الموارد الحيوانية:

تعتبر الحمير من أولى الحيوانات التى استخدمها العربى القديم فى الركوب فى النقل، ويعتبر وجوده فى الجزيرة العربية أقدم عهداً من الجمال والخيول والبغال، حيث استخدم كوسيلة للركوب والتنقل فى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

ويعتبر الجمل من أهم الحيوانات عند العرب، وأعزها لديه، ولقد أقترن الجمل بالبادية وأصبح رمزاً لها، فليس لحيوان آخر القدرة على اجتياز البوادى واختراقها وتحمل مشاقها وعطشها مثل الجمل، ثم أنه وسيلة الركوب التى استخدمها العرب لحملهم وحمل تجارتهم، كما يمدهم بالوبر الذى يصنع منه العربى بيته، حتى أطلق على الأعراب «أهل الوبر»، كما صنعوا من وبره العديد من أكسيتهم، كما يمثل لبنه غذائهم الرئيسى.

وكان الجمل ثروة العربى، حيث يحسب ثراء الفرد بما يملكه من الإبل، وحلت الجمال محل النفط حالياً، فكان يقدر مهر الفتاة بعدد الإبل، كما كانت تقدر الديات بالإبل، وغيرها من أوجه المعاملات.

ويتجه العلماء إلى الاعتقاد بأن استئناس الجمل كان فى الألف الثانية قبل الميلاد، وأن الموطن الأصلى لاستئناسه كان فى العربية الشرقية، وذلك اعتماداً على اطلاق العراقيين القدماء على الجمل اسم «حمار البر»، وأن المقصود بالبر هو الخليج، وأن لفظة «الجمل» (جملو/ كملو) فى الأكادية أنما وردت من بادية الشام، وأنه استخدم فى البادية أولاً ثم انتقل إلى العراق والبلاد الأخرى.

وكان لاستئناس الجمل أثره فى الحياة العربية القديمة، حيث تمكن العرب منذ أواخر النصف الثانى من الألف الثانية قبل الميلاد من السكن فى البوادى والتنقل فيها واختراقها، أما قبل ذلك فكان ذلك أمراً عسيراً، حيث لا يستطيع الحمار الذى كان يستخدمه فى تنقلاته تحمل عبور البوادى ومناخها القاسى.

فلقد فتح الجمل للعرب آفاق البوادى، ووسع البداوة عندهم، حتى جعلها عالماً خاصاً يقابل عالم الحضارة فى الجزيرة العربية، وأصبح أهم وسيلة لنقل التجارة بالطرق البرية الطويلة التى تربط أجزاء الجزيرة العربية بعضها ببعض، وتربط طرق الجزيرة مع الطرق الخارجية، حيث صار فى إمكان العرب التنقل إلى مسافات بعيدة من الجزيرة، وهناك نوعان من الابل، جمال العدو، وجمال الحمل، أما الأول، فالهجان أو الهجانة، أى خيار الإبل، وتسمى ذللا، والواحد فيها ذلول، وتستخدم للركوب، ثم «البعران» – جمع بعير – وهى الابل التى تستخدم للحمل، وإن كانت أقل إبل الصحراء لبناً، بينما تلعب الذلل دور الخيل فى نطاقها، من حيث الحرب والانتقال.

ويعتبر الخيل من الحيوانات الهجينة الدخيلة على بلاد العرب عن طريق العراق أو الشام أو مصر، أو من بعضهم أو كلهم.

ولقد بقى العرب حتى ظهور الإسلام لا يملكون عدداً كبيراً من الخيل، حيث كانت تكاليف الخيل عالية لا يتحملها إلا من هم على يسار من القوم، واستعملت الخيل فى المعارك، كما كانت وسيلة من وسائل التسلية والترفيه عندهم، حيث استخدمت فى السباق، وإبراز مهارات الفروسية، والخروج للصيد.

وعلى ذلك فلم تكن الخيل معروفة بشكل واسع فى الجزيرة العربية، حيث أن البيئة الصحراوية التى تشمل معظم أنحاء هذه المنطقة ليست ملائمة لتربية الخيول، فهى لا تعيش فى المناطق شديدة الحرارة، كما أن

السطح الرملى للصحراء لا يلائم حوافرها، كما أنها ليست منتجة بالنسبة له فلا يستطيع التغذى على ألبانها.

وهكذا كان اقتناء الخيول هواية غالية وكمالية، وأصبحت سمة من سمات الأبهة والتفاخر فى المجتمع، وكان للعناية الشديدة بها لمن يملكها ويقدر على نفقاتها أثره فى توليد أعظم السلالات فى بلاد العرب، والاعتزاز بها إلى ظهور أنساب لها، ولعل أعرق الخيل نسباً فى بلاد العرب، ما كان فى نجد، حتى يمكن القول بأن خيول نجد تعد من أفضل الخيول فى العالم.

ويتضح من ذلك أن الخيل لم تكن أصيلة فى بلاد العرب، ولم تكن من مصادر الثروة الشائعة لدى سكان الجزيرة العربية، فكان العربى يظهر فى آثار الشرق القديم المصرية والبابلية والآشورية والإيرانية، على أنه صاحب إبل وليس صاحب خيل، وكانت الإبل هى التى يشار إليها عند جمع الجزية، فنرى فى حوليات الملك الأشورى تجلات بلاسر الثالث أنه فرض على الملكة «شمس» جزية من الإبل، وفى الوثائق الإيرانية التى ترجع إلى عهد الملك «اكسركسيس الأول» (٤٨٦ – ٤٦٥ ق.م) يظهر العرب وهم يركبون الجمال وليس الخيل، ومن ناحية أخرى، فإنه يلاحظ أن الجغرافى «استرابو» قد أنكر فى كتاباته عن الجزيرة العربية، وجود الخيل فيها، وربما كان ذلك راجعاً، إلى عدم وجوده بكثرة لفتت انتباهه، حتى يمكن ذكرها.

ولم يستعمل العربى البغال بكثرة قبل الإسلام، وإن كانت معروفة فى بعض الأماكن، وتتميز البغال بقدرتها على تحمل المشاق، وقدرتها على السير فى المناطق الوعرة، وقد استعملت فى الحمل وفى الركوب، وإن كان يصعب عليها العمل فى البوادى ذات الرمال، كما أنها لا تتحمل مثل الجمل الجوع والعطش لفترات طويلة، وكان ذلك من أسباب عدم إقبال أهل البادية على تربيتها.

وتعتبر الأغنام هى المصدر الرئيسى لإمداد السكان باللحوم واللبن

والصوف، وقد تمت تربيتها فى كل أنحاء الجزيرة العربية، وربيت الماعز فى المناطق المتموجة، أى ذات التلال، والأراضى الجبلية بصفة خاصة، ويستفاد من لحومها وألبانها وجلودها، ويستعمل شعرها فى صناعة الخيام.

أما البقر وهو من الحيوانات القديمة فى بلاد العرب، وهى من الحيوانات المرتبطة بأهل الحضر فى الغالب، ولاسيما أهل الريف، أما الأعراب فإن استفادتهم فيها محدودة وغير ممكنة حيث أن تكاليفها كثيرة بالنسبة إليهم، كما أنها لا تستطيع تحمل طبيعة البادية، لذلك لم يقبلوا عليها، ولم يعتنوا بتربيتها، ولقد استخدمت الماشية فى حرث الأرض وسحب الماء من الآبار وجر العربات، كما استفاد الإنسان من لحومها وألبانها وجلودها.

٥- التجـــارة:

اعتبرت التجارة عند العربى القديم من المهن رفيعة الشأن، فيعمل بها الملوك والأشراف وكبار القوم ورجال المعابد، وكان لموقع الجزيرة العربية أثره فى احتلالها مكانة مرموقة فى عالم التجارة، حتى أصبحت التجارة الدولية تمثل مورداً اقتصادياً لا يستهان به لسكان هذه المنطقة.

وتاجر العرب فى العديد من السلع التى كان لهم شهرتهم فيها فى العالم القديم ويأتى الذهب على رأس هذه السلع التى يستوردها العراقيون والعبرانيون، وأهل الشام، ومن هذه السلع أيضاً البخور واللبان والتمر، وكان التمر من السلع غالية الثمن، وأقبل على شرائه المصريون والعبرانيون لاستخدامه فى الأغراض الدينية، حيث استخدمه المصريون فى التحنيط، واستخدمه العبرانيون فى الدهن المقدس وعلاج بعض الأمراض.

وتاجروا أيضاً فى الصبر والقرفة والقرنفل وكانوا يجلبونه من الهند وما وراءها، والكندر، وهو نوع من اللبان، وكان يستخدم كعلاج، وهو مستورد من الهند، كما أنه يوجد بكثرة فى جنوب الجزيرة العربية أيضاً.

وحقق العرب مكاسب هائلة من عوائد السلع التجارية التى كانوا

تخص اللات بما كانت تخص به قريش العزى، فكان الواحده منهم اذا ما قدم من السفر توجه الى بيت اللات فتقرب اليه وشكره على السلامه.

وتذهب المصادر العربيه الى أن «عمرو بن لحى» هو الذى ادخل اللات على العرب، وطبقا لرواية الاخباريين، فقد كان اللات رجلا من ثقيف ، فلما مات الرجل اشاع عمر بن لحى أنه لم يمت وانما دخل فى الصخرة ثم أمر بعبادتها وان يبنوا عليها بنيانا يسمى «اللات»، وكان تحت صخرة اللات حفرة يقال لها «غبغب» حفظت فيها الهدايا والنذور والأموال التى كانت تقدم للصنم. وكان اللات حمى وحرم فى جوار الطائف يقصده حجيج مكة وسواها ويقدمون لها الذبائح.

وتذهب المصادر العربية الى أن قريشا قبل الاسلام، انما كانت تطوف بالكعبة ، وتقول: «واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فأنهن الغرانيق العلا ، وأن شفاعتهن لترتجى».

ويعد الاله «بيل» من المعبودات التى عبدها الشماليون، وكان الها لتدمر، ومن المرجح أن أهل تدمر أخذوا الاسم بيل عن بابل حيث يطلق هذا الاسم على الاله بعل. وأن كان هناك من يرى أن بيل ليس مشتق اشتقاقا منطقيا من بعل، وإنما هو اسم مصطنع ابتدعه كهان تدمر ليجنبوا الجمهور الخطأ من الخلط بين بعل «وبعل شمين».

أما الاله «رضى» فهو إله الثموديين، وقد جاء فى النقوش الثمودية بصيغ مختلفة منها «رضو» و «رضى» و «رضا»، وقد ذكرته النصوص الصفوية كثيرا فى نقوش يتوسل فيها اصحابها اليه بأن يمن عليهم بالسلامة والنعم، وأن يبعد عنهم شر الاعداء وكيدهم. ويرى بعض الباحثين أن رضى قد عبد عند عرب الجاهلية كالهة انثى فى صيغته «رضى» أو «رضاء»، عبد كاله ذكر عند الثموديين فى صيغته المذكرة (رضو).

أما عبادة الكواكب فقد سادت جنوب شبه الجزيرة العربية، وكان أهم

سادت فى شبه جزيره العرب العديد من المعتقدات الدينيه سواء فى الجنوب أو الشمال أو وسط شبه الجزيره، وسنتناول فيما يلى المعتقدات الدينيه التى وجدت فى شبه الجزيره العربيه بشئ من التفصيل بدءا بالمعبودات التى عبدت فى الشمال، ثم المعبودات الجنوبية والتى كانت تتجه نحو عباده الكواكب، وبعد ذلك سنشير الى عبادة الاصنام، ثم إنتشار اليهوديه والمسيحية فى بلاد العرب، وأخيراً نتحدث عن الحنيفية ونبدأ دراستنا بالالهة الشماليه.

من هذه المعبودات التى عبدت فى الشمال الاله دوشرا وهو اله النبط الكبير الذى نشر القوم عبادته فى أماكن بعيدة تجاوزت حدود نفوزهم. ودوشرا هو لقب عربى اطلقه الانباط عليه ومعناه «سيد شراء والمقصود هنا الشراة، وهى المنطقه الجنوبيه التى تقع جنوبى البتراء، والتى لا تزال تسمى كذلك حتى اليوم، وقد جعله الكتاب اليونان بمنزله الههم «ديونيسوس» اله الخصب وبخاصة الكروم، وقد اتجه البعض الى الاعتقاد بأن دوشرا انما كان اله خصب وزرع فى الأصل، وذلك لأن منطقة الشراة التى نسب اليها كانت غنيه بالزرع والتمر.

أما اللآت فكانت كبيره الهه الصفويين واكثرها ورودا فى دعوتهم، بل ربما كانت أهم الالهه عندهم، وتعبد لها الانباط وعدوها أما الالهة، وقد ورد ذكر الات فى العديد من النقوش النبطيه ومنها تلك التى من «صلحد» بحوران، وترجع الى أعوام ٤٠، ٥٠، ٦٥م وتتحدث عن هذه الإلهة وعن بناء معبد لها. وقد عرف التدمريون اللات كذلك، وهناك نقش تدمرى يرجع الى عام ١٢٩م، يزكر «اللات» بين الاله شمس والاله رجيم، ويصف النقش هذه الالهة الثلاثه بأنها «الالهة الطيبه»، وقد صورت «اللات» فى الآثار التدمريه بسمات الالهة اليونانيه «ايثنى» الهة الحرب والحكمه، وهذا دليل على تقدير عظيم على حكمه اللات. واللات من الأصنام القديمة المشهورة عند العرب، ويبدو أنها انتقلت الى الحجاز من الانباط والقبائل العربيه الشماليه، وكانت لها مكانه عظيمه لديهم، فكانت ثقيف بالطائف.

الفصل الرابع
الفكر الديني

وكان يبدأ طريق القوافل من تمنع عاصمة قتبان ويتجه شمالاً مخترقاً الحدود الشمالية لمنطقة سبأ، ثم يخترق أرض معين ويستمر شمالاً حتى مكة، ومنها يصل إلى ديدآن (العلا الحالية) ومنها إلى مدين ثم البتراء عاصمة الانباط، ومن البتراء يتفرع الطريق إلى فرعين، أحدهما إلى تدمر فى الشمال، والآخر يتجه إلى الغرب والشمال الغربى حتى يصل إلى غزة.

طرق التجارة البحرية:

رغم وقوع الجزيرة العربية على مساحات مائية شاسعة إلا أنها لم تستفد منها فائدة كبيرة، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها غلبة الشعب المرجانية على شواطئ البحر الأحمر وبخاصة الشمالية منه، كما أن الخليج العربى تعوز سواحله المياه الصالحة للشرب مما عطل من امكانية استخدام هذه الشواطئ فى العصور القديمة، يضاف إلى ذلك عدم وجود الأخشاب الصلبة الطويلة التى تصلح لبناء السفن فى شبه الجزيرة العربية، وأدى ذلك إلى عدم وجود نشاط بحرى عربى من جانب شبه الجزيرة فى العصور القديمة.

ولقد بدأ النشاط البحرى لدول شبه الجزيرة بعد إنشاء مدينة الإسكندرية وعلى ذلك فالنشاط البحرى لشبه الجزيرة العربية بدأ متأخراً جداً. فظهر نشاط تجارى بين مدينة جرهاء على ساحل الخليج العربى وبلاد الرافدين، كما وجد نشاط تجارى بحرى بين شرق الجزيرة والصين.

أما النشاط التجارى البحرى فى البحر الأحمر فلقد ازداد خلال عصر البطالمة بصفة خاصة، فقد كان عهد ازدهار اقتصادى فى مصر، فأعيد حفر القناة التى تربط النيل بالبحر الأحمر، وشيد ميناء القلزم، وقد أولى بطليموس فلادلفوس الثانى اهتماماً خاصاً بالتجارة مع جنوب غرب شبه الجزيرة والحبشة، وكان للبطالمة محطات تجارية على طول ساحل البحر الأحمر حتى عدن، التى كانت ملتقى التجار الهنود والاغريق والعرب.

ويتفرع الطريق الرابع من الطرق الطولية الجنوبية الشمالية بعد مسافة شمالى يثرب فى اتجاه شمالى شرقى مارةً بعدد من الأماكن أهمها تيماء ثم دومة الجندل وينتهى إلى وادى الرافدين عند بابل على نهر الفرات، ويعتبر هذا الطريق من الطرق الهامة القديمة.

ويقع الطريق الخامس فى أقصى شمال شبه الجزيرة العربية، ويشكل هذا الطريق امتداداً صحراوياً لطريق تجارى يبدأ من شمال غربى بغداد على نهر الفرات، ويسير بمحازاة النهر حتى مأرب ثم تمتد غرباً إلى تدمر، وتمتد من تدمر غرباً إلى حمص حيث يتفرع إلى عدة أفرع نصل ما بين حمص من جهة والموانئ الفينيقية ودمشق وفلسطين من الناحية الأخرى.

وكانت تدمر هى حلقة الوصل فى هذا الطريق، وترجع أهمية هذا الطريق بجانب أهميته التجارية، إلى أهميته السياسية، حيث كانت تسكن هذه المنطقة قبائل بدوية متنقلة سببت الكثير من القلاقل للدول الموجودة فى سورية وبلاد الرافدين وعلى ذلك كانت السيطرة على هذا الطريق وتأمينه أمراً هاماً بالنسبة للقوى السياسية المحيطة به، وأدى ذلك إلى زيادة ازدهاره التجارى.

وبجانب هذه الطرق العريضة كانت هناك طرق طويلة موازية للبحر الأحمر تقريباً، وكانت تبدأ من أقصى جنوب شبه الجزيرة وتتجه شمالاً إلى المنطقة السورية وشواطئها فى الشمال، وكان يوجد ميناءان رئيسيان تتجمع فيهما السلع والبضائع، أحدهما هو الميناء المسمى قديماً «قنا» ومكانه الآن الموقع المسمى «بير على» على ساحل حضرموت والآخر ميناء «عدن»، وكان ميناء «قنا» المركز الأساسى لتجارة البخور بينما كان ميناء «عدن» المركز الرئيسى لتجارة سلع الترف.

ويبدأ هذا الطريق التجارى من قتبان فى الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة وحضرموت الواقعة إلى شرقيها وسبأ المتاخمة لها من ناحية الشمال،

يتاجرون فيها، سواء كانت محلية أو يقومون بالوساطة فى توزيعها، وهو الأمر الذى دعى العالم الرومانى إلى الاعتقاد بأن بلاد العرب كانت تتمتع بثراء واسع ممّا دفعهم إلى القيام بحملة فى عهد الامبراطور أوغسطس عام ٢٤ ق.م. للسيطرة على بلاد اليمن.

وتعددت الطرق التجارية التى استخدمها العرب فى تجارتهم، وكان لكل طريق تجارته التى تميز بها، وكان هناك طريقين رئيسيين، وهما الطرق البرية والطرق البحرية، وسنتناولهما بشىء من التفصيل.

طرق التجارة البرية:

تعددت طرق التجارة البرية التى تمر بشبه الجزيرة العربية وتربط بين أجزائها والعالم الخارجى، وكان منها الطرق العرضية التى تربط بين أجزاء شبه الجزيرة، ويمكن تتبع أربعة منها وكان يربط الأول منها فى الجنوب ما بين المناطق المنتجة للمر فى الغرب ويتخذ اتجاهاً شرقياً بطول الساحل المتعرج لشبه الجزيرة حتى يصل إلى المنطقة المنتجة للقرفة، ويبلغ طول هذا الطريق حوالى ٦٠٠ ميل، ولم يكن ينتهى هذا الطريق بميناء على شاطئ المحيط الهندى أو الخليج العربى، وعلى ذلك يرجح أن هذا الطريق كان يستخدم لتجارة القرفة.

أما الطريق الثانى فكان يتجه من القسم الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة شمالاً إلى مدينة جرهاء التى يرجح أنها تقع على مقربة من ميناء العقير الحالية فى وسط ساحل شبه الجزيرة المطل على الخليج، وكان يستخدم هذا الطريق فى نقل منتجات جنوب الجزيرة العربية إلى مدينة جرهاء ومنها كانت تنقل إلى وادى الرافدين اما بالطريق البرى أو فى قوارب.

ويبدأ الطريق البرى الثالث من مكة وينتهى إلى وادى الرافدين، ولم يكن لهذا الطريق من الشهرة ما للطرق الأخرى، ولذلك فلم يذكره الجغرافيون والكتاب الكلاسيكيون الأوائل.

بيوت الأصنام هذه لها حرمتها عند العرب، فكانت ملاذا لمن يلجأ اليها حتى بالنسبة للمطلوبين من قبل العدالة.

أما عن انتشار اليهودية فى بلاد العرب، فلقد عرفت هذه الديانة منذ أقدم عصورها، نظراً لأن بلاد الشام كانت مهدا لليهودية ولذا لم يكن من الغريب أن تصل الى بلاد العرب وخاصة الأقاليم المتحضرة منها والتى كانت لها علاقات اقتصادية وسياسية بالعالم الخارجى. وفيما يتصل بانتشار اليهودية فى اليمن - فقد كان - طبقا لرواية الاخباريين منذ أيام تبان أسعد أبو كرب ملك اليمن الذى كان قد خرج لحرب الاوس والخزرج بالمدينة يثرب، وأنه اراد خراب المدينة فمنعه حبران من اليهود من ذلك، وأقنعاه بما للمدينة من حرمة «وأنها مدينة النبى» مما يمكن ان يعنى أنهما نجحا فى ادخاله فى ديانتهما. وتذكر الرواية أيضا أنه عندما عاد الملك الى بلاده اصطحب الحبرين معه، وأعلن ترك عبادة النار التى كانت تعبدها حمير، وأن اليهودية هى ديانة البلاد. وأدى ذلك الى غضب القوم علية لخروجه على دينهم وتم الاحتكام الى النار فلم تؤثر فى الحبرين شيئاً، وبذلك تأكدت اليهودية كديانة رسمية - ويرى بعض المؤرخين ان هذه الرواية أقرب الى القصص الشعبيه ومن الصعب التصديق بصحتها.

وهناك نص عرف بنص (جلازر ٥٥٤) من القرن الخامس الميلادى جاءت فيه جمله «رب السماء والارض» وقد استدل البعض من هذه الجملة أنها تشير الى التوحيد الخالص. وتشير رواية أخرى الى أن اليهودية قد انتشرت فى اليمن منذ أيام ذى نواس التى كانت امه يهودية وقد ساعد على انتشار اليهودية وقتذاك أن ملوك حمير لم يخشوا على أنفسهم من اعتناق اليهودية ان تتسلط عليهم دولة ذات سلطان كبير ونفوذ واسع. حيث لم يكن لليهودية فى ذلك العصر دولة سياسية.

ويرى الاستاذ العقاد - ان اليهود وصلوا الى اليمن مهاجرين متفرقين، وربما بدأت هذه الهجرة منذ أيام السبى البابلى، فى القرن السادس ق.م

أما (يعوق) فكان صنم لكنانة ومن قبل كان لقوم نوح، وكـان (يعوق) على هيئة الحصان وقد عبدته قبائل همدان فى قرية خيـوان وهى على مسيرة ليلتين من صنعاء بالنسبة للقادمين اليها من مكة.

أما الصنم (نسر) فكان من معبودات قبائل حمير فى موضع يقال له بلخغ من أرض سبأ من اليمن وذلك قبل دخول حمير فى اليهودية. وتذهب المصادر العربية الى أن كلمة نسر اسم كوكبين يفرقون بينهما فيقولون النسر الواقع والنسر الطائر، والراجح أن يعوقا ونسرا كانا كوكبين، قبل أن يكونا صنمين، وكـان يصور على صورة نسر من الطير، وقد وجدت له اصنام منحوتة على الصخر، وبخاصة فى أعالى الحجاز.

أما (يغوث) فكان يعبد فى قبيلة مدحج وهى قبيلة يمنية الاصل ويتجه بعض الباحثين الى أن يغوث يمثل الاسد، وأنه كان (طوطم) مدحج تحمله معها آبان وقوع المعارك بينها وبين اعدائها وأنه كان يتولى مهمة الدفاع وقد ادخل القوم اسم صنمهم هذا فى تركيب بعض الاسماء، ومن ثم فقد وجدنا اسم (يغوث) يتردد بين كثير من القبائل العربية.

أما (ذو الخلصة) فقد عبد فى تبالة جنوبى مكة فى طريق اليمن على مسيرة سبع ليال، وكان يصور عادة على هيئة «مروة» (صخرة) بيضاء منقوشة، وكان سدنته من بنى امامة من قبيلة باهلة، وقد ارسل الرسول عليه السلام جرير بن عبد الله لهدمه بعد فتح مكة، فنشبت بينه وبين قبيلتى خثعم وباهلة القتال، اذ ان هذه القبائل دافعت عن الصنم بشدة.

وتعد الكعبة اعظم بيوت الاصنام فى بلاد العرب، وقد شبهها بعض الباحثون المحدثون بالبانتيون اشهر معابد الآلهة فى روما القديمة، وكانت الاصنام توضع فى جوفها وحولها. وتتمثل طقوس عبادة هذه الاصنام فى زيارتها أو الحج اليها وتقديم الهدايا لها، كما كانت تقرب عندها القرابين من الذبائح وخاصة عند استخارتها فى الأمور الشخصية أو الأمور العامة. وكانت

أما (ود) فد جاء ذكره فى القرآن الكريم بين خمسة اصنام عبدها قوم نوح، عليه السلام، وقد عرف (ود) لدى المعينيون من أهل اليمن قديما رمزاً للاله القمر، وذلك فى منطقة دومة الجندل، فى وادى القرى، وحسب وصف ابن الكلبى كان ود تمثالا على هيئة رجل ضخم، والظاهر ان سدنته من قضاعة قد كسوه من الثياب حلتين واحدة فوق الاخرى، وقلدوه سيفا وجعلوا قوسا على منكبه وحربة بين يديه تحمل لواء وجعبة فيها النبال، مما جعله وكانه يمثل اله الحرب.

أما (هبل) فكان من أعظم أصنام قريش، ومن ثم فقد كان أعظم الأصنام فى الكعبة، التى اتخذت منها العرب مقراً لاصنامها وأوثانها وقد وضع القوم الى جانب صنم هبل الازلام وهى القداح أو السهام التى كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، بينما ذهب البعض الآخر الى ان صورة الحية أو تمثالها إنما يشير الى هبل، وذهب ياقوت الحموى الى أن هبل إنما كانت صنما لبنى كنانة، وكانت قريش تعبده أيضا.

أما (اللات) التى يمكن أن تكون من اشهر آلهة العرب وقتئذ، فكانت احدث من مناة، وهى إلهة الطائف التى تمثل الشمس، كما يرى المحدثون، ورغم أنه من المعروف أنها كانت إلهة مؤنثة، وأنها ربما كانت الالهة لاتون عند اليونان الذين اخذوها عن عرب اليمن، فأن بعض الروايات العربية القديمة تجعلها فى شكل صخرة مربعة، والظاهر أنهم قالوا ذلك عندما حاولوا تفسير اسم اللات فقالوا أنه من لت السويق أو العجين الذى كان يقوم به بعض اليهود عندها أو عليها.

وقد ذكر ابن الكلبى أنه على أيامه كان موضع اللات فى المكان الذى بنيت فيه المنارة اليسرى بمسجد الطائف، وكان سدنتها من بنى عقاب بن مالك الثقفيين، قد بنوا لها بناء من بيت أو كعبة، وقد ظلت اللات معظمة من ثقيف وقريش وسائر قبائل العرب الى ٨ هـ عندما هدمها المغيرة بن شعبة بأمر الرسول بعد أن دخلت ثقيف فى الاسلام وأهل الطائف.

وقد اصبحت العزى عند العرب الهة الخضر، حينما قامت على ثلاث سمرات - ومعنى السمرة ضرب من شجر الطلع - في وادى نخلة، وصعدت الى السماء فى صورة امرأة حسناء، وعرفت بالزهرة، وقد كان للعزى عند عرب الجاهلية علاقة بالزواج.

وكان للعزى مكانة عند عرب الجاهلية، فكانت تعظمها أشد الأعظام، حتى أنها كانت قد جمعت لها شعبا فى وادى حراض يقال «سقام» يضاهون به الكعبة، كما اقامت لها منحرا تنحر فيه الذبائح ويقصد اليه الحاج بعد «منى»، ويبدو ان عبادة العزى كانت واسعة الانتشار فى بلاد العرب، وهناك ما يشير الى ان عبادتها قد تسربت كذلك الى عرب العراق والشام، والى الانباط والصفويين، وكان سدنة العزى من بنى شيبان بن جابر بن مرة من بنى سليم.

أما «مناة» فهى الثالثة الأخرى التى ورد ذكرها - بجانب اللات والعزى فى القرآن الكريم ، ومناة لفظة مشتقة من المنا ، والمنية هو الموت أو القدر، ومن المنية المنون، بمعنى «القدر المقدور» معبود النبطيين، وربما سميت كذلك أيضا لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها، أى «تراق».

ويروى الاخباريون ان العرب جميعا إنما كانت تعظم مناة وتذبح حول صنمها، وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل بالمدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون حوله ويهدون اليه، وان كان الاوس والخزرج اشد الناس اعظاما له، لعل ورود اسم هذا الصنم فى القرآن الكريم، فضلا عن دخوله فى تركيب كثير من اسماء الاعلام مثل عبد مناة، وزيد مناة انما هو دليل على انتشار عبادة «مناة» بين كثير من القبائل العرب. وهذا وقد ظلت «مناة» معظمة عند العرب حتى سنة (٨ هـ/ ٦٣٠م) حينما هدمها على ابن ابى طالب بأمر الرسول.

أما الأصنام فيقول صاحب كتاب الأصنام: «واشتهرت العرب بعبادة الاصنام فمنهم من اتخذ بيتا، ومنهم من اتخذ صنما، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء البيت، نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت».

وتذكر الروايات العربية أن عبادة الأوثان كان أول من نشرها بين العرب هو عمرو بن ربيعة المشهور بلحى بن حارثة الخزاعى وأنه جلبها من الشام. ويقدم العلماء القدامى منهم والمحدثون عدة آراء عن كيفية بداية عبادة الأصنام فى بلاد العرب، وتكا تتفق الآراء على أن العرب لم تبدأ بادئ ذى بدء - بعبادة الأصنام - وإنما اتخذتها أولا رمزاً للاله أو الالهه - أو حتى الاشخاص الصالحين منهم - وبمرور الزمن نسى القوم أمر هذه الرموز، فعبدوها من دون الله لأسباب مختلفة، فهناك من عبد - كاساف ونائلة - بسبب المسخ، حين ظن القوم انهما رجل وامرأة من جرهم، وقد وقع بهم مكروه فمسخا، وهناك من عبد «اللات» بسبب التقمص، حيث يروى أن اللات كان رجلا قد مات رلا أن عمرو بن لحى اخبر القوم أنه لم يمت، وإنما دخل الصخرة ومن ثم فقد عبد.

وفى الحقيقة ان كلمة الأصنام ليست عربية أصيلة وإنما هى معربة من كلمة «شنم» ويرجح أن تكون قد عربت اما من الكلمة الآرامية (صلمو)، أو العبرية (صلم)، والكلمة التى وردت فى النصوص العربية الجنوبية الأصنام هى (صلمو) بمعنى صنم وتمثال، وفى الكتابات العربية الشمالية جاءت تحت اسم (صلم) كأسم لاله علم ازدهرت عبادته فى تيماء عام ٦٠٠ ق.م. وأهم الأصنام التى عبدها العرب (العزى) وهى من أعظم أصنام قريش وبنى كنانة، ويرى ابن الكلبى أنه احدث فى عبادته من اللات ومناة، وذلك بناء على أنه وجد أن من تسموا بهما من العرب مثل: عبد اللات وزيد مناة، أقدم ممن تسموا بعبد العزى، وأول من عبد العزى هو ظالم ابن سعد الذى بنى لها بيتا فى موضع حراض من وادى نخلة الشامية على يمين الطريق الصاعد من مكة الى العراق.

أما الزهرة فهى الاله عثتر، ويقابل «عشتار» عند البابليين والاشوريين وعشتارت لدى الكنعانيين والفينيقيين والاحباش و «عتر» عند السريان مما يدل على أنه كان من الآلهة التى كانت عبادتها شائعة فى منطقة واسعة، كما كان كذلك من الآلهة الكبرى قبل الميلاد. قد حاول بعض الباحثين اثبات أن الزهرة هى «العزى» غير أنهم لم يقدموا أدلة تثبت وجهة نظرهم هذه.

وعلى أى حال فأن عبادة الكواكب فى بلاد العرب، لم تكن مقصورة على هذا الثالوث المشهور، وإنما عبد القوم كذلك - وبخاصة قبائل لخم وخزاعة وحمير وقريش - «الشعر العبور» وقد سميت كذلك لأنها تعبر السماء عرضا. وهناك ما يشير الى أن بعض العرب قد عبدوا الثريا والنجم بدليل وجود اسماء مثل عبد الثريا، وعبد نجم، كما عبد البعض الآخر المريخ وسهيلا وعطارد وزحل. الى جانب هذه الآلهة، هناك طائفة أخرى كبيرة من الآلهة الخاصة تحمى بعض الأماكن أو القبائل بل والاسر كذلك ويشار اليها غالباً بالاسم «بعل» ومعناه صاحب أو سيد.

وفيما يتعلق بعبادة الأصنام فى شبه الجزيرة العربية فيعتبر كتاب الأصنام لمؤلفه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب من أهم المصادر التى وصلت الينا، وتتناول هذا الموضوع، والأوثان هى الأصنام، والحجارة هى الانصاب (جمع نصب) عندما تنصب بعضها فوق بعض، وكانت طقوس عبادة كل منهما تختلف عن الأخرى. والذى يفهم من كتاب الأصنام ان عبادة الانصاب حجازية الاصل، وأهم طقوسها هو الدوران أو الطواف حول النصب، بينما كانت لعبادة الأصنام أو الأوثان طقوسها الخاصة من الدعاء لها وتقديم القرابين. وبالنسبة لعبادة الانصاب يقول ابن الكلبى «أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم، تعظيما للحرم وصبابة بمكة». فحيثما حلوا، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمنا به وصبابة بالحرم وحبا له، فكان عبادة الانصاب نابعة من الطواف حول الكعبة.

تادبا أمام من يرونه رب الزرباب، اذا ليس من المقبول أن يخاطب ربه كما يخاطب غيره من البشر، كذلك فأن كل الاساطير التى لدينا بمحتوياتها المختلفة إنما ترجع إلى القمر، وقد اختير الثور كحيوان مقدس لاله القمر، نظراً لأن قرنيه يذكران بالهلال.

إما الالهة الشمس فتلتى فى المرتبة الثانية بعد الاله القمر، وقد عبدت فى مواضع مختلفة من شبه الجزيرة العربية، وان كنا لا ندرى على وجه اليقين متى بدأت عبادة الشمس، إلا أن هناك نصا قرآنياً يستدل منه على أنها كانت موجودة منذ القرن العاشر قبل الميلاد، ذلك أن القرآن الكريم يحدثنا ان ملكا سبأ على أيام سليمان (عليه السلام)، كانت وقومها يسجدون للشمس من دون الله، ولما كان سليمان يحكم فى الفترة (٩٦٠ - ٩٢٢ق.م) فان عبادة الشمس قد وجدت منذ القرن العاشر ق.م على الأقل.

قد عبدت الشمس فى قتبان وحضرموت وسبأ وقد اطلق عليها عند السبئيين. تسمية «ذات حم» و «نكرح» عند المعينين، وفى النقوش القتبانية تسمى «ذات صهرن» «ذات رحبن». ورغم أن التوراة قد أشارت الى عقوبة عبادة الشمس وهى الموت، إلا أن عبادتها قد انتشرت فى مدن يهوذا.

والجدير بالذكر إن عبادة الشمس قد انتشرت بصفة اساسية فى القس الشمالى من شبه الجزيرة العربية حيث تقع مملكتى تدمر والانباط، وربما يرجع ذلك الى قربهما من حضارتين زراعيتين مستقرتين و اتصالهم بها وما استتبع ذلك من تأثيرات عن طريق المواصلات التجارية، وهما حضارة مصر فى الغرب حيث كان «رع» اله الشمس هو الاله الأول، وحضارة وادى الرافدين فى الشرق حيث تطور المجتمع الى مجتمع زراعى كثيف فى المراحل اللاحقة للفترة السومرية حيث أصبح «شمش» اله الشمس أحد الالهة الرئيسية فى مجتمع الآلهة فى وادى الرافدين.

هذه الكواكب هو الثالوث الذى يمثله القمر والشمس والزهراء، ويمثل القمر من هذا الثالوث دو الاب، أما الشمس فتمثل دور الام، بينما كانت الزهرة تمثل دور الابن. وتمثل عبادة هذا الثالوث من الكواكب تداخلا بين مرحلتين من مراحل تطور المجتمع، فعبادة القمر والزهراء هى عبادات مجتمع رعى فى المقام الأول، فالانتقال فى البادية يكون فيه ضوء القمر وسيلة لتوضيح المعامل والشئ ذاته بالنسبة لكواكب الزهراء الذى يكمن التعرف على الوقت واللاتجاه من خلاله، ولكن ربما كانت القيمة الاساسية هى أن القمر بالذات يرمز الى فترة الليل حيث تهبط درجة الحرارة وتتكثف الابخرة الموجودة فى الجو لتتحول الى ندى يبعث الحياة فى العشب الذى تتكون منه المراعى بينما اشعة الشمس بالنسبة للمجتمعات الزراعية التى تعطى النماء للزراعة وهى التى تنضج المحصول، وقد كانت العربية للجونبية منطقة زراعية فى المقام الأول، ولكنها عرفت شيئا من الرعى كذلك فى بعض مناطقها وأكثر من ذلك فأن الرعى يمثل مرحلة مبكره تظهر عادة فى المجتمعات قبل مرجلة الزراعة التى تمثل بالضرورة مرحلة اكثر استقرارا من ثم اكثر تطوراً.

وربما كان العرب الجنوبيون متأثرين فى ها الثالوث ببلاد الرافدين حيث نرى نفس الثالوث يحتل مكانة ممتازة هناك.

ولإله القمر كانت له منزلة خاصة فى ديانة القوم فهو كبير الآلهة، وله اسماء والقاب عديدة فى الاساطير والطقوس والتقويم واسماء الاعلام، وبلغت مكانتة الى حد دفع بعض العلماء الى القول بأن الديانة العربية الجنوبية إنما هى ديانة قمرية ذلك لأن الاله القمر كان قويا مهيمنا على سائر مناحى الحياة المدنية والسياسية.

ويعرف الالة القمر بالاله (ود) عند المعينيين، (المقة) عند السبئيين، و (عم) فى قتبان (سين) فى حضرموت، وهو اله (معين) الكبير. والجدير بالذكر أن القمر ما كان يسمى فى النصوص باسمه، وإنما كان يشار اليه بكناه وصفاته فى غالب الاحايين، وربما كان العرب الجنوبيون يفعلون ذلك

لقرب بابل عن طريق البحرين الى اليمن - بينما يرى فريق من المؤرخين ان اليهودية قد انتشرت فى اليمن منذ اخريات القرن الأول، وأثناء القرن الثانى الميلادى، اعتماداً على أن الفرقة اليهودية التى صاحبت «اليوس جالليوس» فى حملته على اليمن عام ٢٤ ق.م ربما فضلت البقاء فى اليمن ولم تعد الى فلسطين.

وهناك فريق آخر من المؤرخين يرى ضرورة الرجوع للقرآن الكريم لمعرفة تاريخ بداية انتشار اليهودية فى اليمن، والذى يضح أنه انما كان فى القرن العاشر ق.م، ذلك لأن القرآن الكريم يحدثنا ان قصة ملكة سبأ مع سليمان علية السلام، قد انتهت بقولها «رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين».

أما عن دخول اليهودية الى الحجاز ويثرب، فترجعها بعض الروايات الى أيام موسى أو داود وغزوهم للعماليق، ويرى البعض ان اليهود اقاموا فى الحجاز منذ أيام «نبونيد» أو «بخت نصر»، بمعنى ان أهل الحجاز عرفوا اليهودية عن طريق العراق، وكان اليهود قد انشتروا من العراق فى بلاد العرب الشرقية وتاجروا مع أهلها. ومن أهم المستعمرات اليهودية التى فى الحجاز تلك التى فى تيماء وفدك وخيبر ووادى القرى ويثرب، وفى الاخيرة تجعل الروايات وجودهم بها أقدم من سكنى الاوس والخزرج، ومن المرجع ان تكون يثرب هى المركز اليهودى الذى انتشروا منه فى شمال الحجاز. وكان يهود بنو النضير يقيمون فى وادى بطحان من أودية يثرب التى تكثر فيها المياه، وكانت لهم فيه حصونهم المعرفة بالاطام، أما بنى قريظة فكان لهم حصون وآبار.

وتعد خيبر من أهم مراكز اليهود بعد يثرب، ويذكر الهمذانى أنه على أيامه كان بخيبر «قوم من يهود وموال وخليط من العرب»، وقيل أن اسم خيبر عبرانى ويعنى الحصن، والظاهر ان ذلك بسبب ما بها من الحصون، وتعد تيماء أيضا من مراكز اليهود فى شمال الحجاز وقد عرفت بتيماء اليهود.

أما فى مكة، فأن عدد اليهود بها كان قليلا ويستدل على ذلك من عدم وجود معبد لليهود فى مكة، الى جانب عدم وجود حى خاص بهم، كما ان كفار مكة كانوا يذهبون الى يثرب ليسألوا أخبار اليهود عن النبى - ﷺ - اذ لو كان هناك يهود فى مكة ما ذهب القرشيون الى احبار المدينة.

أما النصرانية والتى اطلقت فى العربية على اتباع السيد المسيح (عليه السلام)، فأن دخولها الى بلاد العرب أمر يصعب تحديده، إلا أنه يمكن القول بصفة عامة، ان وجود النصرانية بين العرب فى بعض مناطق اقامتهم المختلفة، ربما كانت قديمة قدم النصرانية نفسها). وهناك آيات من القرآن الكريم تشير الى وجود اتباع للمسيح فى مكة على أيام المصطفى صلوات الله وسلامه عليه - فسورة مريم التى تتحدث عن ولادة المسيح وانكار الوهيته، وسورة الروم، والتى تتحدث عن انكسار الروم المسيحين أمام قوت الفرس، تدل على ان الكتابيين بمكة إنما كانوا من النصارى. وقد ذهب البعض الى أن صورة السيد المسيح وأمه مريم، قد وجدت فى الكعبة المشرفة عند فتح مكة فى العام الثامن اللهجرة، وان هذا يعد اثراً من آثار النصرانية فى مكة قبل الإسلام، واذا صحت هذه الرواية فأنها تدل الى جانب وجود النصرانية وانتشارها فى مكة على أن هناك بعضا من العمال النصارى شاركوا فى بناء الكعبة.

ومن بين من عرفوا بمكة بأنهم نصارى نسطاس مولى صفوان بن أمية القرشى وحنا عبد صهيب بن سنان الرومى.

أما فى المدينة المنورة، فقد كان هناك موضع يقال له «سوق النبط» يسكن فيه نصارى، وكان فى بادئ الأمر مكاناً يقصده تجار الشام من الانباط الذين كانوا يحملون الحبوب والزيت والنبيذ، ولما كان هؤلاء من النصارى فمن المقبول ان يعرفوا بعض الناس بديانتهم. وهناك من يذهب الى أن آبا عامر الراهب الانصارى - فضلا عن جماعة من الاوس - كانوا قد فروا من المدينة ولجأوا الى مكة، ثم جاؤا مع المشتركين لقتال المسلمين فى

غزوة أحد. هذا وقد انتشرت النصرانية بين عرب الشام اكثر من انتشارها بين عرب العراق، وربما كان السبب ان الروم، اصحاب السلطان على الشام، كانوا نصارى، كما أنهم كانوا يتخذون من النصرانية وسيلة من وسائل بسط نفوذهم على الغساسنة، ومن ثم فقد كانوا يشجعون حركة التبشير بين الأقاليم غير النصرانية. أما النصرانية فى العراق فانما قامت فى بلاد يسيطر عليها قوم وثنيون، ولم تكن النصرانية واحدة من وسائل تقوية نفوذهم فى العراق. ومع ذلك فالنصرانية كانت منتشرة بين جزء كبير من أهل الحيرة، وخاصة بين الجماعة التى عرفت بالعباد، كما كان هناك عدد من الكنائس والاديرة التى اشتهرت بين العرب، وكان أول من تنصر من ملوك الحيرة النعمان أبو قابوس فى أواخر القرن السادس الميلادى، قبل أن يتنصر ملوك الحيرة كان بعض أفراد عائلتهم قد دخلوا فى المسيحية، ومن امثلة هؤلاء هند زوجة المنذر الثالث التى بنت ديراً وكنيسة بقى منها النقش التأسيسى الذى يقول، على وجه التقريب:

«هذه الكنيسة شيدتها هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة وابنة الملوك، خادمة المسيح، وأم خادمه، وابنة خدامه، على عهد ملك الملوك كسرى انو شروان، وكان (افرم) اسقفا للمدينة».

أما فى بلاد الشام فأن الغسانيون كانوا قد تنصروا، كما أنهم تمسكوا بمذهبهم اليعقوبى (الارثوذكسى) عن قناعة وليس لأغراض سياسية.

وأما عن بداية النصرانية فى اليمن، فهناك رواية تذهب الى أن دخول النصرانية الى اليمن إنما تم على يد التبع (عبد كلال بن مثوب) وقد اخذها عن رجل من غسان، وهناك رواية أخرى تذهب الى أن راهباً دعوه (فيميون) قد خرج ومعه تابع يقال له صالح من بلاد الشام فى طريقه الى شبه الجزيرة العربية، إلا أن الاقدار وضعت فى طريقهما سيارة من العرب، خطفوهما وباعوهما فى نجران، وهناك استطاع هذاا لراهب أن يبصر القوم بعبادة ربهم الواحد الأحد، فآمن القوم بدين «فيميون» ومن هنا كانت

النصرانية فى نجران. أما المصادر النصرانية اليونانية فتذهب الى أن الامبراطور البيرنطى «قسطنطين الثانى» (٣٥٠ - ٣٦١م) قد ارسل عام ٣٥٦م «ثيوفيلى» الى اليمن لنشر المسيحية وقد نجح الرجل فى مهمته وانشأ كنيسة فى ظفار وأخرى فى عدن وثالثة فى هرمز. أما المصادر السريانية فترجع نشر المسيحية فى اليمن الى تأجر يمنى دعته أوجيان وكان قد تلقى مبادئ المسيحية فى الحيرة وعند عودته الى نجران بشر بها بين قومه.

وهناك رأى آخر يذهب الى ان انتشار المسيحية فى اليمن لم يكن عن طريق واحد، وانما اتخذ سبلا مختلفة وطرقا عدة، وجاءت الى اليمن من الشمال عن طريق الشام فالحجاز مرة، وعن طريق الغرب من الحبشة مرة أخرى، وربما من العربية الشرقية مرة ثالثة. وقد تبع دخول المسيحية فى اليمن انشاء الكنائس ومن أهمها الكنيسة المشهورة «القليس» فى صنعاء، وكان الهدف من اقامتها صرف الحجيج من مكة الى صنعاء وما يتبع ذلك من فوائد مادية وادبية وسياسية، وكانت نجران أيضا من أهم المراكز المسيحية فى بلاد العرب الجنوبية، وقد شيدت بها كنيسة عرفت بـ (كعبة نجران).

هذا وقد أدى ذلك الوضع الدينى المضطرب فى بلاد العرب، والذى كان قوامه خليط من عناصر يهودية ومسيحية.ووثنية الى أن يبحث القوم عن ربهم بعيداً عن هذه الديانات جميعها، وهكذا ظهر فى بلاد العرب ما عرف بالحنفاء - ومفردها حنيف - وهم الذين يميلون الى الحق أو الى الدين المستقيم، أو الذين يستقبلون البيت الحرام، أو الذين أسلموا فى أمر الله فلم يلتوا فى شئ وتتفق غالبية الآراء فى أن الحنفاء كانوا على ملة ابراهيم، ولم يكونوا يهوداً أو نصارى، ومن ثم فهى ليست دينا جديداً، وإنما مجرد حركة دينية وصف أصحابها بالحنفاء اتباع ابراهيم الخليل عليه السلام، نادوا بنبذ الأصنام والتخلص من عادات الجاهلية السيئة، ثم الدعوة الى الإيمان باله واحد لا شريك له.

ويرجع الفضل للقرآن الكريم فى حفظ اخبار هؤلاء الحنفاء، فلقد جاء

ذكرهم فيه فى موضعين، الواحد فى سورة الحج والآخر فى سورة البينة، كما ورد فى القرآن الكريم لفظ «حنيفا» فى عشر مواضع.

وآيا ما كان الأمر، فأن التيارات التوحيدية ظهرت فى بلاد العرب فى القرن السادس الميلادى بوضوح، وعلى الرغم أن اليهودية والنصرانية قد أوجدتا الشك فى صحة الديانة الوثنية، فأنهما لم تفلحا فى ادخال تغيير جوهرى فى النظم الدينية، وبقيت بلاد العرب تموج بهذا التعدد فى الديانات الى أن ظهر سيدنا ومولانا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقضى على كل آثر للوثنية، وقدر له نجاحا بعيد المدى فى القضاء عليها.

الفصل الخامس
التشييدات المعمارية

التشييدات المعمارية

يمكن تتبع التشييدات المعمارية فى شبه الجزيرة العربية المدنية والدينية، وذلك من خلال البقايا الأثرية التى مازالت قائمة فى العديد من المناطق، وسنقوم بدراسة التشييدات المدنية من مدن وسدود، وسنتناول فى التشييدات الدينية عمارة المعابد.

أولاً: التشييدات المدنية

أ - المدن:

يتميز التخطيط المعمارى للمدينة فى اليمن القديم ببعض المظاهر العامة التى تشترك فيها جميع هذه المدن، ويمكن ايجاز هذه المظاهر فى الملامح الآتية :

١- السور:

كانت معظم المدن اليمنية مسورة، وكان السور إما دائرى أو مستطيل، ويحتمل أن السور الدائرى كان هو الأكثر شيوعاً لأنه يوفر الأمن أكثر من الأسوار الأخرى، لأن السور الدائرى يساعد فى الحراسة لأنه لا توجد به زوايا فى البناء تحجب الرؤية عن القائمين بالحراسة.

وكانت المدن التى تشيد فوق التلال الجبلية تسور من الجهة التى يسهل منها الصعود إلى المدينة، وكان مدخل المدينة يوجد فى هذا الجزء من السور، وكان يقام على الأسوار أبراج للمراقبة والدفاع عن المدينة، وكان يحيط بمدخل المدينة برجان على كل جانب.

٢- الشوارع:

كان بالمدينة شارع رئيسى أو أكثر، وهذه الشوارع الرئيسية إما طويلة أو عرضية، وكانت تبدأ من المدخل الرئيسى وتنتهى فى نهاية المدينة،

أو عند المدخل المقابل، وكان يتقاطع مع هذه الشوارع حارات، وتصب الشوارع الرئيسية كلها فى الميدان الذى كان يوجد فيه سوق المدينة.

٣- المعبد:

لم يكن للمعبد مكان محدد فى المدينة فى الجزيرة العربية، فكان يقع أحياناً فى وسطها أو فى أحد أركانها، وإن كان يلاحظ أنه فى المدن السبئية كان يوجد فى شرق المدينة، أما المدن الأحدث عهداً فكان المعبد يقع فى وسط المدينة.

٤- القصر:

كان يوجد القصر عادة فى وسط المدينة.

٥- السوق:

كان يتوسط المدينة فى أغلب الأمر، وهو عبارة عن فناء كبير، يحيط به الدكاكين من كل جانب، وربما يحيط به بواكى أو صفات، وذلك ما تدل عليه الأعمده التى وجدت تحيط بفناء مدينة مأرب، ويحتمل أن السوق كانت مقسمة إلى أقسام، لكل حرفة أو بضاعة مكان خاص بها.

٦- المنازل:

كانت المنازل متراصة بجوار بعضها البعض، وكان يعتمد نظام المدينة على التخطيط الرأسى وليس الأفقى، وذلك نظراً لإحاطة الأسوار بالمدن، أو أن يكون التوسع الأفقى بها محدوداً بطبيعة المناطق الذى أقيمت عليه المدينة، وذلك مثل المدن المقامة على التلال الجبلية.

ومداخل المدينة صنعت من أبواب خشبية، وربما زينت جدران المنازل من الخارج ببعض الوحدات الزخرفية التى على هيئة الأقارير التى وجدت فوق أعقاب المنازل والشبابيك، ومن أهم زينات هذه الأفاريز الزينة التى على هيئة الوعول وعناقيد العنب.

وفيما يتصل بالمعالم الزثرية المتبقية من بعض المدن فى شبه الجزيرة العربية، فلقد بقيت بعض البقايا والملامح المعمارية.من بعض المدن اليمنية القديمة، وسنقوم فيما يلى بدراسة البقايا الأثرية لبعض المدن فى شبه الجزيرة العربية.

ومن هذه المدن العاصمة القتبانية «تمنع» ومكانها حالياً قرية تسمى «هجر كحلان»، ويتضح من البقايا التى كشف عنها، أن المدينة كانت محاطة بسور، كان يوجد به أربع بوابات، كشف عن أثنين منهما، وهما البوابة الجنوبية الغربية، والبوابة الجنوبية الشرقية، وتتميز البوابة الجنوبية الغربية بوجود نقش بالخط المسند على مدخلها يسجل قوانين المدينة، ويبلغ ارتفاع كل برج من أبراج البوابة ثلاثة أمتار، وخلف البوابة يوجد بناءان يمثلان بقايا منزلين، كما عثر فى وسط المدينة على مسله نقش عليها الملك القتبانى «شهر هلال يهنعم» قوانين التجارة الخاصة بالمدينة وتبادل السلع وتحديد الضرائب، ويقع معبد الإله «عثتر» شمال هذه المسلة.

أما مدينة معين والتى كان يطلق عليها أيضاً «قرناو» وهى عاصمة دولة معين، فهى ذات شكل مستطيل تمتد من الشرق إلى الغرب، وكان يحيط بها سور عليه برج فى كل ركن من أركانه، وكان للمدينة بابان أحدهما فى الناحية الشرقية والآخر فى الناحية الغربية، وكان المعبد فى شمال المدينة.

وبقى من مدينة صنعاء القديمة السور، والقصر، أما السوق فإنه كان يوجد فى وسط المدينة، وكان لكل حرفة أو صناعة مكان خاص بها، وقسمت المدينة إلى أحياء، واتصلت المنازل بعضها ببعض، وتكونت المنازل من طابقين إلى خمسة طوابق.

وتقع صرواح عاصمة سبأ قبل انتقالها إلىٰ مأرب على سطح جبل هلان من الجهة الغربية غرب مأرب بحوالى ٤٠ كم، وتخطيط صرواح المعمارى، مستطيل الشكل، ويقع معبد الآلهة فى الركن الجنوبى الشرقى من المدينة، كما بقى فى المدينة بقايا بعض القصور التى كانت مستديرة الشكل.

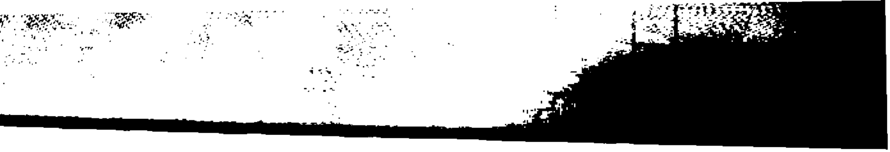
أما مدينة مأرب عاصمة سبأ الثانية، فكان يوجد فى وسط المدينة ميدان واسع بيضاوى الشكل يمثل سوق المدينة، ويقع إلى جنوبه قصر وفى شماله الشرقى يوجد بناء آخر يحتمل أن يكون معبداً أو قصراً، وفى سائر أطراف الميدان توجد أعمدة كثيرة ربما كانت تكون صفة بها دكاكين التجار، وتحتوى أطلال المدينة على الكثير من المبانى الخاصة بالمنازل.

وأقيمت مدينة «شبوه» عاصمة دولة حضرموت على ربوة مرتفعة فى وادى العطف على طريق التجارة الذى كان يمتد من ميناء قنا نحو الشمال الغربى حتى يصل إلى واحة نجران، وأحاط بالمدينة سور فيه ثلاثة أبواب، واحد فى الجهة الشرقية والثانى فى الجهة الجنوبية والثالث فى الجهة الشمالية، وكان يمتد من هذا الباب طريق رئيسى يصل إلى المعبد، وتقاطعت مع هذا الشارع شوارع أخرى جانبية تمتد من الشرق إلى الغرب، كما كان يوجد أيضاً طريقان آخران يمتدان من الشمال إلى الجنوب وشيدت المنازل على جانبى الطريق الرئيسى، وكانت المنازل فى معظم الأحيان مستطيلة الشكل، وشيد فى المدينة العديد من القصور والمعابد.

ومن آثار المدن التى مازالت توجد بعض بقاياها المعمارية المتميزة فى شمال الجزيرة العربية، مدينة «البتراء» التى كانت عاصمة لدولة الأنباط، وتقع المدينة فى وادى موسى على بعد حوالى ١٤٠ كم إلى الشمال الشرقى من مدينة العقبة.

وتقع المدينة فى داخل منطقة جبلية يخترقها شق جبلى طويل يبدأ من قرية وادى موسى ثم يسير الوادى بشكل متعرج تحف بجانبيه الآثار النبطية المنحوتة فى الصخر، ومن هنا جاء أسمها «البتراء» وهى كلمة يونانية الأصل محورة من الأسم الذى أطلقه الكتاب اليونان والرومان "Arabia Petra" أى «بلاد العرب الصخرية».

وتتميز منشآت البتراء المعمارية بوجود أطلالها بشكل يمكن تتبع بقاياها



المعمارية، حيث يوجد نوعين رئيسيين من هذه المنشآت، الأول وهو المنشآت المحفورة فى الصخر والآخر المنشآت المبنية، وتمثل المنشآت المبنية المدينة بعناصرها الرئيسية، وهى تتجمع فى وسط المدينة، وتبدأ عند التقاء وادى المتاهة بوادى موسى، وتمتد على جانبى وادى موسى من الشرق إلى الغرب.

وتبدأ بطريق طويل تحف به أعمدة من الجانبين، ويطلق عليه الطريق المعمد، وبعد مدخل هذا الطريق بقليل توجد أطلال بناء كان مقامٌ فوق نبع مياه، وهو مكان عام للسقى والشرب، وهو يقع عند التقاء وادى موسى بوادى المتاهة، حيث تجتمع مياه الواديين.

وينتهى الطريق المعمد ببوابة يطلق عليها «بوابة الحرم» أو «بوابة المنطقة المقدسة»، لأنها تحدد بداية منطقة المعبد، الذى يسمى «معبد قصر البنت»، وأحاط بمنطقة المعبد سور، وعلى طول الطريق المعمد من ناحية الجنوب كان يوجد السوق الذى يطلق عليه «السوق العلوى» ويوجد بعده مبنى آخر كان يمثل «السوق السفلى» ويوجد بين هذين السوقين فراغ رجح أنه كان مخصصاً لسوق ثالث.

وفى مواجهة السوق السفلى فى الجانب الشمالى من الطريق المعمد كان يوجد القصر الملكى، وبجوار القصر الملكى، كان يوجد معبد، ولقد تعددت المعابد فى هذه المنطقة.

ومن المظاهر المعمارية المتميزة فى البتراء وجود مسرحان، الأول هو المسرح الكبير وهو يوجد بالغرب من مدخل المدينة، والآخر، وهو المسرح الصغير يوجد عند مدخل الطريق المعمد، وهذه المسارح على الطراز الرومانى، حيث شيدت على هيئة مدرج فى نصف دائرة، ويصل عدد درجاته إلى ٤٠ درجة وهو يمكن أن يتسع لحوالى ٧٥٠٠ شخص، وقد نحتت الدرجات بأكملها فى الصخر، وربما يكون ذلك أثراً نبطياً.

ب- عمارة السدود :

اهتم مكارية سبأ بالاصلاحات الزراعية، فعملوا على استصلاح الأرض واستغلالها، ومن أجل ذلك وجهوا اهتمامهم لبناء السدود لحجز المياه للاستفادة منها فى أعمال الزراعة، وأقام العرب السدود لقلة المياه فى بلادهم فلم يدعوا وادياً يمكن استثمار جانبيه بالماء إلا وحجزوا سيله بسد، فتكاثرت السدود بتكاثر الأودية حتى تجاوزت المئات. ولقد ذكر الهمذانى فى يحصب العلو من مخاليف اليمن وحده ثمانين سداً.

وكانوا يسمون كل سد بأسم خاص به، أو بنسبة إلى البلد المقام فيه، ومن أعظم هذه السدود فى بلاد العرب وأشهرها سد مأرب. ومن أقدم النقوش التى وصلتنا عن سد مأرب نقش من عهد المكرب «سمه على ينف» وأشار فيه إلى تصميمه لسد رحاب للسيطرة على مياه الأمطار والاستفادة من السيول، وهو جزء من مشروع سد مأرب، ويشير هذا النقش كذلك إلى قيام هذا المكرب بثقب حاجز من الحجر، وفتح ثغرة فيه لمرور المياه منها إلى سد رحاب لتسيل إلى منطقة يسران، وكانت تغذيها مسايل وقنوات عديدة تأى بالماء من حوض هذا السد.

وتشير نقوش «سمه على ينف» وهى أقدم كتابات تصلنا عن سد مأرب إلى قيامه بأعمال هامة فيه، إلا أنه لا يمكن القول أنه هو مشيده، فقد يكون تشييده قد بدأ من قبل حكمه وأنه أتم هذا العمل، ولكن نظراً للنقص الشديد فى الوثائق المتصلة بهذا الموضوع يظل «سمه على ينف» هو أقدم المكارية الذين نعرف عنهم قيامهم بتشييد سد مأرب، وكان ذلك فى أوسط القرن الثامن قبل الميلاد. ولقد سار على نهجه من جاء بعده من المكارية فى الاهتمام بسد مأرب وتعلية جدرانه وترميمها واستحداث اضافات إليه.

ويعتبر سد مأرب أعظم عمل هندسى قديم فى الجزيرة العربية كلها، ولقد حظى بكثرة ما ورد عنه فى أخبار العرب واشعارهم وذلك على سبيل

العظة والعبرة لما أصاب سبأ نتيجة انهياره، ولقد أشار القرآن الكريم فى سورة سبأ إلى ما أصاب سبأ نتيجة حدوث سيل العرم، فقال تعالى فى كتابه الكريم: ﴿لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات أكل خمط واثل و شيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾. [الآيات من ١٥ – ١٨].

وسيل العرم الذى يشير إليه القرآن الكريم، والذى كتب فيه المفسرون كثيراً، وكان سبباً فى خراب المنطقة حدث فى وقت ما بين أعوام ٥٤٣، ٥٧٠م، أى قبيل مولد النبى عليه أفضل الصلاة والسلام. ولكن بالرغم من أن حادث هذا السيل كان قريباً من البعثة المحمدية فإن ما كتبه الشراح والمفسرون مليء بالقصص الخيالية سواء كانت عن سبب تخريب السد وتهدمه أو عن الذين قاموا ببنائه، فقال بعضهم أن بانيه هو سبأ بن يشجب، وقال غيرهم بناه لقمان بن عاد، وجعله فرسخ، وفى فرسخ جعل له ثلاثين فتحة، إلى غير ذلك من المبالغات.

ولعل من من أوثق روايات العرب عن سد مأرب ما ذكره أبى محمد الحسن ابن يعقوب الهمذانى فى كتابه الاكليل الجزر الثامن، وكان قد شاهد انقاضه بنفسه فى أوائل القرن الرابع للهجرة، وكان يقرأ خط المسند ويفهمه، فوصف انقاضه مع تطبيقها على ما جاء فى القرآن الكريم، ولقد جاء فى رواية الهمذانى.

ذكر مأرب: وهى مسكن سبأ الذى قال الله فيه: ﴿لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾ [سورة سبأ، آية ١٥]. وهى كثرة العجائب. والجنتان عن

يمين السد ويساره، وهما اليوم غامرتان، والغامر العافى، وانما عفتا لما انذحق السد فارتفعتا عن أيدى السيول. ووجدت فى احداهما غريق اراك، وفى أصله جذع نخلة أسود قد كبست باقيه السواقى، فقال بعض من كان معى: لا أظنه إلا من بقايل نخل الجنتين، وما أظنه بقى من العصر القديم. وأما مقاسم الماء من مداخر السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعاً فرغ من عملها بالأمس.

ورأيت بناء أحد الصدفين وهو الذى يخرج منه الماء، قائماً بحاله على أوثق ما يكون ولا يتغير إلا أن يشاء الله، وانما وقع الكسر فى العرم وقد بقى من العرم شىء مما يصل إلى الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمسة عشر ذراعاً، قال تبارك وتعالى: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط واثل وشىء من سدر قليل﴾ [سورة سبأ، آية ١٦]. قيل الخمط الاراك والأثل الطرفاء، والسدر المعروف العرج وهو العلب وجمعه علوب والواحدة علبة.

وفيما يتصل بوصف السد، فيلاحظ أن السيول المتدفقة فى الوديان تصل إلى منطقة قريبة من مأرب فى وادى أذنه حيث تدخل فى جبل يسمى «جبل بلق» وتسمى الفتحة التى تدخل منها المياه بإسم «الضيقة» ولكل من جهتيها اسم حسب وصفها بلق الأيمن وبلق الأيسر.

ويرتفع جبل بلق فى تلك المنطقة إلى حوالى ٣٠٠ متر، ويبلغ متوسط اتساع «الضيقة» ٢٣٠ متراً، ولكنها تتسع فى الوسط فيصبح اتساعها ٥٠٠ متراً، ثم تضيق بعد ذلك فلا تزيد عن ١٩٠ متراً تقريباً، ثم تستمر الناحية الشمالية فى امتدادها بينما تنفرج الناحية الأخرى. وقد اختير هذا المكان لتشييد السد، فبنى فيه جداراً قوياً يعترض الوادى ويوقف مياه السيول المتدفقة، وجعلوا فى الناحيتين فتحتين احداهما إلى أقصى اليمين واستغلوا ذلك الجبل المرتفع فى هذا غرض فلم يبنوا إلا جداراً ضخماً واحداً ليكون صدفاً ثانياً للبوابة، أما البوابة التى فى الناحية اليسرى (الجهة الجنوبية) فهى

أكبر وأعظم، وتنقسم إلى قسمين، وبنوا لها جدارين كبيرين يسيران مسافة غير قليلة، ثم ينتهيان بحوض كبير مبنى بالحجر ترى فى جهاته المختلفة فتحات متعددة يخرج من كل منها قناة تسير لرى ناحية من نواحى الوادى الفسيح.

ولقد شيد هذا السد لغرضين، الأول السيطرة على مياه السيول المتدفقة فلا تخرب ما يعترضها إذا جاءت فجأة بكثرة غير عادية، وثانيهما تخزين تلك المياه ورفع مستواها أمام السد وعدم صرف شيء منها إلا بالمقدار اللازم، وبذلك يضمنون رى وادى مأرب الذى يرتفع عن مستوى السابله بخمسة أمتار، ويأمنون توفر كميات المياه اللازمة للرى حين يحين موعد مجيء سيول أخرى.

وفيما يتصل بوقت تهدمه، فيلاحظ أن السد لم يتهدم مرة واحدة وانما صارع عوامل الزمن والطبيعة، وإهمال الإنسان طيلة الفترة التى كان قائماً فيها، ولا ريب أنه تأثر بتلك التحولات السياسية والاقتصادية التى شهدتها اليمن قديماً، وتعرض للاهمال والكوارث الطبيعية مراراً. ومن النقوش التى سجلت تهدم السد والقيام بترميمه، نقش عثر عليه فى مأرب ويعرف باسم «جام ٦٧١» ويرجع إلى أواسط القرن الرابع الميلادى، وفيه يشير «تأران بن يهنعم» وأبنه «ملكى كرب يهأ من «إلى إصلاح ما تهدم من السد فى حوالى ثلاثة أشهر. ووصلنا النقش الثانى من عهد الملك «شرحبيل يعفر بن أبى كرب أسعد» التبع اليمانى وذلك بين عامى ٤٤٩، ٤٥٠م، وفيه يشير إلى إصلاح ما تهدم من السد من جداره، أو قنواته وأعيد بناؤه سوياً، كما كان، وذلك فى خمسة أشهر من العمل المتواصل واشترك فى إصلاحه عشرون ألف رجل.

وتهدم سد مأرب للمرة الثالثة فى عهد ابراهة الذى حكم اليمن بعد الغزو الحبشى والياً لنجاشى الحبشة ثم حاكماً مستقلاً عنه، وكان حوالى عام

٥٤٣م، ويرجح أن يكون السد قد تهدم للمرة الأخيرة بعد منتصف القرن السادس الميلادى.

ثانياً: التشييدات الدنيية

تخطيط المعابد :

تنوع تخطيط المعابد فى جنوب الجزيرة العربية، وأمكن تحديد أربعة طرز رئيسية سار عليها تخطيط المعابد، و هى الطراز المستطيل، والطراز المربع، والطراز المستطيل الذى ينتهى بشبه دائرة، والطراز البيضاوى، وإن كان يلاحظ أن *الشكل المستطيل هو الغالب* فى طرز عمارة المعابد، وحتى الطرازين الثالث والرابع يمكن إدراجها فى النظام المستطيل.

وكانت مادة البناء المستعملة فى جميع المعابد هى الحجر بأنواعه المختلفة، وساعد على ذلك توفر الأحجار بكثرة فى جبال اليمن، وصقلت الأحجار وسويت بطريقة جيدة، حتى أنه لا يمكن رؤية أماكن وصل الأحجار ببعضها بسهولة، حيث كان يربط بين الأحجار بطبقة من الجص، أو تربط المداميك ببعضها بواسطة أوتاد رصاصية عن طريق ثقوب فى الحجر، ولم تكن الجدران عمودية، وإنما كانت تميل للإنحراف كلما ارتفع البناء، ويظهر ذلك فى معبد محرم بلقيس فى مأرب، وقد يكون الغرض من هذه الطريقة الاحتفاظ بصلابة الجدران، لأن الجدران العمودية أسهل تحطيماً من الجدران التى تميل إلى الداخل.

وأثر فى تخطيط المعابد فى اليمن القديم عاملين رئيسيين، يتمثل الأول منها فى الظروف الجغرافية للمكان الذى أقيم عليه المعبد، والآخر فى عقيدة القوم والتى كانت تتجه نحو عبادة الأجرام السماوية كالقمر والشمس والزهرة.

وتشترك المعابد اليمنية وبخاصة المستطيلة – التى كانت تمثل الطراز الشائع – فى أسلوب واحد لا يختلف إلا قليلاً فى بعض الأحيان، فقد كان

المعبد يتكون من فناء أو بهو أعمدة مساحته كبيرة تكبر أى جزء آخر فى المعبد ويلى هذا الفناء، فناء آخر أصغر منه فى الحجم، وفى نهاية المعبد يقع قدس الأقداس الذى كان يوجد فيه صنم الاله.

وأحاط بالفناء الكبير الأعمدة من جوانبه الأربع، وكونت هذه الأعمدة مع الجدار الخارجى للمعبد ما يشبه الصفة، حيث غطى هذا الجزء بسقف من الأحجار، أما البهو فكان مكشوف، أما الفناء الثانى الصغير، فيحتمل أنه كان مسقوفاً، والأمر كذلك بالنسبة إلى قدس الأقداس، وكان الفناء الكبير منخفض فى مستواه عن الفناء الثانى، وتفاوت هذا الانخفاض ما بين ٧٥سم إلى ٢٠٠سم، وعلى ذلك فلقد كان المعبد يتدرج فى الارتفاع من الفناء الأول وحتى قدس الأقداس الذى يكون فى أعلى مستوى فى المعبد، وكان يوصل إلى هذا المستويات بمجموعة من الدرجات.

وكان يتم الوصول إلى قدس الأقداس أو المحراب بمجموعة من الادراج ينتهى فى أعلاها مكان مسطح وهو ما عرف باسم «المزقته» وكان يؤدى فى هذا المكان شعائر العبادة أمام مقصورة قدس الأقداس، حيث يركع المتعبد على حد الدرج واضعاً ذقنه على نهاية هذا الدرج، أما مقصورة قدس الأقداس فلقد كانت تتدرج فى الضيق كلما اتجهنا نحو الداخل وزينت جدران المعابد ببعض العناصر الزخرفية، فنقشت على الأفاريز العلوية العديد من المناظر التى تمثل الوعول والثيران وأوراق العنب، كما زينت جدران المعابد وأعمدتها بالنقوش النزرية التى كان يتقدم بها العبده إلى الإله المكرس له المعبد، كما ظهرت صورة على جدران بعض المعابد تمثل بعض الحيوانات والأفاعى، وكذلك بعض الفتيات اللاتى يؤدين الطقوس الدينية المتمثلة فى القيام برقص مقدس.

وأمكن تحديد أربعة طرز للأعمدة المستخدمة فى المعابد اليمنية، وهى الأعمدة المربعة، وهى أول طراز من الأعمدة ظهر فى اليمن، ثم ظهر النوع

الثانى من الأعمدة المثمنة الأضلاع، ثم تطور هذا العمود إلى النوع الثالث وهو طراز الأعمدة ذات الستة عشر ضلعاً، الذى تطور إلى النوع الأخير وهو الأعمدة الاسطوانية، ونجد فى بعض الأحيان أن هذه الطرز الأربعة مجتمعة فى مكان واحد مثل مأرب مثلاً.

وكان يصنع العمود إما من كتلة واحدة من الحجر، أو من مجموعة من الكتل الحجرية توضع مع بعضها فوق بعض، وقد ثبت فى داخلها أوتاد من الحديد والرصاص لتربط بين الكتل الحجرية التى يتكون منها العمود، وقواعد الأعمدة كانت نوعين، القواعد المربعة، وكان يتم عند تركيبها صب الرصاص عليها لتقويتها حتى تتحمل نقل بدن العمود المقام عليها، وأيضاً حتى لا تتحرك من مكانها، حيث أن هذه القواعد توضع فى طبيعة جبلية فوق الصخر مباشرة، أما النوع الثانى، فلم يكن له قاعدة، حيث ثبت العمود رأساً فى الأرض الجبلية الصلدة، وكان بدن العمود يثبت فى القاعدة أو فى الأرضية، وذلك بأن يكون الجزء الأسفل من العمود يشبه الوتد، وكان هذا الوتد يدخل فى ثقب له نفس قياسات الوتد، كما كان للعمود فى أعلاه أيضاً نفس الوتد الذى كان يركب فى ثقوب الأعتاب التى كانت توضع فوق الأعمدة أو فى بلاطات السقف الذى كان يحمله العمود.

وكانت تيجان الأعمدة فى أول الأمر جزءاً من بدن العمود نفسه، ولكنها بعد ذلك، أصبحت منفصلة وتثبت فى بدن العمود، وكانت هذه التيجان فى أول أمرها عبارة عن كتلة مستطيلة من الحجر، ثم أصبحت تشكل على هيئة مدرجة من أسفل إلى أعلى، وزينت هذه التيجان بخطوط طولية صغيرة وعرضية، أو زينت بزخارف حيوانية وبخاصة حيوان الوعل الرابض، ويمكن القول بأن الزخارف التى على هيئة خطوط صغيرة، إنما تمثل أرضية المعبد المبلطة بالأحجار والدرج الذى يصعب إلى قدس الأقداس.

ويلاحظ أن المعابد قد وجدت فى داخل المدن وأيضاً خارجها، ويمكن

القول بأن المعابد التى كانت مقامة داخل أسوار المدن، هى معابد مخصصة للآلهة التى تعبد فى المدينة، أما المعابد التى كانت تقام خارج أسوار المدن، فيحتمل أنها كانت معابد للآلهة وأيضاً تقام فيها الصلاة على المتوفى.

وسنشير فيما يلى بشىء من التفصيل إلى تخطيط بعض المعابد فى اليمن القديم.

١- معبد عثترذو قبض في معين (قرناو):

يقع هذا المعبد خارج البّوابة الشرقية للمدينة فى الشمال الشرقى، وأطلقت التسمية «قبض» على منطقة المعبد، أما عثتر فهو إله المعبد، وربما كانت كلمة «قبض» تشير إلى تطلع المعيدين إلى أن يقوم إله المعبد بالقبض على الأعداء الذين يهاجمون المدينة من هذه الناحية.

ويحيط بالمعبد سور خارجى طوله حوالى ٣٠م وعرضه حوالى ٢٠م وارتفاعه حوالى ٣م، ويوجد للمعبد مدخلان فى الضلعين القصيرين من السور، أما المدخل الرئيسى، فهو الذى يقع فى الجهة الغربية وهى الناحية المواجهة للمدينة، ويوجد خلفه أربعة أعمدة جرانيتية مربعة، وتقع هذه الأعمدة فى الفناء الأول للمعبد، ويوجد خلفهما مدخلاً يحتمل أنه كان يؤدى إلى المدخل الثانى الذى نجده أصغر حجماً من الفناء الأول، ثم من هذا الفناء الثانى يوجد مدخل يؤدى إلى قدس الأقداس الذى كان عبارة عن فناء به ستة أعمدة، ثلاثة فى كل جانب، ويتدرج قدس الأقداس فى الضيق كلما اتجهنا للداخل، فبينما تبلغ المساحة الواقعة بين العمودية اللذين فى الأمام متران تبلغ بين العمودين الآخرين متر واحد.

ونقشت أعمدة المدخل برسوم وزخرفات تمثل الاحتفالات الدينية، ظهر فيها وعول ذات قرون مقوسة، وأشكال مثلثات زخرفية ودوائر، ثم أشكال آدمية تمثل نساء تمسكن بمضارب لضرب الدفوف، ثم أشكال وعول، ثم أشكال زخرفية تمثل ثعابين ملتفة.

ويرى بعض العلماء أن هذه الرسوم تمثل احتفالاً دينياً بعيد الصيد، وذلك نظراً لكثرة رسوم الوعول، وترمز الثعابين للإله «ود» إله القمر عند المعينيين الذى كانوا يطلقون عليه «نحس طيب» أى «الثعبان الطيب».

ويلاحظ من ناحيـة أخرى، كثـرة رسم الوعـول فى النقـوش اليـمنيـة القـديمة، وربما يرجع ذلك إلى أن الوعل كـان يمثل رمـزاً لإله القمـر بسبب الشكل الهلالى لقرونه، كما يبدو أنه كان لوجوده فوق تلال وروابى اليمنى أسره فى الفناء اليمنى القديم.

٢- معبد صرواح :

وهو مستطيل الشكل يمتد من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى، ويبلغ طوله ٢٥م، أما عرضه فيبلغ ١٧م، ويوجد فى كل جدار من الجدران الطويلة باب، أما الجدران القصيرة يوجد بكل واحد منها دخله.

وأحاط بالمعبد سور خارجى بنى من أحجار المرمر مربعة الشكل، وكان الفناء الأول، عبارة عن بهو تحيط به الأعمدة من كل جانب، ويفتح فى الوسط، وكانت هذه الأعمدة عبارة عن صفة، ووجد فى الفناء الأول حوض للمياه، للتطهير عند الدخول إلى المعبد، ويلى الفناء الأول، الفناء الثانى، ثم قدس الأقداس، الذى كان عبارة عن مقصورة بها حوالى ١٢ عمود محاطة بجدران، ويوجد فى جدارها الأخير فجوة مستعضة يحتمل أنه كان يوضع بها تمثال المعبد.

٣- معبد محرم بلقيس في مأرب :

كان هذا المعبد يسمى «أوام» عند السبئيين، وهو اسم المنطقة المقدسة المقام بها المعبد، وإطلاق محرم بلقيس عليه تسمية خاطئة أطلقها عليه اليمنيون المعاصرون، فليس هناك علاقة بينه وبين بلقيس والثابت أثرياص أنه لا وجود لكلمة بلقيس فى الآثار والنقوش اليمنية القديمة، فهى كلمة يونانية أصلها Balakis وتعنى «الجارية الحسناء»، وقد أطلقها الكتاب اليهود

على حاكمة سبأ التى زارت سليمان عليه السلام، وذلك تصغيراً لها، أما الأنجيل فقد أطلق عليها ملكة التيمن بمعنى «الجنوب»، وحرف الكتاب المسلمون الأسم من «بلاكس» إلى بلقيس.

وقد شيد مكارية سبأ هذا المعبد لعبادة إله القمر الإله «إيل مقة» بمعنى الإله القوى » فى الغالب، وكشف عن هذا المعبد بعثة أمريكية عام ١٩٥١م، ولم يعثر من أسماء حكام سبأ الذين شيدوه سوى أسم واحد، وهو اسم المكرب «يدع إيل ذرح» وهو المكرب السابع، وقد نقش اسمه على الجزء الشمالى من بهو المدخل.

ويتخذ سور المعبد الشكل البيضاوى، وهو يتجه من الجنوب الشرقى إلى الشمال الشرقى، ويبلغ طوله من ١٠٠ – ١١٢م، ومحوره العرضى حوالى ٧٥م، ويبلغ ارتفاعه ما بين ٩ – ٩,٥م وسمكه حوالى ٤م.

وفى الجانب من الفناء المفتوح للمعبد او الفناء الخارجى الذى يحيط به السور البيضاوى يوجد المدخل الذى يؤدى إلى صالة الأعمدة، ويبلغ طول صالة الأعمدة حوالى ٢٤م وعرضها حوالى ١م، ويحيط بها صف من الأعمدة من كل جانب يبلغ عددها ٣٢ عمود، وهى على هيئة مربعة، وتكون مع السور الخارجى للصالة صفة يعتمد سقفها من الخارج على جدران الصالة ومن الداخل على هذه الأعمدة، وزينت السطوح الداخلية للصالة بما يشبه الشبابيك الوهمية، وكان عددها حوالى ٦٤ شباك، وهى مصنوعة من أحجار جيرية ليست من نفس الأحجار التى بنى بها الجدار، وربما كانت هذه الشبابيك تقليداً للأعمال الخشبية، وربما تكون رمزاً لمدخل قدس الأقداس فى المعبد، وربما كان يوضع أمامها القرابين، حيث وجد أسفلها ما يمثل المائدة التى كانت توضع عليها هذه القرابين.

وفى خارج البوابة الشمالية الشرقية يوجد فنا طوله ١٤,٢م وعرضه ٤,٥٣م، ويحتمل أن يكون هذا الفناء هو البهو الثانى للمعبد الذى يسبق قدس

الأقداس، وإلى جانب السور البيضاوى من الخارج، توجد بعض المقصورات التى شيدت من الحجر الجيرى المصقول، وقد استعملت هذه المقاصير كمقابر للدفن.

أما عن تخطيط المعابد فى شمال الجزيرة العربية، فلقد تبقى من مدينة البتراء العديد من المعابد، ومنها معبد الإله «أتار جاتيس» الذى كان يوجد بجوار القصر الملكى فى المنطقة المركزية للمدينة، ويوجد فى مدخل المعبد شرفة تبلغ أبعادها ١٧× ٩م، ويلى الشرفة البهو ذو الأعمدة والذى يبلغ مساحته ١٧ متراً مربعاً، وفى وسط النهاية الشمالية للبهو ذو الأعمدة توجد منصة المذبح ويحيط بها ١٢ عمود.

ومن معابد الأنباط أيضاً، معبد الإله «دوشارا» والذى يطلقَ عليه قصر البنت أو قصر بنت فرعون، ويرجع تأسيس هذا المعبد إلى عهد الملك النبطى «عباده الثانى» (٣٠ – ٩ ق.م).

ويؤدى إلى مدخل المعبد درج بعرض السور المحيط بالمعبد، ثم درج آخر بعرض مبنى المعبد الذى يبلغ ٤٠م، ويؤدى هذا الدرج إلى بهو يوجد فى مقدمته أربعة أعمدة، وجدران المعبد مزدوجة، مكونة من جدارين بينهما فراغ يبلغ عرضه حوالى متر، ويؤدى هذا البهو إلى غرفة داخلية تخترق جدرانها نوافذ عالية تسمح بدخول ضوء الشمس، وقد قسم جدارها الخلفى إلى ثلاثة أقسام، يوجد فى القسم الأوسط منها قدس الأقداس الذى كان يحوى رمز الإله «دو شارا».

وكان يوجد المذبح أمام المعبد، وهو عبارة عن منصة ضخمة مكسوة بالرخام وهذا الشكل غير مألوف فى مذابح المعابد فى البتراء، وربما أدى إلى هذا الوضع طبيعة الطقوس الدينية التى كانت تؤدى للمعبود «دو شارا»، حيث أن طقوس الصباح الخاصة به كانت تتطلب وجود مذبحة نحو الشرق لكى يشاهد القوم تمثال الإله أثناء هذه الطقوس، وهو يتجلى عند شروق الشمس.

المراجـع المختـــارة

أولا : المراجـع العربيـة

- القرآن الكريم.
- التوراة.
- ابن الاثير (عز الدين أبو الحسن على الشيبانى) : الكامل فى التاريخ. (الجزء الأول والثانى)، بيروت ١٩٦٥.
- ابن الكلبى (أبو المنذر هشام بن محمد) : كتاب الاصنام - الدار القومية - القاهرة ١٩٦٥.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مقدمة ابن خلدون - القاهرة ١٩٥٧.
- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسى) : العقد الفريد - القاهرة ١٩٥٣.
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل) : البداية والنهاية فى التاريخ (الاجزاء ١ - ٤)، بيروت ١٩٦٦.
- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم) : لسان العرب - بيروت ١٩٥٥.
- أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل) : المختصر فى أخبار البشر - الجزء الأول - القاهرة ١٣٢٥ هـ.
- ايليا حاوى : امرؤ القيس - بيروت ١٩٧٠.
- الدكتور أحمد ابراهيم الشريف: مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول، القاهرة ١٩٦٥.
- أحمد أمين: فجر الاسلام - بيروت ١٩٦٩.
- الدكتور أحمد أمين سليم: حضارة العراق القديم، الاسكندرية، ٢٠٠٤

- الدكتور أحمد فخرى: اليمن ماضيها وحاضرها - القاهرة ١٩٥٧.
- الدكتور أحمد فخرى: معبد المساجد ببلاد مراد (المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية المنعقد فى فاس فى نوفمبر ١٩٥٩) - القاهرة ١٩٦١.
- الدكتور أحمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم - القاهرة ١٩٦٣.
- الدكتور اسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب - القاهرة ١٩٢٧.
- الدكتور اسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية - القاهرة ١٩٢٩.
- الاصفهانى (أبو الفرج على بن الهيثم): الاغانى - القاهرة ١٩٢٩.
- الازرقى (أبو الوليد محمد بن عبد الله): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (جزءان)، بيروت ١٩٦٩.
- السهيلى (عبد الرحمن بن عبد الله): الروض الانف - القاهرة ١٩٧١.
- الدكتور السيد عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ العرب - الجزء الأول - تاريخ العرب قبل الاسلام - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية.
- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك (الاجزاء ١-٤)، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٦٩.
- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين): التنبيه والاشراف - القاهرة ١٩٦٨.
- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين): أخبار الزمان - بيروت ١٩٦٦.
- الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب): الاكليل - الجزء الأول - تحقيق محمد بن على الاكوع - القاهرة ١٩٦٣.
- الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب): الاكليل - الجزء الثانى - تحقيق محمد بن على الاكوع - القاهرة ١٩٦٦.
- الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب): الاكليل - الجزء الثامن - نشرة نبيه فارس - بغداد ١٩٣١.

- الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الاكليل - الجزء العاشر - نشرة محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٦٨ هـ.
- الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : صفة جزيرة العرب - تحقيق محمد بن على الاكوع - الرياض ١٩٧٤.
- اليعقوبى (أحمد بن أى يعقوب بن جعفر) : تاريخ اليعقوبى - الجزء الأول والثانى - بيروت ١٩٦٠.
- جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام - بيروت ١٩٦٨.
- جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى - بيروت ١٩٦٨.
- الدكتور جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (عشرة أجزاء) بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧١.
- الدكتور جودة حسنين جودة: شبه الجزيرة العربية، دراسة فى الجغرافية الاقليمية، الاسكندرية، ١٩٨٤.
- الدكتور حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم - الاسكندرية ١٩٧١.
- حسين عبد الله باسلامه: تاريخ الكعبة المعظمة - القاهرة ١٩٦٤.
- خالد سالم محمد: جزيرة فيلكا، الكويت، ١٩٨٠.
- الدكتور خليل يحيى نامى: نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها - القاهرة ١٩٤٣.
- رئيف خورى: امرؤ القيس - بيروت ١٩٣٤.
- الدكتر سعد زغلول عبد الحميد: فى تاريخ العرب قبل الإسلام - بيروت ١٩٧٥.
- الدكتور سليمان سعدون البدرك منطقة الخليج العربى خلال الالفية الرابع والثالث قبل الميلاد، الكويت، ١٩٧٤.

- صلاح البكرى: تاريخ حضرموت السياسى - الجزء الأول - القاهرة ١٣٥٤هـ.

- الدكتور عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم - الجزء الأول - مصر والعراق - القاهرة ١٩٧٣ .

- الدكتور عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة فى عصورها القديمة، القاهرة ١٩٨٨ .

- الدكتور عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية - الجزء الأول - القاهرة ١٩٦٧ .

- الدكتور على حسنى الخربوطلى: الكعبة على مر العصور - مجموعة اقرأ - القاهرة ١٩٦٧ .

- الدكتور عمر فروخ : تاريخ الجاهلية - بيروت ١٩٦٤ .

- فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب - الرياض ١٩٦٨ .

- الدكتور محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم - الجزء الثانى - اسرائيل - القاهرة ١٩٧٣ .

- الدكتور محمد بيومى مهران: الساميون والآراء التى دارت حول موطنهم الاصلى - مجلة كلية اللغة العربية - العدد الرابع - الرياض ١٩٧٤ .

- الدكتور محمد بيومى مهران: قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتمعية - العدد الخامس - الرياض ١٩٧٥ .

- الدكتور محمد بيومى مهران: العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد السادس - الرياض ١٩٧٦ .

- الدكتور محمد بيومى مهران : دراسة حول الديانة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٧٨.

- الدكتور محمد بيومى مهران: دراسات فى التاريخ القرآنى - الجزء الأول - فى بلاد العرب - ١٩٨٠.
- الدكتور محمد بيومى مهران: الحضارة العربية القديمة، الاسكندرية ١٩٨٨.
- الدكتور محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ العرب القديم، الاسكندرية ١٩٩٤.
- الدكتور محمد عبد القادر: الساميون فى العصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨.
- محمد مبروك نافع: تاريخ العرب - عصر ما قبل الاسلام - القاهرة ١٩٥٢.
- الدكتور مصطفى العبادى: تاريخ العرب قبل الاسلام، غير منشور، بيروت ١٩٨٤.
- نشوان بن سعيد الحميرى: ملوك حمير وأقيال اليمن - القاهرة ١٣٧٨ هـ.
- وهب بن منبه: كتاب التيجان فى ملوك حمير - حيدر أباد الدكن ١٣٤٧هـ.
- ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله): معجم البلدان (خمسة أجزاء) - بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧.

ثانياً: المراجع المترجمة الي اللغة العربية

- ادوارد جيبون: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد على زيو ريدة - القاهرة ١٩٦٩ .
- آرثر كريستنس: ايران فى عهد الساسانيين، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب - القاهرة ١٩٥٧ .
- برنارد لويس: العرب فى التاريخ، ترجمة نبيه فارس ومحمود يوسف - بيروت ١٩٥٤ .
- تيودور نولدكه: أمراء غسان من آل جفنة، ترجمة قسطنطين زريق وبندلى خورى - بيروت ١٩٣٣ .
- جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعجى - بيروت ١٩٦٣ .
- جفرى كينج: المسح الأثرى لجزر أبو ظبى، البعثة الأولى، ترجمة فيصل يوسف، أبو ظبى، ١٩٩٨ .
- جون الدر: الاحجار تتكلم، ترجمة الدكتور عزت زكى - القاهرة ١٩٦٠ .
- ديتلف نلسن وآخرون: التاريخ العربى القديم، ترجمة وزاد عليه الدكتور فؤاد حسنين - القاهرة ١٩٥٨ .
- ريجيس بلاشير: تاريخ الادب العربى - العصر الجاهلى - ترجمة الدكتور ابراهيم كيلانى: بيروت ١٩٥٦ .
- رينيه ديسو: العرب فى سورية قبل الاسلام - ترجمة عبد الحميد الدواخلى - القاهرة ١٩٥٩ .
- سبتينو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة: ترجمة وزاد عليه الدكتور السيد يعقوب بكر - القاهرة ١٩٦٨ .

- صمويل كريمر: من ألواح سومر، ترجمة الدكتور طه باقر، ومراجعة وتقديم الدكتور أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٨.
- فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الجزء الأول - ترجمة جورج حداد، وعبد الكريم رافق - بيروت ١٩٥٨.
- فيليب حتى: تاريخ العرب - الجزء الأول (مطول) - ترجمة ادوارد جرجى، جبرائيل جبور، بيروت ١٩٦٥.
- ول ديورانت: قصة الحضارة - الجزء الثانى - ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٦١.
- وندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس، قصة اكتشاف مدينة سبأ الآثرية فى اليمن، ترجمة عمر الديرادى - بيروت ١٩٦١.
- يوسبيوس القيصرى: تاريخ الكنيسة، ترجمة مرقص داود - القاهرة ١٩٦٠.
- يوسفيوس: تاريخ يوسفيوس - دار صادر - بيروت.
- دائرة المعارف الاسلامية - دار الشعب - القاهرة ١٩٦٩.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Abbot (Nabia), Pre-Islamic Arab Queens, AJSL, 58, 1941.
- Albright, (W.F.), The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the First Campaign of Excavation in Qataban, in BASOR, 119, 1950.
- Albright, (W.F.), A Note on Early Sabaean Chronology in BASOR. 143, 1956.
- Barton, (G.A.), The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, New haven, 1924.
- Barton, (G.A.), Semitic and Hamitic Origins, London, 1934.
- Bowen (R.L.), and Albright (F.), Archaeological discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958.
- Burton (R.F.), Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, London, 1929.
- Bury (J.B.), A History of the Eastern Roman Empire, The fall of Irene to the Accession of Basil, I (802-867), London, 1912.
- Bury (J.B.), A History of the Later Roman Empire, from Areadius to Irene (895-800), 2 vols., London, 1931.
- Buxton, (L,H.D.), The People of Asia, London, 1985.
- Cantineau (J.), Inventaire des Inscriptions de Palmyra, Paris, 1936.
- Cook (S.A.), in The Cambridge Ancient History. III, Cambridge, 1965.
- Cook (G.A.). A Text-book of North-Semitio Inscriptions Moabite, Hebrew, Phoenician, arainaic, Nabataean, Palmyrene, Jewish, Oxford, 1903.

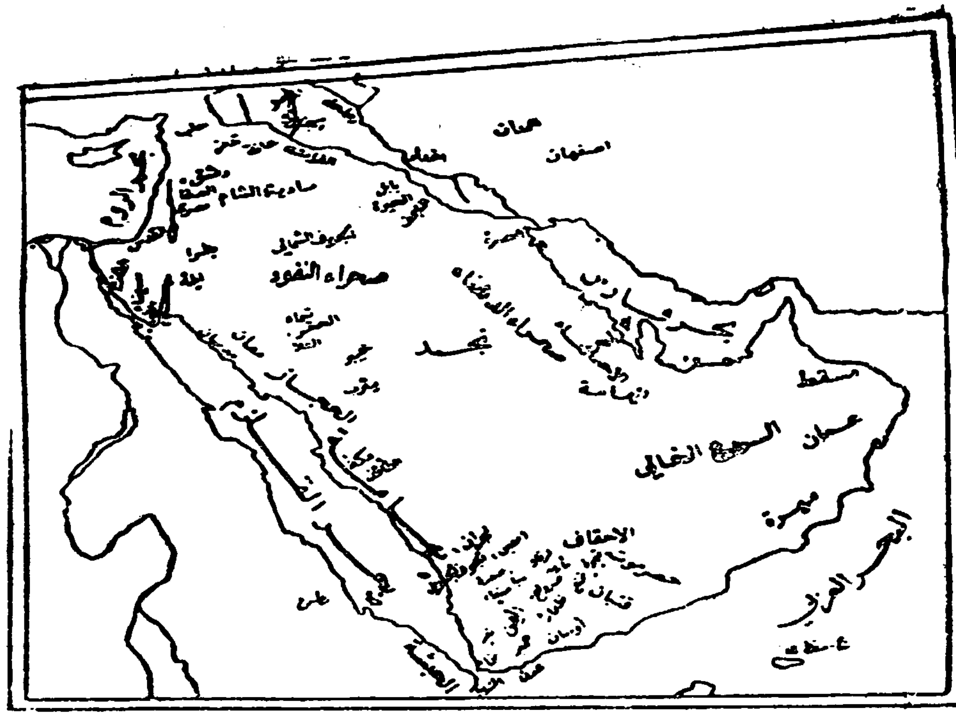
- Cooke (G.A.), Palmyra, in EB, 17, 1964.
- Caskel (W.), Lihyan und Lihyanisch, Koln, 1954.
- Cornwall (P.B.), Ancient Arabia, Explorations in Hasa, 1940-1941.
- Dhrome (E.), Palmyra dans les Textes Assyriens, RB, 1924.
- Dozy (R.), Die Israeliten Zu Mekka, 1864.
- Dussanud (R.), Les Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1955.
- Dussaud (R.), la Penetration des Arabes an Syrie avant l'Islam, Paris, 1955.
- Fakhry (A.), An Archaeological Journey to Yemen, 3 Vols. Cairo, 1952.
- Gibbon (E.), The Decline and fall of the Roman empire, London, 1950.
- Hastings (J.), Eneyelopaedia of Religion and Ethics, Edinburgh, 1908-1921.
- Halevy (J.), Rapport Sur une Mission Archeologique dans le Yemen, JA, VI, Paris, 1872.
- Hitti (P.K.), History of Arabs, London, 1960,
- Hogarth (D.G.), A History of Arabia, Oxford, 1922.
- Hommel (F.), Explorations in Arabia, Philadelphia, 1903.
- Huzayyin (S.A.), Arabia and the Far East, Cairo, 1942.
- Jamme (A.), A New Chronology of the Qatabanian Kingdom, BASOR, 120 1950.
- Jamme (A.), South Arabian Inscription, Princeton, 1955.
- Jamme (A.), A New Sabaean Inscriptin form South Arabia, 1968.
- Jamme (A.), Sabaean Inscriptions form Mahram bilqis (Marib), Baltimore, 1961.

- Kramer, S. N., "Dilmun" The Land of Living" BASOR, 96 Kramer, S.N. The Summerians, Chicago, 1970.
- Littmann (E.), Nabataen Inseriptions from the Southern Hauran, 1914.
- Littmann (E.), Nabataen Inscriptions from Egypt, BSOAS, 1953.
- Luekenbill (D.D.), Ancient Records of Assyria and Babylnia, Chicago, 1927.
- Moritz (B.), Arabien, Hanover, 1923.
- Moseati (S.), the Semites in Ancient History, Cardiff, 1959.
- Moscati (S.), Ancient Semitic Civilizations, London, 1957.
- Musil (A.), Palmyrena, N. Y., 1928.
- Oppenheim, A.L., "Babylonian and Assyrian Historical Texts", in ANET.
- Philby (J.B.), Sheba's daughters, London, 1939.
- Philby (J.B.), The Land of Sheba, GJ, 92, 1938.
- Philby (J.B.), The Background of Islam, Alexandria, 1947.
- Philby (J.B.), South Arabian Chronologh, le Museon, LXII, 1949.
- Philby (J.B.), Qataban and Sheba, London, 1955.
- Pliny, Natural History, trans. By C.F. Nobbe. 3 Vols Leipzig. 1843-1845.
- Sprenger (A.), The Campaign of Aelius Gallus, JRAS, London, 1873.
- Strabo, The Geography of Strabo, Trans by H. L. Jones, 8 vols., London, 1949.
- Tarn (W.W.), Ptolemy II and Arabia, JEA, 15, 1929.
- Whybrow, P.S. and Others, "Late Miocene Primate Fauna, Flora

and intitial Palemomagnetic data from the Emirate of Abu Dhabi, United Arab Emirates, Tournal of Human Evolution, 19, 1990.

- Winnett (F.V.), and Reed (W.), Ancient records from Norht Arabia, toronto, 1970.
- Wright (E.), the Bible and the Ancient Near East, N. Y., 1965.
- Encyclopaedia Biblica.
- Encyclipaedia Britannica.
- Encyolopaedia of religion and Ethics.
- Encyclopaedia of Islam.

الخرائط والأشكال



خريطة رقم (١)

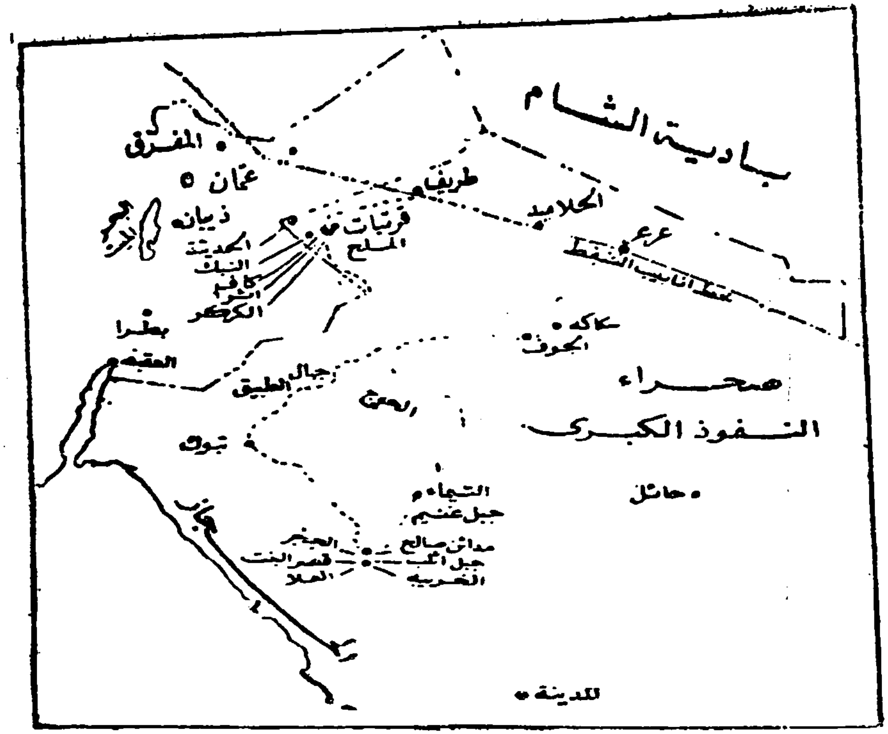
بـــلاد العـــرب

مأخوذة من كتاب «في تاريخ العرب قبل الإسلام»

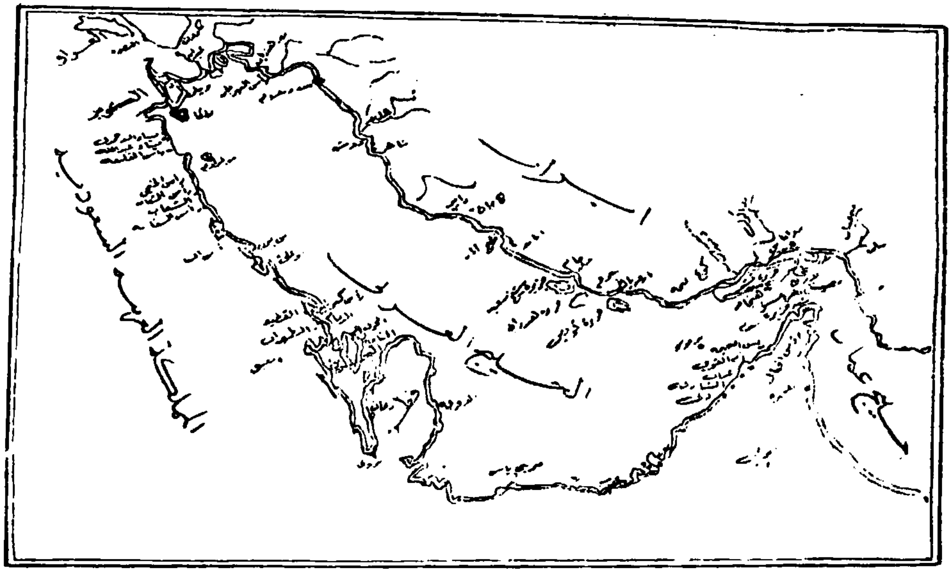
للأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد



خريطة رقم (٢)
اليمن والحبشة
مأخوذة من كتاب «الحضارات السامية القديمة»
تأليف سبتينو موسكاتي وترجمة يعقوب بكر



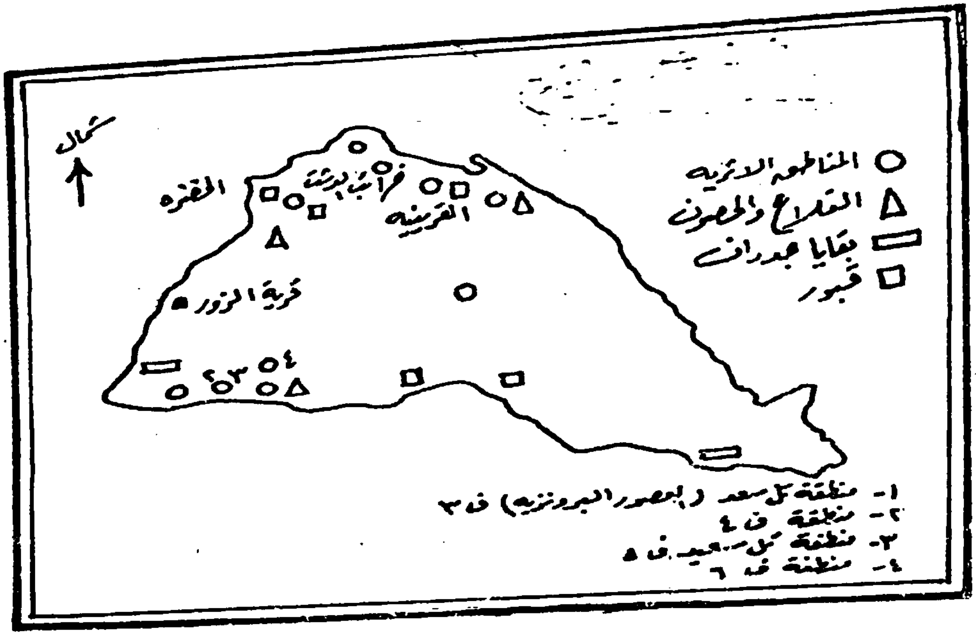
خريطة رقم (٢)
شمال الحجاز
مأخوذة من كتاب « في تاريخ العرب قبل الإسلام »
للأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد



خريطة رقم (٤)

سواحل الخليج العربي

مأخوذة من كتاب «منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد» للأستاذ الدكتور سليمان سعدون البدر

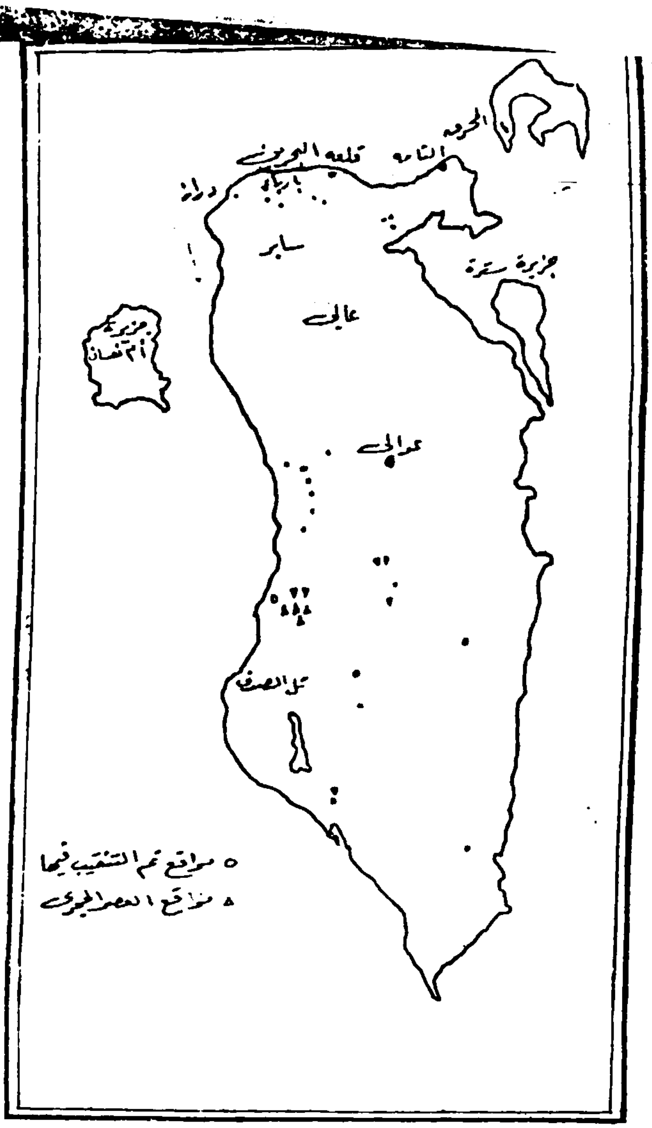


خريطة رقم (٥).

المواقع الأثرية في جزيرة فليكا

مأخوذة من كتاب «منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد»

للأستاذ الدكتور سليمان سعدون البدر



خريطة رقم (٦)

جزيرة البحرين ومراكزها الحضارية

من كتاب « منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد »

للأستاذ الدكتور سليمان سعدون البدر

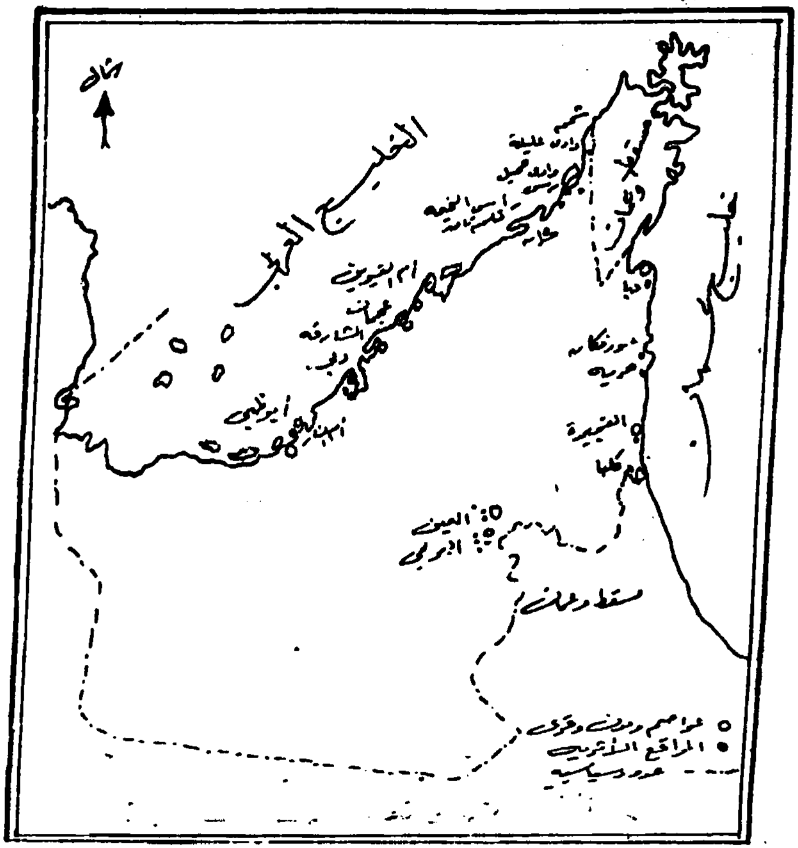


خريطة رقم (٧) .

دولة قطر والمراكز التي تم تنقيبها من ١ إلي ١٥

مأخوذة من كتاب « منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد »

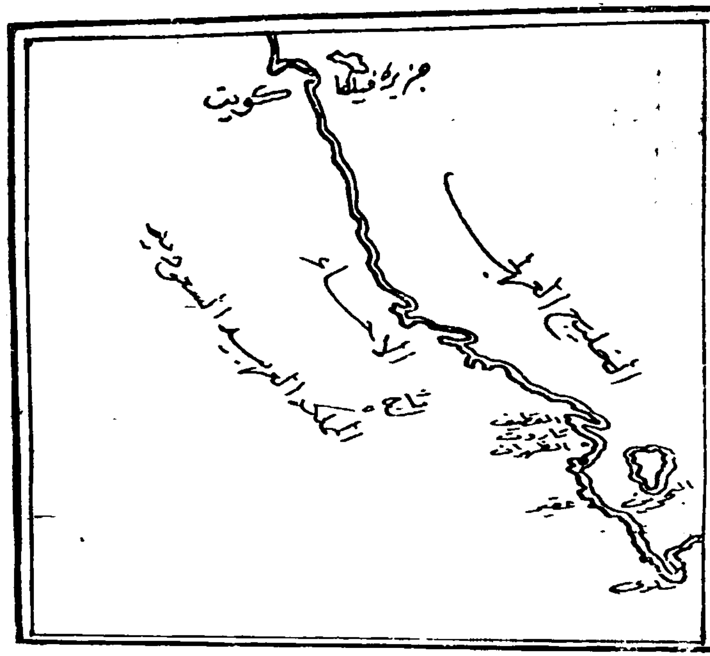
للأستاذ الدكتور سليمان سعدون البدر



خريطة رقم (٨)

المواقع الحضارية في دولة الإمارات العربية

مأخوذة من كتاب « منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد » للأستاذ الدكتور سليمان سعدون البدر

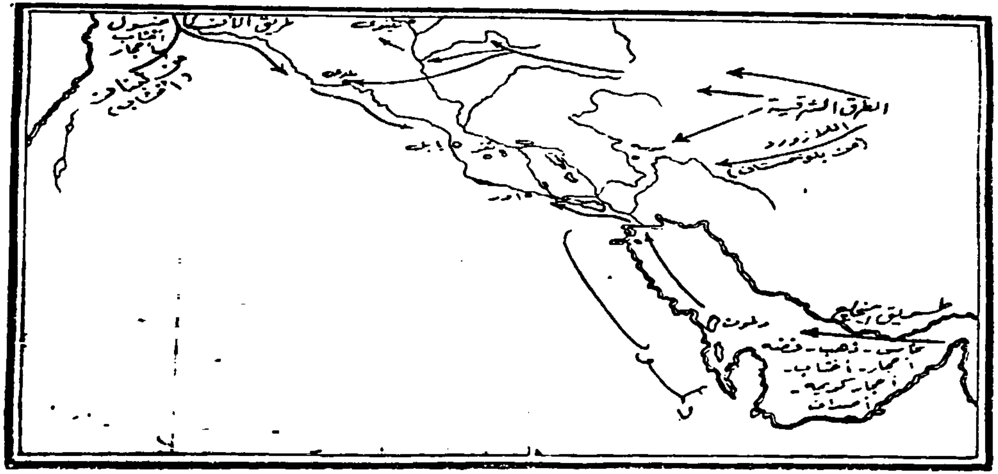


خريطة رقم (٩)

المواقع الأثرية في شرق الجزيرة العربية

مأخوذة من كتاب « منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد »

للأستاذ الدكتور سليمان سعدون البدر

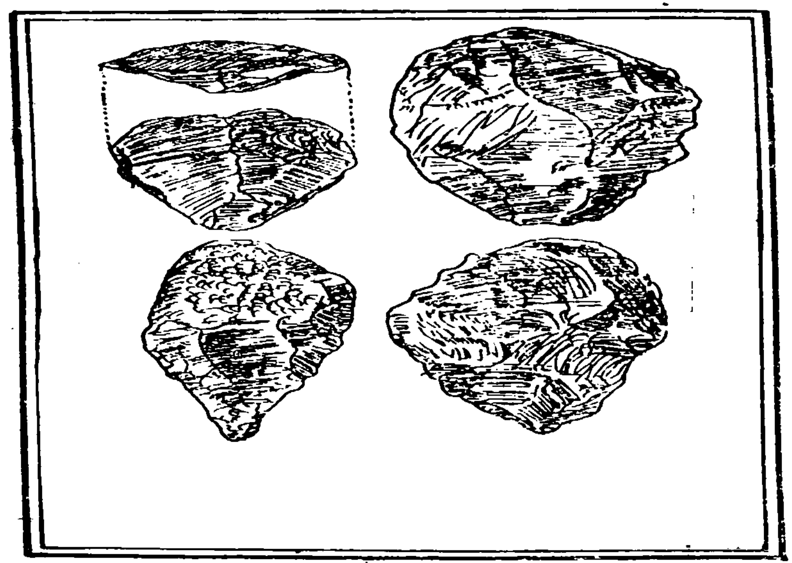


خريطة رقم (١٠)

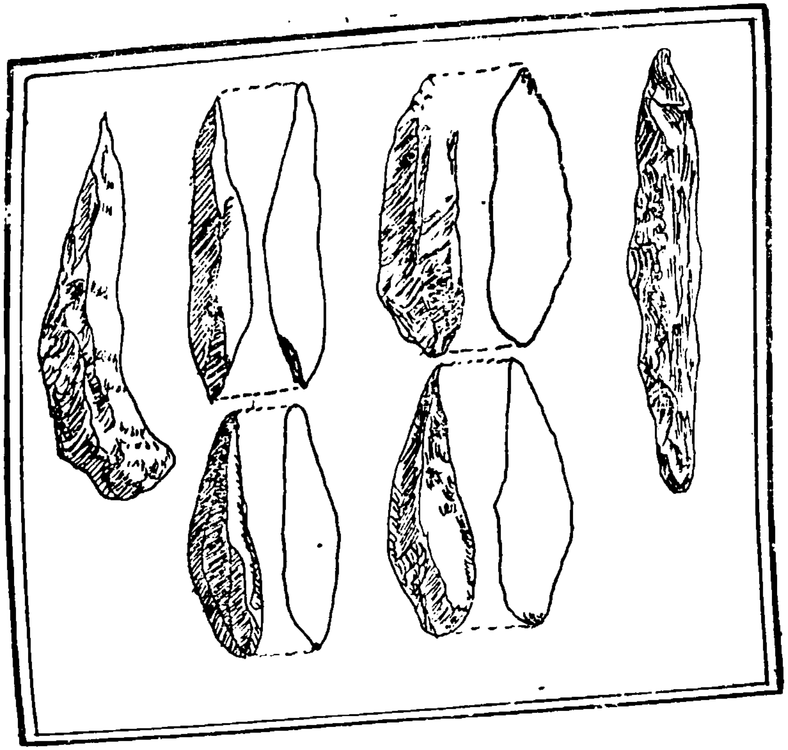
المواد التجارية وخط سيرها إلي بلاد الرافدين

مأخوذة من كتاب « منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد »

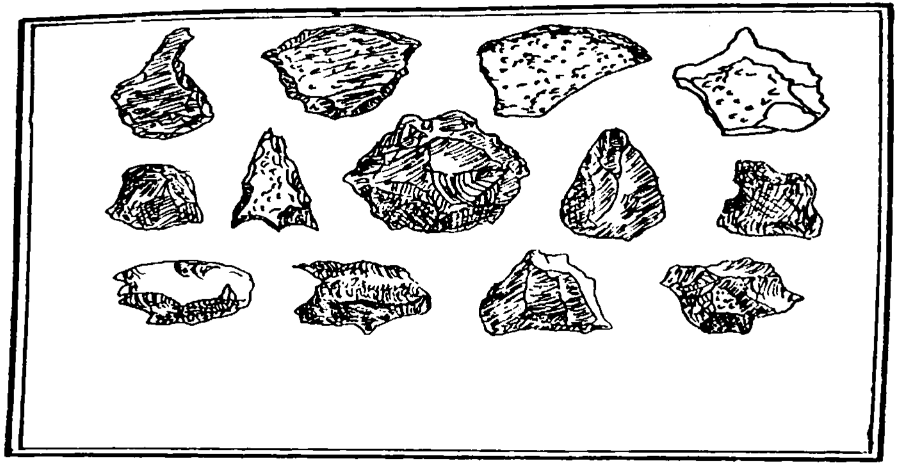
للأستاذ الدكتور سليمان سعدون البدر



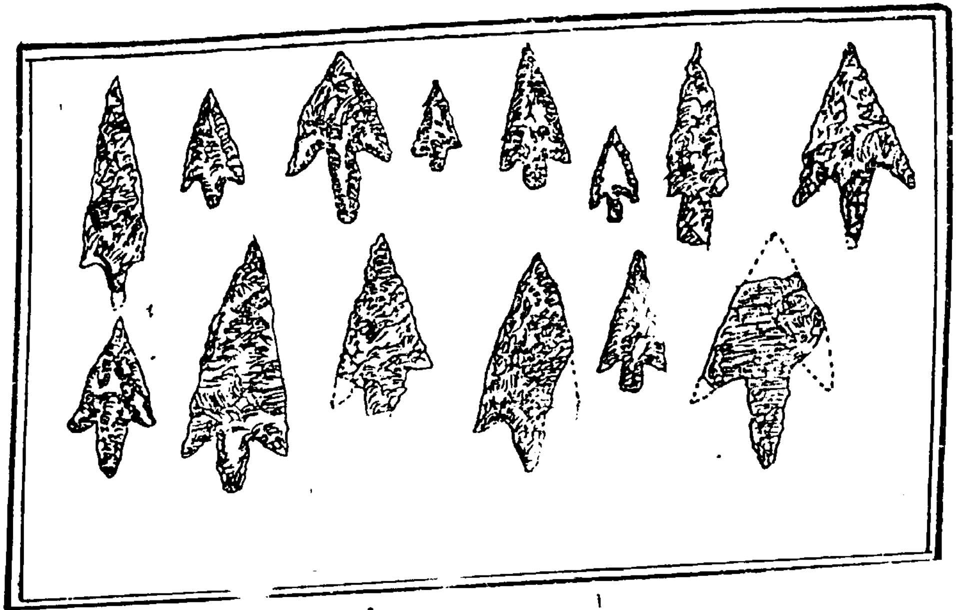
شكل رقم (١)
فؤوس يدوية من قطر



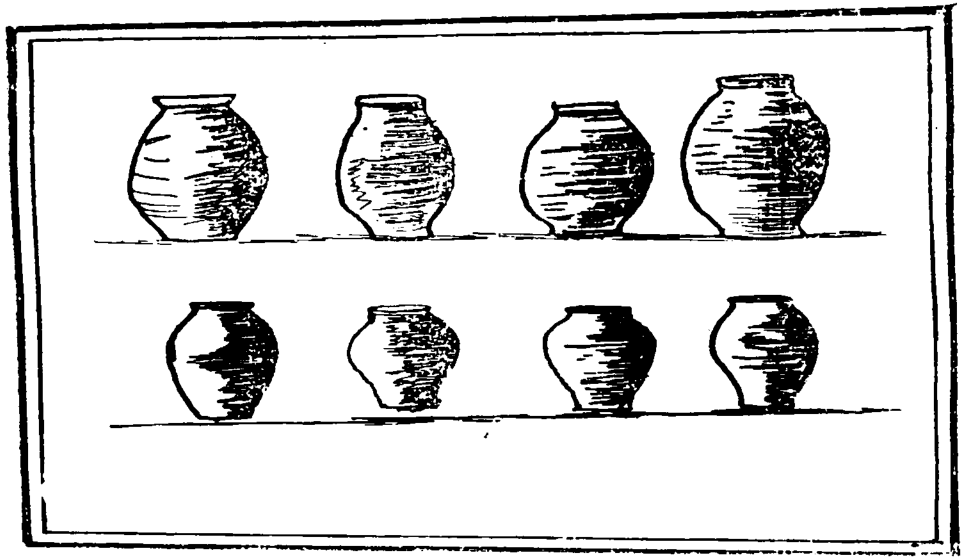
شكل رقم (٢)
شظايا من قطر



شكل رقم (٢)
أدوات حجرية من قطر



شكل رقم (٤)
أدوات قزمية من قطر

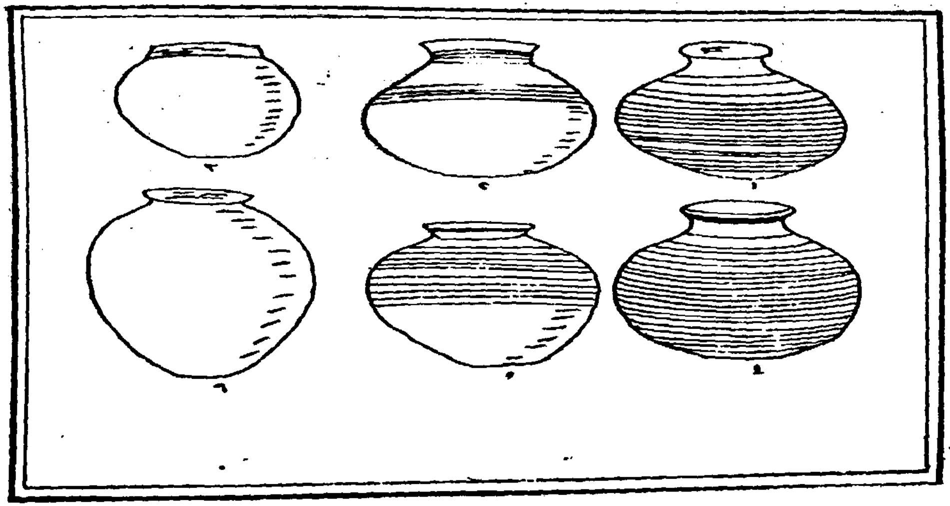


شكل رقم (٥)
أواني فخارية من الكويت



شكل رقم (٦)

انطباع أختام من فيلكا

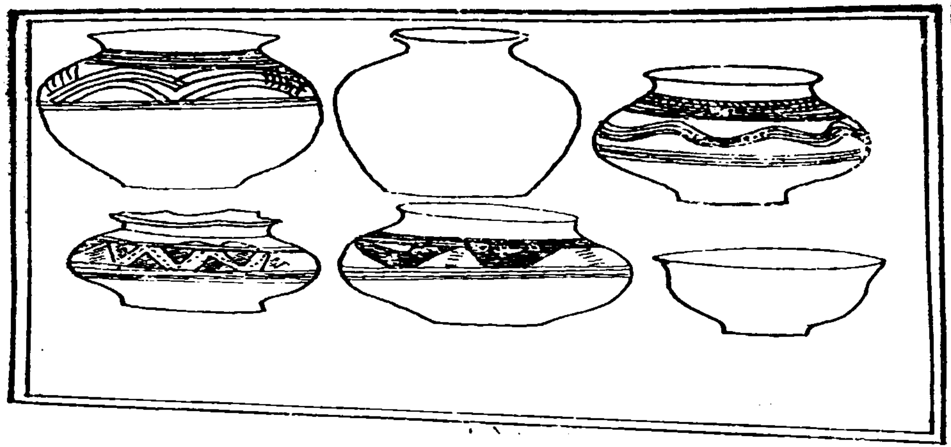


شكل رقم (٧)

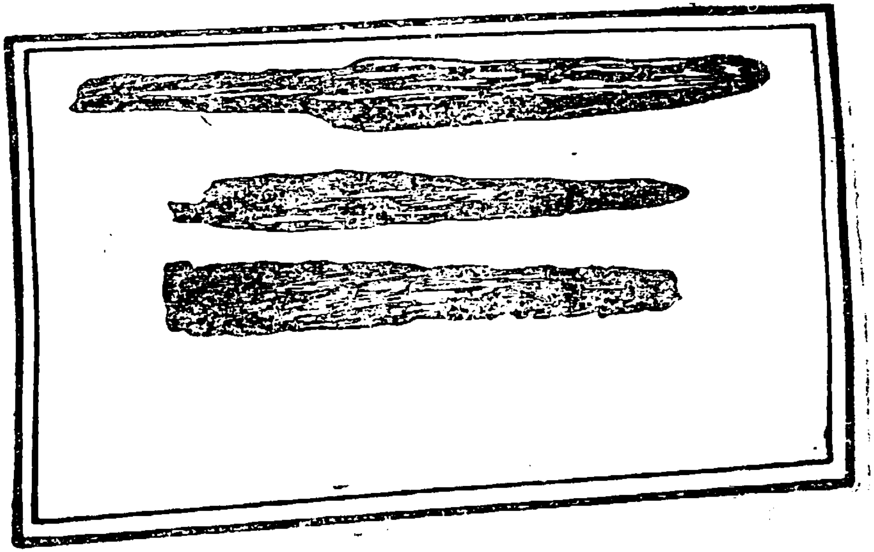
أواني فخارية من البحرين



شكل رقم (٨)
انطباعات أختام من البحرين



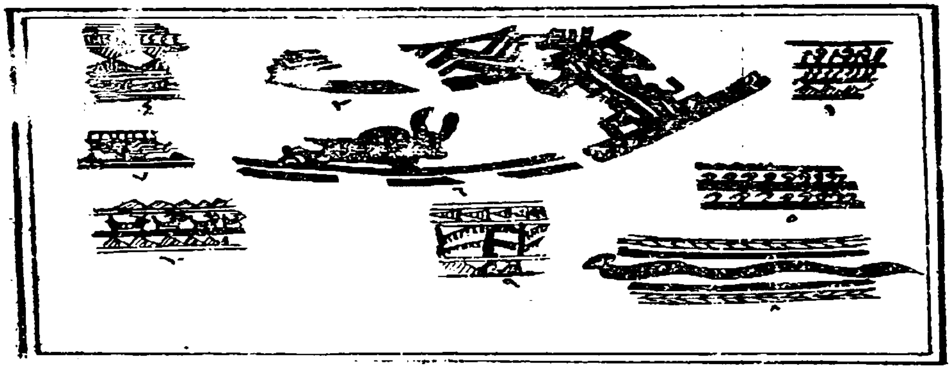
شكل رقم (٩)
اواني فخارية من موقع أم النار



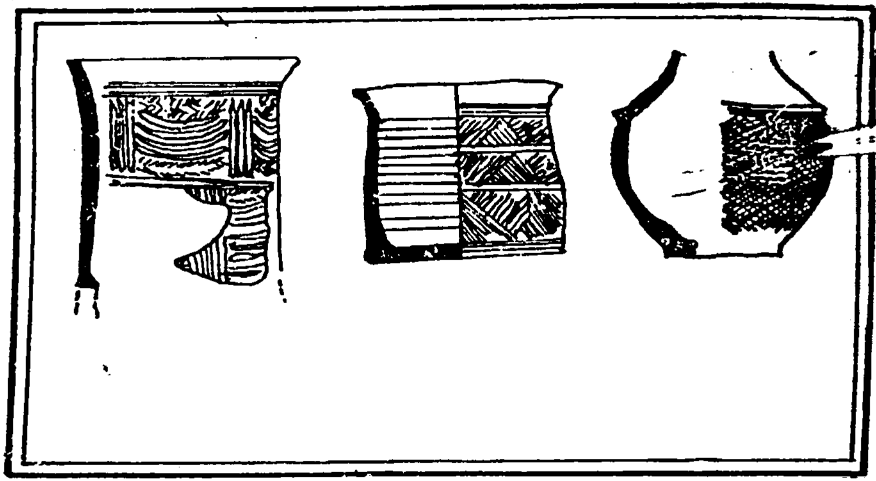
شكل رقم (١٠) أسلحة برونزية من موقع أم النار



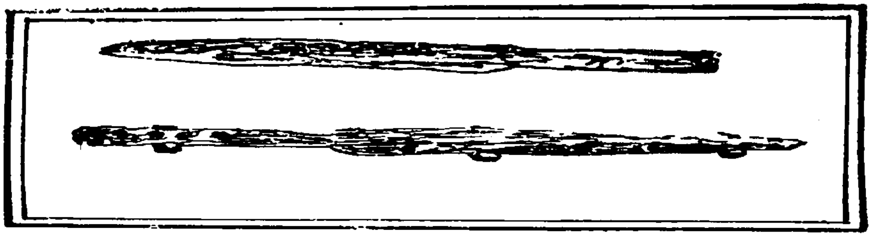
شكل رقم (١١) نماذج من فخار أم النار



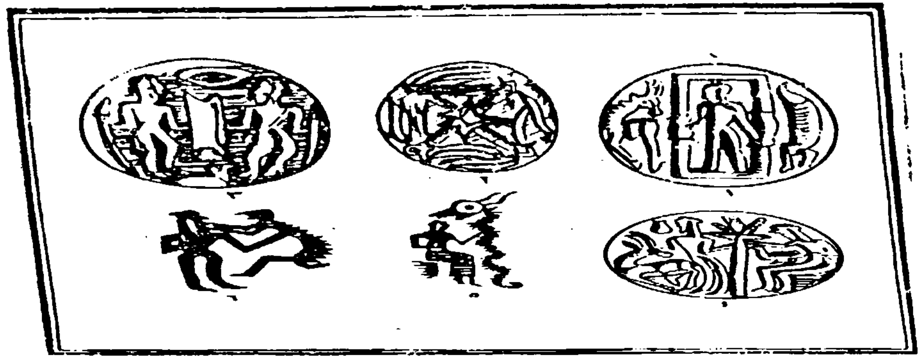
شكل رقم (١٢)
نماذج لزينات فخار أم النار



شكل رقم (١٣) أواني فخارية مزخرفة (أبو ظبي)



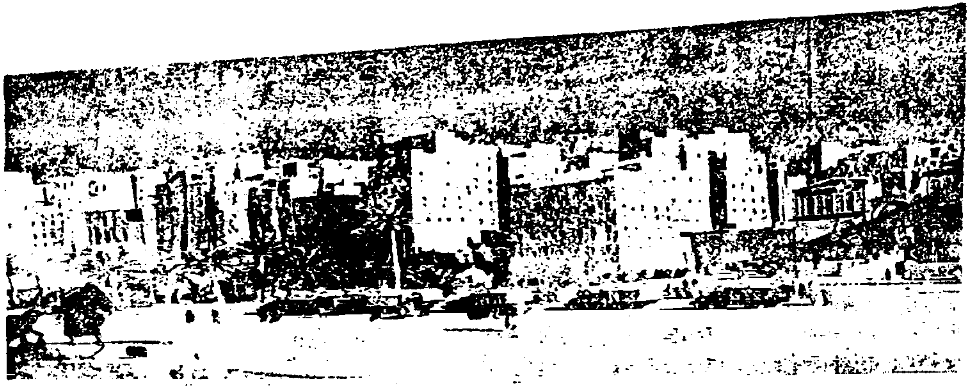
شكل رقم (١٤) سيوف من أبو ظبي



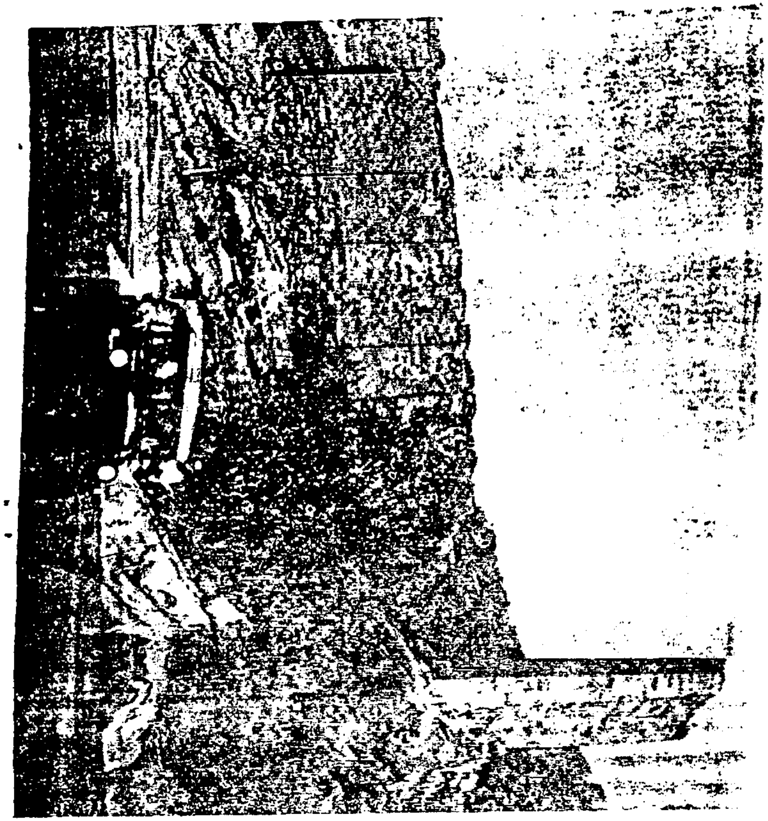
شكل رقم (١٥)
انطباعات أختام الخليج العربي



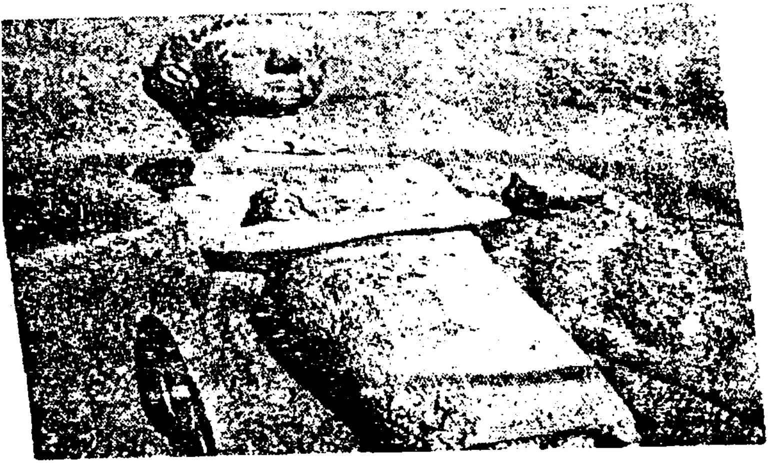
شكل رقم (١٦)
مدينة مأرب الحالية وتقوم علي أنقاض مأرب القديمة



شكل رقم (١٧)
مدينة شبام من مدن اليمن القديمة وتبدو المنازل مقامة على النظام القديم كالحصون

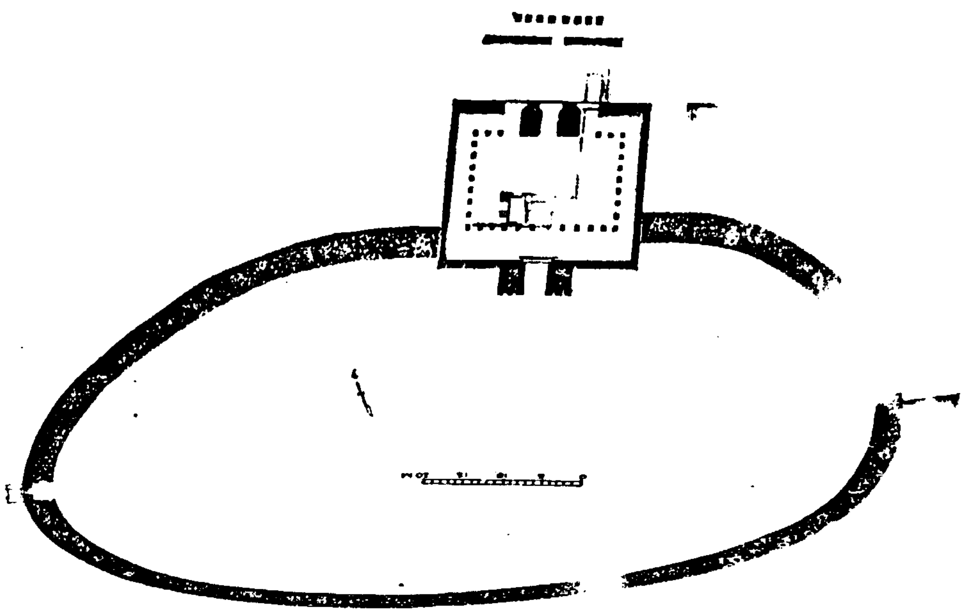


شكل رقم (١٨)
جانب من سد مأرب القديم



شكل رقم (١٩)

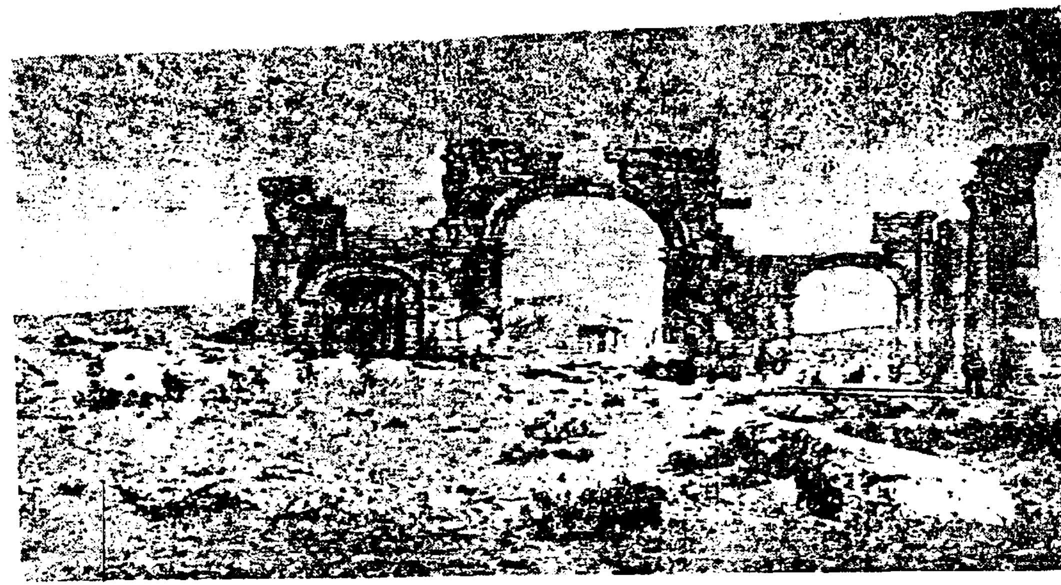
تمثال من البرونز من معبد العوامد (محرم بلقيس) بمأرب



شكل رقم (٢٠)
تمثال من البرونز من مدينة تمنع عاصمة قتبان (٧٥ - ٥٠ ق.م)



شكل رقم (٢١)
بائكة على امتداد الشارع الرئيسي بتدمر



شكل رقم (٢٢)
بوابة المدخل الشرقي لمعبد الأله بعل في تدمر

المحتويات

المحتـويات

الموضـوع

الباب الثاني

الحضارة

